

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله النوني

السفر الثامن

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

جروب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

فهرس

السفر الثامن

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

- ١ ذكر نبذة من كلام القاضى الفاضل محيى الدين أبى على عبد الرحيم البيسانى
١٠١ ذكر شىء من رسائل الإمام الفاضل ضياء الدين أبى العباس أحمد بن
أبى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم الأنصارى
القرطبي ٥١
١٠١ ذكر شىء من إنشاء المولى القاضى الفاضل محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر
ذكر شىء من إنشاء المولى الماجد علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن
محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ١٢٦
١٤٩ ذكر شىء من إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد ايمانى
١٦٣ ذكر شىء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب
ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به ويحتاج الكاتب الى معرفته والأطلاع
عليه المحجة البالغة والأجوبة الدامغة ١٦٦
١٧٥ هفوات الأبحاد وكبوات الجياد
١٨١ ذكر شىء من الحكم
١٨٩ ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل
١٩١ ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك
١٩٥ ذكر اشتقاق تسمية الديوان ولم سمي ديوانا ومن سماه بذلك
١٩٥ ذكر ما تفرع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

١٩٦ في الإسلام...
١٩٨ وأما دواوين الأموال
٢٠٠ ذكر ما يحتاج اليه كاتب الجيش
٢١٣ وأما مباشرة الخزانة
٢١٧ وأما مباشر بيت المال
٢١٩ وأما مباشر أهراء الغلال
٢٢١ ذكر مباشرة البيوت السلطانية : — فيحتاج مباشر الخوايج خاناه الى أمور...
٢٢٤ وأما الشراب خاناه
٢٢٥ وأما الطشت خاناه
٢٢٦ وأما الفراش خاناه
٢٢٧ وأما السلاح خاناه
٢٢٨ ذكر جهات أموال الهلالى ووجوهها وما يحتاج اليه مباشروها ...
٢٣٤ ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمة وما ورد فيها من الأحكام الشرعية الخ : — أما الأحكام الشرعية
٢٤١ وأما ما اصطلح عليه كتاب التصرف فى زماننا هذا من استخراجها وموضع إيرادها فى حساباتهم
٢٤١ وأما نسبتها فى الإقطاعات الجيشية
٢٤٢ وأما ما يلزم مباشر الجوالى وما يحتاج الى عمله
٢٤٥ ذكر جهات الخراجى وأنواعه وما يحتاج اليه مباشره
٢٤٦ أما الديار المصرية وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها الخ
٢٥٥ وأما جهات الخراجى بالشام وكيفيتها وما يعتمد عليه مباشروها
٢٦١ ومن أبواب الخراجى الخ

وأما ما يشترك فيه الحملات والحراجي ويختلف باختلاف أحواله : —	
أما المراعى	٢٦٢
وأما المصايد	٢٦٢
وأما الأحكار	٢٦٤
وأما أقصاب السكر ومعاصرها : — قاعدتها الكلية التي لا تكاد تختلف	
في الديار المصرية	٢٦٤
— ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصل	٢٦٧
وأما أقصاب الشام	٢٧١
ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها : — تعليق اليومية	٢٧٣
ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم : — فأما الختم	٢٧٥
وأما التوالى : — توالى الغلال	٢٧٦
ولهم أيضا توالى يسمونها توالى الارتفاع	٢٧٧
ولهم أيضا توالى الاعتصار	٢٧٨
وأما الأعمال	٢٧٨
فأما أعمال الغلال والتقاوى	٢٧٨
وأما عمل الاعتصار	٢٧٨
وأما عمل المبيع	٢٨٠
وأما عمل المبتاع	٢٨١
وأما عمل الجوالى	٢٨١
وأما عمل الخدم والجنائيات والتأدييات	٢٨٢
وأما السياقات	٢٨٢
فأما سياقة الأسرى والمعتقلين	٢٨٣
وأما سياقة الكراع	٢٨٣
وأما سياقة العلوفات	٢٨٤

صفحة	
٢٨٤	وأما سياقات الأصناف والزردخانه والعدد والآلات والخزائن والبيمارستانات
٢٨٥	وأما الارتفاع
٢٨٧	ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم
٢٨٧	ومن وجوه المضاف الغربية الخ
٢٩٠	وأما الحواصل المعدومة المساقاة بالأقلام
٢٩٢	وان انفصل الكاتب أثناء السنة الخ
	ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — : محاسبة أرباب النقود الجيشية
٢٩٣	والمكيات الخ
٢٩٤	ومنها محاسبات أرباب الأجر والاستعمالات
٢٩٤	ومما يلزم الكاتب رفعه ضريبة أصول الأموال ومضافاتها الخ
٢٩٦	ويلزمه رفع المؤامرات
٢٩٦	ويلزمه رفع ضريبة ما يستأدى من الحقوق
٢٩٧	ومما يلزمه رفعه في كل سنة تقدير الارتفاع
٢٩٧	ويلزمه في كل ثلاث سنين رفع الكشف الجيشية
٢٩٧	وأما المقترحات
	ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقة ومع غيبتهم
	وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله — : أما المشد
٢٩٨	أو المتولى
٢٩٩	وأما الناظر على ذلك
٣٠٠	وأما صاحب الديوان
٣٠٠	وأما مقابل الاستيفاء
٣٠١	وأما المستوفى
٣٠٤	وأما المشارف
٣٠٤	وأما الشاهد
٣٠٤	وأما العامل

بيان

ليس لدينا من نسخ هذا الجزء غير نسخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ ، وهي المشار إليها في بعض حواشي هذا الجزء بحرف (أ) ، وقطعتين من نسختين أخريين أخذتا بالتصوير الشمسي وحفظتا بدار الكتب المصرية : إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة) ، وهي المشار إليها في بعض حواشي الجزء بحرف (ب) وتنتهي في السطر التاسع من صفحة ٦٩ من هذا الجزء ، وقد نبهنا الى موضع انتهائها في حواشيه ، والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة) ، وهي المشار إليها في بعض الحواشي بحرف (ج) وتبتدى من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهي في السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهائها في الحواشي أيضا .

وليس التحريف في هاتين القطعتين بأقل منه في النسخة الأولى ، فإن التحريف في جميع هذه الأصول يكاد يكون متفقا ، كما يتبين ذلك مما كتبناه في بعض الحواشي إذ نقول : « في كلا الأصلين » أو « في كلتا النسختين كذا » وهو تحريف « أو » تصحيف .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع في إصلاح المحرّف والمصحّف من كلماته ، وتكميل الناقص من جملته ، وتحقيق أعلامه وضبطها ، وضبط الملتبس من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وإيضاح الغامض من عباراته ، وشرح ما أشكل من أبياته ونسبتها الى قائلها ، وشرح ما فيه من أسماء البلاد والأمكنة ، والتنبيه على ما في هذا الجزء — ولا سيما في كتابة الديوان — من الكلمات العاقية ، والألفاظ الاصطلاحية التي لم ترد فيما لدينا من كتب اللغة ، وبيان المراد منها ؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هذه الكلمات جريا على مصطلح كتاب الدواوين في استعمالها ، كما أننا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف في هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالفات لغوية في صيغ الجموع وتعدية الأفعال ، كأن يعدى الفعل بنفسه ومقتضى اللغة أن يتعدى بالحرف ، أو العكس ، أو أن يعدى بحرف واللغة تقتضى تعديته بحرف آخر ، وغير ذلك مما استعمله المؤلف متبعا فيه اصطلاح كتاب الدواوين في ذلك العهد ولم نجده في كتب اللغة التى بين أيدينا ، ولم نغير بعض هذه الاستعمالات ، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لعلنا أنها ترد كثيرا فى عبارات كتاب الدواوين ، وأولنا ما استطاع تأويله منها .

أما الصعوبات التى صادفناها فى تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجد صفحة من أصوله التى بين أيدينا خالية من عدة كلمات وعبارات محرفة أو مصحفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل ، وبحث غير قليل ، وتحفظ من الخطأ ، وحسن اختيار فى المحو والإثبات ، وتفهم لما يقتضيه السياق من المعانى والأغراض ، ومعرفة بأساليب الكتاب ومصطلحاتهم فى كل عصر ، ليكون المحو والإثبات تابعين لما تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها ، ومكان الفائدة منها ، لئلا يضع الزمن فى البحث عنها وتصفح جملتها .

أما طريقتنا فى التصحيح فقد كنا نقف بالكلمة المحرفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما استطاع حملها عليه من المعانى ، ونقلبها على ما تحتمله من الوجوه ، ونقرأ مادة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة ، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانها ، فإذا لم يستقم المعنى . بعد ذلك قلبنا حروفها بين التحوير والتغيير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والزيادة ،

والإعجام والإهمال ، حتى يستقيم المعنى ويظهر الغرض ، منبهين في الحواشى على ما كان فى الأصل من حروف هذا اللفظ ووجه اختيار غيره وإثباته مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجزء فى عهد المدير الحازم ، والمرتبى الفاضل ، الأستاذ
”محمد أسعد براده بك“ مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله وبذلته من
العناية الصادقة بهذه الكتب ، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القويمة ،
والأراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثنى الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ ”السيد
محمد الببلاوى“ مراقب إحياء الآداب العربية على حسن معاونته بما لديه من
المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها ، والبحوث ومظانها . ونسأل الله سبحانه
حسن المعونة والتوفيق فى العمل .

مصّححه

أحمد الزين

أسماء أهم الكتب والمصادر التي رجعنا إليها في تصحيح هذا الجزء

وهي مرتبة على حروف المعجم ومبين فيها ما هو مطبوع في غير مصر وما هو مخطوط
أو مأخوذ بالتصوير الشمسي، ورقمه في دار الكتب المصرية

أساس البلاغة، لـ جـار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري .

الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني .

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وهو معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت
الرومي الحموي .

أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المأخوذ
منه بالتصوير الشمسي بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١
تاريخ .

الأمالي، لأبي علي القالي .

الإرشاد الشافي على متن الكافي في العروض والقوافي، وهو الحاشية الكبرى
للسيد محمد الدمنهوري .

أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني .
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب
القسطلاني .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف
القفطي، طبع أوربا .

أسماء أهم الكتب والمصادر (ك)

الأحكام السلطانية ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردي
طبع أوروبا ومصر .

الأوائل ، لأبي هلال العسكري ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .

الأطعمة المعتادة ، المأخوذ منه بالتصوير الشمسي نسخة محفوظة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية ، ولم يُعلم مؤلفه .

بدائع الزهور في وقائع الدهور ، المشهور بتاريخ مصر ، لمحمد بن أحمد المعروف
بابن إياس المصري .

تاريخ العيني ، المسمى بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، للمافظ بدر الدين
محمود ، المعروف بالعيني المأخوذ منه بالتصوير الشمسي نسخة محفوظة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

تاج العروس ، وهو شرح القاموس ، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني
الواسطي الزبيدي .

تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي .
التذكرة الصفدية ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، المحفوظ منها بدار
الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .

تاريخ أبي الفداء ، وهو المختصر في أخبار البشر ، للملك المؤيد أبي الفداء ،
المعروف بصاحب حماة .

تاريخ ابن الأثير ، وهو المسمى بالكامل ، لعز الدين علي بن أبي الكرم المعروف
بابن الأثير الجزري ، طبع ليدن .

تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبع أوروبا .

تمام المتون شرح رسالة آبن زيدون ، لصالح الدين خليل بن أبيك
الصفدى ، طبع بغداد .

التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيى المعروف بابن
الجميعان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي .

الجامع لديوان الأدب ، في اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي .

حاشية الخضرى ، على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

حاشية الصبان ، على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير، في الفقه ، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف
بالمأوردى ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه
شافعى .

نريدة القصر وجريدة أهل العصر ، للوزير أبى عبد الله محمد بن محمد بن
أبى الرجاء الكاتب الأصبهاني . وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض
أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج ، ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى .

الخراج ، لأبى يوسف يعقوب صاحب الإمام أبى حنيفة .

خطط المقرئى ، وهو المسمى بالمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .

ديوان الشريف الرضى .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة ، لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى .

- ديوان أبي الطيّب المتنبي .
- دائرة المعارف ، للبستاني .
- درة الغواص في أوهام الخواص ، تأليف أبي محمد القاسم بن علي الحريري .
- الروضتين في أخبار الدولتين ، لشهاب الدين أبي شامة المقدسي .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للسيد محمود بن عبد الله الألوسي البغدادى .
- زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي اسحاق ابراهيم بن علي المعروف بالحصرى القيروانى .
- سقط الزند ، لأبي العلاء المعرى .
- سيرة ابن هشام ، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى .
- شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون ، لجمال الدين أبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن نباتة المصرى .
- شرح التنوير على سقط الزند ، لأبي يعقوب يوسف بن طاهر النحوى .
- شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزى ، وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .
- شرح حماسة أبي تمام ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزى .
- شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي ، وهو المسمى بالتبيان لأبي البقاء عبد الله بن الحسين المعروف بالعكبرى .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، لشهاب الدين الخفاجي .

شرح كافية ابن الحاجب في النحو ، لرضي الدين محمد بن الحسن الإسترابادي
النحوي .

صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، لشهاب الدين القلقشندي .
صحيح البخاري .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لجمال الدين
أبي الفضل الإدفوي .

طبقات الشعراء ، تأليف أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري ، طبع أوربا .
الطبقات الكبرى ، لأبي عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي طبع أوربا .
عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري .
العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي .

الفاضل من كلام القاضي الفاضل ، اختيار جمال الدين أبي بكر المعروف
بابن نباتة المصري ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس ، لمجد الدين الفيروزابادي .
قوانين الدواوين ، للأستاذ سعد بن مماتي .
لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقي المصري .
لزوم ما لا يلزم ، لأبي العلاء المعري .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله
العمري القرشي ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغني اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصاري .

- ملخص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لأبي المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغري بردي وهذا الكتاب محفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .
- المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي .
- المغرب في ترتيب المغرب، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .
- المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبهسي .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح عبد الرحيم العباسي .
- معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبع أوربا .
- المعزب والدخيل، للشيخ مصطفى المدني، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .
- المعزب من الكلام الأعجمي، لأبي منصور موهوب المشهور بالحواليقي، طبع أوربا .
- معجم البلدان، لياقوت، طبع أوربا .
- مقدمة ابن خلدون .
- المعجم الفارسي الإنجليزى، تأليف ستاين جاس .
- مفاتيح العلوم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، طبع أوربا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني .

المختص، في اللغة، لأبي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده .
مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بابن البيطار .

نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للأمير أبي المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغري بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلكان .

يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

الأسعد محي الدين

أبي علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف [أبي المجد علي^(١)] بن الحسين بن الحسين^(٢) ابن أحمد اللخمي الكاتب المعروف بالبيساني - رحمه الله تعالى - إليه انتهت صناعة الإنشاء ووقف، وبفضله أقرت أبناء البيان واعترفت، ومن بحر علمه رويت ذوالفضائل واغترفت، وأمام فضله ألفت البلاغة عصاها، وبين يديه^(٣) استقرت بها نواها، فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره، وناشر ألوية الفضل في مصره وغير مصره، ورافع علم البيان لآماله، والفاصل بغير إطاله، وقد أنصف بعض الكتاب فيه، ونطق من تفضيله بملء فيه، حيث قال :

(١١١)

(١) التكملة عن كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي ج ٢ ص ٢٤٢ طبع مطبعة وادي النيل . وفي (ب) : «أبي الحسين» بدل «أبي المجد» . وفي وفیات الأعيان ترجمة القاضي الفاضل زيادة في هذا النسب لم ترد في الأصل ولا في الروضتين ؛ وهذا نص عبارته : « ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي آين القاضي السعيد أبي محمد محمد بن الحسن » الخ . وكذلك ورد نسب القاضي الفاضل مشتملا على هذه الزيادة في عقد الجمان للعيني المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٥

(٢) في (١) : «أبي» ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير بهاتين العبارتين إلى قول معمر بن حمار البارقى ؛ وقيل : الطرماح بن حكيم :

فألفت غصاها واستقرت بها النوى كما قرر عينا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى» .

٢٠

كُلُّ فَاضِلٍ بَعْدَ الْفَاضِلِ فَضْلُهُ ، وَكُلُّ قَدْ عَرَفَ لَهُ فَضْلَهُ ، وَاسْتَقْفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 مِنْ كَلَامِهِ عَلَى السَّحْرِ الْحَلَالِ ، فَيُتْرَوِي صَدَاكَ مِنْ أَلْفَاظِهِ بِالْعَذْبِ الزُّلَالِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ
 قَوْلُهُ : وَافِينَا قَلْعَةَ نَجِيمٍ ^(١) [وَهِيَ نَجْمٌ ^(٢)] فِي سَحَابٍ ، وَعُقَابٌ فِي عِقَابٍ ^(٣) ؛ وَهَامَةٌ لَهَا الْغَامَةُ
 عِمَامَةٌ ، وَأَنْمَلَةٌ إِذَا خَضَبَهَا الْأَصِيلُ كَانَ الْهَلَالُ لَهَا قُلَامَةٌ ^(٤) .

- هـ ومن رسائله ما كتب به الى النظام أمير حلب : ورد كتاب المجلس السامي -
 حرس الله به نظام المجد ^(٢) [وأطلق فيه لسان الحمد] ، ودامت مساعيه مصالحةً ليد
 السعد ، وأحسن له التدبير في اليومين : مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ - فمُرحبا بمقدمه ، وأهلا
 بمنجمه ، والشوق تختلف وفود صروفه ^(٥) ، وتتنوع صنوف ضيوفه ؛ فلا بد أن تتبع بعض
 إذا تبعضت المسافات ، وتبرد وتخمّد إذا عبّدت ^(٦) ودنت الطرقات ؛ ولو بمقدار ما يدنو
 اللقاء على الرسول السائر ، بالكتاب الصادر ، والخيال الزائر ، بالحبيب العاذر ، والنسيم
 الخاطر ، من رسائل الخواطر ؛ وقد وجدت عندى أنسا لا أعهدُه ؛ وعددت نقص
 البعد أحد اللقاءين ، كما كنت أعدّ زيادة البعد أحد النأيين ؛ فزاده الله من القلوب

(١) كذا وردت هذه العبارة في (١) ، (ب) ؛ والذي في كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٩ «والشيخ
 الفقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما في سحاب» الخ والشيخ الفقيه هو زين الدين بن نجا الواعظ ؛
 والقلعة التي وصفها ، هي قلعة حمص ، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا . وفي وفيات الأعيان ج ١
 ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب .

(٢) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) العقاب بكسر العين : المراقى الصعبة من الجبال ، مفردة عقبة بفتح العين والقاف .

(٤) في الروضتين : « منها » .

(٥) في الأصل : «فقود» ؛ وهو تحريف .

(٦) عبّدت : ذلت ومهدت . وفي كلا الأصلين : « بعدت » ؛ وهو غير مستقيم ؛ ولعل صوا

ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام .

حُظُوهُ، ولا أخلاه من بسِطِ يدٍ وقَدِمٍ في حُظٍّ وحُظُوهُ^(١)، ووقفتُ على هذا الكتاب المشار إليه وما وقفتُ عنه لسانا شاكرا، ولا صرفتُ عنه طَرْفا ناظرا، وبلغتُ من ذلك جَهْدِي وإن كان قاصرا، واستفرغتُ له خاطري وما أعدّه اليوم خاطرا، ومما أسرّ به أن يكون في الخدمة السلطانية - أعلاها الله ورفعها، ووصلها ولا قطعها، وألف عليها القلوب وجمعها، واستجاب فيها الأدعية وسمعها - من يكثر قليلا، ويشفي في تقبيل الأرض غليلي، فإن تقبيل سيدنا كتقبيل، فلو شرب صديق وأنا عطشان لأرواني، ولو استضاء بلمعة في الشرق وأنا في الغرب لأراني، كما أن الصديق إذا مسّته نعمةٌ وجب عنها شكرى، وإذا وصلت إليه يدٌ منعم وصلتني وتغللت إلى ولو كنت في قبرى .

ومنها : وأعود إلى جواب الكتاب، الأخبار لا تزال غامضة إلى أن يشرحها، ومقفلة إلى أن يفتحها، بخلاف حالى مع الناس، فإن القلوب لا تزال سالمة إلا أن يجرحها، والهموم خفيفة إلا أن يرححها، والحق من جهته ما تحقق، وما استنطق بشكر من أنطق، وفي الخواطر في هذا الوقت موجود يجعلها^(٢) [فى] العدم، ويخرجها من الألم إلى اللّم^(٣)، ويعادى بين الألسنة والأسماع وبين العيون والقلم، وكلما قلت الحيلة المشكوك في نجحها، فتح الله باب الحيلة المطموع في فتحها، وهى من فضل الله سبحانه والاستجارة بالاستخاره، فتلك تجارة رابحة وكل تجارة لا تخلو من خساره، والله تعالى يجمع كلمة المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [بنيه]^(٤) حلّ زماننا، وشُوف إيماننا، ويسعدنا من أكابرهم بتيجان رءوسنا، ومن أصاغيرهم بنواتم إيماننا،

(١) أراد بالخطوة هنا : الفضيل أو الخط من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .

(٢) كذا فى (ب) .

(٣) اللّم بالتحريك : الجنون .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناها من مسالك الأبصار .

- ولو تفرغت العزمة الفلانية لهذا الكلب العدو فترجم كلبه ، وتكف غربه ، وتذيقه وبال أمره ، وتطفئ شرار شره ، وتعجل له عاقبة خسره ، فقد غاظ المسلمين وعظهم ، وفل جموعهم وفظهم ، وما وجد من يكفى فيه ويكفئه ، ويشفى الغليل منه بما يشفه ، ولو جعل السلطان — عز نصره — غزو هذا الطاغية مغزاه ، وبلاده مستقر عسكره ومثواه ، لأخذ الله الكافر بطغواه ، ولأبقى ذكرا ، وأجرى في الصحيفة أجرا ، ولأطفأ الحقد الواقع ، بالحديد البارد ، وغنم المغنم البارد ، وسدد الله ذلك العزم الصادر والسهم الصادر ، فلا بد أن يجرى سيدنا هذا الذكر ، وأولما احتسبه أنا من الأجر ، وما أوردته المجلس عن فلان من صفو شربه ، وأمن سربه ، واستقراره تحت الظل الظليل السلطاني — جعله الله ساكنا ، وأحله منه حرما آمنا — ومن معافاته في نفسه وولده وجماعته ، وأهل ولائه وولايته ، فقد شكرت له هذه البشرى ، وفرحت بما يسر الله ذلك المولى له من اليسرى ، غير أنى أريد أن أسمع أخباره منه لا عنه وبمباشرة لا باستنابته ، فلا عرفت مودته من المودات الكسالى ، ولا أقلامه إلا بلبس السواد — على أنها مسرورة سارة لا تكالى ، وإذا قنع صديقه منه بفريضة حجة ، لا تؤدى إلا فى ساعة حويله ، فإن يخل بها ذلك الكريم فقد آنحل الأسم الآخر — أعاده الله منه ، وصرف عنه لفظه كما صرف معناه عنه ، وللمودة عين لا يكحلها إذا رمدت إلا إثم مداد الصديق ، وما فى الصبر وسع لصحبة أيام العقوق بعد صحبة أيام العقيق ، وقد بلغنى أن ولد المذكور نزع وترعرع ، ونفع

(١) يشفه : يحزنه . (٢) المغزى : المقصد . (٣) الصادر من السهام : النافذ .

(٤) كذا فى كلا الأصلين بالنون والزاي ؛ ولعله من قولهم : نزع فلان إلى أبيه ينزع بكسر الزاي

فى المضارع ، أى ذهب إليه وأشبهه . أو هو من قولهم : نزع الى عرق كريم . أو لعله : « برع » بالباء الموحدة والراء المهملة .

وأينع ، وخَدم في المجلس السلطاني ، فسررت بأن تجمّع في خدمته الأعقابُ والذّراري ،
والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعاً ، ولا يُعِدُّنا من يدها سحاباً ولا من جناها
ربيعاً ، وقد فتح سيّدنا باباً من الأتس ونهجه ، وأوثرُ ألا يُرتجّه ، بمكاتبته التي
يده فيها بيضاء ، ويدُ الأيام عندى خضراء ، بحيث لا يستوفى على الحساب ، في كل
جواب ، وأنا في هذه الأحوال أوثرُ العزلةَ وأبدأ فيها بلساني وقلمي ، وأتوخى أن
أشبه حالةَ وجودي بعدمى ، فإنى أرى من تحتها أرواح ممن فوقها ، ومن خرج منها
أحظى ممن أقام بها ، وللوذات مقرّ ما هو إلا الألسنه ، والقلوبُ قضاةٌ لا تحتاج
الى بينه .

وكتب [جواباً] ^(١) أيضاً الى آخر وهو: وقفتُ على كتاب الحضرة — يسّر الله مطالعها —
وجمل عواقبها ، وصفّى من الأكدارِ مشاربها ، وحاط من غير الأيام جوانبها ، ووسّع
في الخيرات سُبُلها ومذاهبها ، ووقاها ووقى ولدها ، وأسعدها وأسعد يومها وغدها ،
وجمع الشمل بها قريباً ، وأحدث لها في كلِّ حادثةٍ صنعا غريباً — من يد الحضرة
الفلائية — لا عدمتُ يدها ومدّها ، وأدام الله سعدّها — وشكرتُ الله على [ما] ^(٢) دلّ عليه
هذا الكتابُ من سلامة حوزتها ، ودوامِ نعمتها ، وسُبوغ كفايتها ، وسألته سبحانه
أن يُصحّ جسمها ، ويُبيّط همي وهمّها ، فُهما همان لا يتعلّقان إلا بخدمة المخدوم —
أجارنا الله فيه من كلّ هم ، وأجرى بتخصيصه السعد الأعظم ، واللفظ الأتم —
وعرفت ما أنعمتُ بذكره من المتجدّات بحضرته ، ومن الأمور الدالة على سعادته
وقوته ، وللأمور أوائل وأواخر ، وموارد ومصادر ، فذسأل الله سبحانه أن يجعل

(١) لم ترد هذه الكلمة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٢) في (١) : «على دل» بدون «ما» ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما في (ب) .

(٣) حوزة الرجل : ما في حيزه .

العواقب لكم، والمصادر إليكم، والنعمة عندكم، والنصرة خاصة بسلطانكم، والكفاية مكتنفة بجماعتكم^(١)، وقد قاربت الأمور بمشيئة الله أن تسفر وجوهها، والخواطر أن يستروح مشدوها^(٢)، "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ" وفي كل أقدار الله الخيرة، وفي حكمته أنه جعل الخيرة محجوبة تحت أستار الأقدار، وقد علم الله تقسم فكرى لما هي عليه من المشقات المحمولة بالقلب والجسد، والأمور الحاضرة في اليوم والمستقبلة في غد، وهي في جانب الخير، والخير يعم الوكيل لصاحبه، ومن أصلح جانبه مع الله كان الله جديرا بإصلاح جانبه .

ومنه : وعليه السلام الطيب الذي لو مرّ بالبهيم لأشرق، أو بالهشيم لأورق، وكتبها الكريمة إن تأخرت فأموله، وإن وصلت فمقبوله، وإن أنبأت بسار فمشهوره، وإن أنبأت بشر فمستوره، وخادمها فلان يخدم مجلسها خدمة الخادم لمخدومه، ويكرّر التسليم على وجهه الكريم المحفوف من كل قلب بحبه، ومن كل سلام بتسليمه .

وكتب أيضا : وصل كتاب الحاضرة - وصل الله أيامها بحميد العواقب، وبلوغ المآرب، وصحبت الدهر [على خير ما صحبه صاحب]^(٣)، وأنهضنا بواجب طاعته، فإنه بالحقيقة الواجب - وكل واجب غيره غير واجب - من يد فلان، فرجوت أن يكون طليعة للاقتراب، ومبشرا بالإياب، ونخبها بعودها الذي هو كعود الشباب لو يعود الشباب، وأعلمني من سلامة جسمها، وقلبيها من همها، ما شكرت الله عليه، وأستدمت العادة الجميلة منه، وسألته أن يوزعها شكر النعمة فيه، وعرفت الأحوال جملة من كتابها، وكلها

(١٣)

(١) كذا في الأصول . ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن « اكتنف » يتعدى بالحرف ؛ ولعله مضمن معنى الإحاطة ، فعّاد بالباء ؛ أو لعله : « لجماعتكم » باللام .

(٢) المشدوه : المدهوش .

(٣) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٣ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى

المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٤) يوزعها : يلهمها .

تشهد بتوفيق سلطاننا، وبأيامه التي تعود بمشيئة الله بإصلاح شأنه وشأننا، والذي مدّه ظلّا، يمدّه فضلاً، فالفضل الذي في يديه، في يد خلق الله الذي أحالهم في الرزق عليه، فكيفما دعونا له دعونا لأنفسنا، وكيفما كانت أسنة رماحه فهي نجوم حرسنا، فلا عدت أيامه التي هي أيام أعيادنا، ولا لياليه التي هي ليالي أعراسنا .

ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيام المجلس وصفّاها من الأكرار، وأبقى بها من تأثيراته أحسن الآثار، وأسمع منه وعنه أطيّب الأخبار وجعل التوفيق مقبلاً حيث أقام، وسائراً أينما سار — كتابه الكريم، الصادر عن القلب السليم، والطبع الكريم، والباطن الذي هو كالأظهر كلاهما المستقيم، ولا تزال الأخبار عنا محجّمة، والأحاديث مستعجمة، والظنون مترجّمة^(١)، والأقوال مسقمة^(٢) ومصحّحة، إلى أن يردّ كتابه فيحقّ الحق ويبيطل الباطل، ويتضح الحال ويقتضح العاطل، ويعرف الفرق ما بين تحرير قائل، وتخوير ناقل، فتدعوله الأسنة والقلوب وتستغفر بحسناته الأيام من الذنوب، والشجاعة شجاعتان : شجاعة في القلب وشجاعة في اللسان، وكلتاها لديه مجموع، ومنه وعنه مروى ومسموع، وذخائر الملوك هم الرجال، وآراء الحزماء هي النصال، ومودّات القلوب هي الأموال، ومجالس آرائهم هي المعركة الأولى التي هي ربما أغنت عن معارك القتال، والله تعالى يمدّ المسلمين به حال تجمعهم على جهاد الكفار، ويلهمهم أن يبذلوا في سبيله النفس والسيف والدرهم والدينار، ويزيل ما في طريق المصالح من الموانع، ويفطم السيوف عن الدماء الإسلامية ويحرّم عليها المراضع، ويجعل للمجلس في ذلك اليد العليا، والطريقة المثلى، ويجمع له بين خيري الآخرة والأولى، والأحوال هاهنا بمصر مع بعد سلطانها

(١) المترجمة : المتذبذبة .

(٢) في الأصلين : « قائل » ؛ وهو تحريف .

وَتَمَادَى غَيْبَتِهِ عَنْ مَبَاشَرَةِ شَاهِبِهَا ، عَلَى مَا لَمْ يُشْهَدْ مِثْلُهُ فِي أَوْقَاتِ السَّكُونِ فَكَيْفَ
فِي أَوْقَاتِ التَّلَقُّقِ ، عَلَى مَنْ يَحْفَظُ اللَّهَ بِهِ مَنْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْجُمُوعِ وَمَنْ فِي الطَّرِيقَاتِ
مِنَ الرُّفُقِ ، وَالْأَمِيرُ الْوَلَدُ صَحِيحٌ فِي جَسَمِهِ وَعِزِّهِ ، مُتَصَرِّفٌ فِي مَصَالِحِهِ عَلَى عَادَتِهِ
وَرِسْمِهِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ نِعَمَ الْخَلِيفَةِ الْمَسْعُودِ ، وَأَمْتَعَهُ بِظُلِّ الْمَجْلِسِ الْمَمْدُودِ ، فِي الْعَمْرِ
الْمَمْدُودِ ، وَعَرَفَ الْخَادِمُ أَنَّ الْمَجْلِسَ نَابَ عَنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ بِمَجْلِسِ فُلَانٍ وَيُشْكِرُ عَلَى
مَا سَلَفَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنَابِ ، وَيَسْتَرِيدُ مَا يَسْتَأْنِفُهُ مِنَ الْخُطَابِ ، وَالْبَيْتُ الْكَرِيمُ أَنَا
فِي وِلَايَتِهِ وَخِدْمَتِهِ كَمَا قِيلَ :

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الْحَرَّى وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ

يَسِّرَنِي أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ ظِلَّهُمْ ، وَأَنْ يَجْمَعَ شَمْلَهُمْ ، كَمَا يَسُوءُنِي أَنْ تَخْتَلِفَ آرَاؤُهُمْ
وَلَا تَنْتَظِمَ أَهْوَاؤُهُمْ . وَهَذَا الْمَوْلَى يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَدَّ وَسَادَ ، وَجَدَّ وَجَادَ ، وَخَلَفَ مَنْ
سَلَفَ مِنْ كِرَامِ هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَأَشْتَهَرَتْ حَسَنُ رِعَايَتِهِ لِمَنْ جَعَلَهُ
اللَّهُ مِنَ الرِّعَايَا وَدِيعِهِ ، وَحَسَنُ عِنَايَتِهِ بِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ شِيعَةً ، وَإِذَا
بَاغَى ذَلِكَ سُرُرْتُ لَهُ وَلِأَبْنِهِ وَلِحَدِّهِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَمِتْ مِنْ خَلْفِهِ لِأَحْيَاءِ مَجْدِهِ ،
وَمَنْ أَسْتَعْمَلَهُ بِحَسَنِ فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ حَسَنًا ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ لَهُ
مُحْسِنًا ، إِنْ اللَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ ، وَأَعْدَلُ الْعَادِلِينَ ، وَكُتِبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ يُنْعَمُ بِهَا
مَتَى خَفَّ أَمْرُهَا ، وَتَيَسَّرَ حَمْلُهَا ، وَتَفَرَّغَ وَقْتُهَا لَهَا ، وَالثَّقَةُ حَاصِلَةٌ بِالْحَاصِلِ مِنْ
قَلْبِهِ ، وَعَازِرَةٌ وَشَاكِرَةٌ فِي الْمَبْطُئِ وَالْمُسْرَعِ مِنْ كُتْبِهِ ، وَرَأْيُهُ الْمَوْفَقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَكُتِبَ : وَرَدَ كِتَابُ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ — أَحْسَنَ اللَّهُ لَهَا الْمَعُونَةَ ، وَيَسِّرَ لَهَا
الْعَوَاقِبَ الْمَأْمُونَةَ ، وَأَنْجَدَهَا عَلَى حَرْبِ الْفِتْنَةِ الْكَافِرَةِ الْمَلْعُونَةِ — بِخَبَرِ خُرُوجِ الْخَارِجِ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « وَمَنْ حَسَنَ » ؛ وَقَوْلُهُ : « مَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ، إِذْ لَا مَقْتَضَى لَهَا هُنَا .

(٢) فِي (١) : « مِنَ الْمَبْطُئِ » ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي الْفَاءَ ، كَمَا فِي ب ، أَيْ فِي حَالَةِ الْإِبْطَاءِ .

﴿١١٤﴾

من قلعة كذا، وما صرّح به من الخوف الذي ملأ الصدور، والاستحاث في مسير
العسكر المنصور؛ وكل ضيقة^(١) وردت على القلوب ففزعَتْ فيها إلى ربّها فرجَتْ فرجَه
وأذكى لها اليقين سُرجه؛ ولم تُشرك معه غيره مستعانا، ولم تدع معه من خلقه
إنسانا، فما الضيقة وإن كانت منذرةً لإمبشّره، والخطئة وإن كانت وعرةً لإمبشّره؛
لاجرم أن هذا الكتاب أعقبه وصول خبر نهضة فلان — نصر الله نهضاته، وأدّى
عنه مفترضاته — فاستنمّض العساكر، وقوتل العدو الكافر، فنفس ذلك الخناق،
وتماسكت الأرواق؛ وما أحسب أن الأمر يتمادى مع القوم، بل أقول: لا كرب
على الإسلام بعد اليوم؛ تتوافى بمشيئة الله ولأه الأَطراف، ويزول من نفس العدو
وسمعه ما استشعره بين المسلمين من الخلاف؛ ويجمعون إن شاء الله على عدوهم،
ويذهب الله بأهل دينه ما كان [من فساد]^(٢) أعدائه في أرضه وعُلوهم؛ وقد شَمِمنا
رائحة الهدنة بطلب الرسول، ونجبر هلاك ملك الألمان الذي هو بسيف الله
مقتول، والموت سيف الله على الرقاب مسلول.

ومنها : فأما ما أشار إليه من القلاع التي شُحّنها^(٣)، والحصون التي حصّنها،
والأسلحة التي نقلها إليها، والأفوات التي ملأ بها عيون مقاتلتها وأيديها، فإن الله يمتنّ عليه
بأن يسره هذه الطاعة، ورزقه لها الاستطاعة؛ فكم رزق الله عبدا رزقا حرّمه منه
وفتح عليه بابا من الخير وصرفه عنه؛ لاجرم أنه وثى قوما أجّره بغير حساب، ووقف

(١) الضيقة بكسر الضاد : مثل الضيق (اللسان).

(٢) عبارة الأصول : « ما كان أعدائه في أرضه » الخ وهي على هذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة
الإعراب؛ والتكلمة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي

المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٣) في (١) : « تنحها »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما في (ب).

قوما بموقف مناقشة الحساب ، الذي ألمصِرْفُ عنه إلى ما بعده من العذاب ؛ الآن
والله مُلْكُ الْمَلِكِ الْعَادِلُ مَالَهُ الَّذِي أَنْفَقَهُ ، وَأَوْدَعَهُ لْخَيْرِ مُسْتَوْدَعٍ مِنَ الَّذِي رَزَقَهُ ،
وَشَتَّانَ بَيْنَ الْمُحْصَنِينَ : هَمَّةُ مَلِكٍ ذَنْحَرِ مَالَهُ فِي رِءُوسِ الْقِلَاعِ لِتَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، وَهَمَّةُ
مَلِكٍ أَوْدَعَ مَالَهُ فِي أَيْدِي الْمُقَاتِلَةِ لِتَحْصِينِ الْقِلَاعِ

- ٥ يَبْنِي الرِّجَالَ وَغَيْرَهُ يَبْنِي الْقُرَى * شَتَّانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَرِجَالٍ
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَالَهُ لَهُ مَسْرَهُ ، يَوْمَ يَرَى الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
الْمَالَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ، مَا أَحْسَبَ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ
الشَّهَادَاتِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ كَرِيمَ الْوِفَادَةِ لَدَيْهِ ، إِلَّا تَلَقَّاهُ شَاكِرًا لِهَذَا السُّلْطَانِ
شَاهِدًا بِمَا يُؤَلِّي هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنَ الْإِحْسَانِ ، «وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ»
سَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا ، وَاللَّهُ يَزِيدُهُ تَوْفِيقًا إِلَى تَوْفِيقِهِ ، وَيُلْهِمُ كُلَّ مُسْلِمٍ
[الْقِيَامَ] بِمُقَرَّرِ بَرٍّ وَيُعِيدُهُ مِنْ مُحْذُورٍ عَقُوبَةٍ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْحَضْرَةَ تُفَرِّدُ لِي شَطْرًا
مِنْ [زَمَانِهَا الْمُهْمَمَ] ، لِكِتَابِ تَلْقِيهِ^(١) إِلَيَّ ، وَخَبَرِ سَارٍّ تَوْرَدَهُ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَفْرِدُ شَطْرًا مِنْ
زَمَانِي لِشُكْرِهَا ، وَأَسْرُ وَاللَّهِ لَهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَمْرِهَا ، فَإِنْ الذَّاكِرُ لَهَا بِالْخَيْرِ
كَثِيرٌ ، فَزَادَ اللَّهُ طَيْبَ ذِكْرِهَا ، وَرَأَيْهِ الْمَوْفَّقُ فِي أَنْ يُجَرِّئَنِي عَلَى كَنْفِ الْعَادَةِ ،
و[لَا] يَقْطَعُ عَنِّي هَذِهِ الْمَادَّةَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
- ١٥

وكتب : ورد كتاب المجلس السامي — نصر الله عزائمه ، وأمضى في رءوس
الأعداء صوارمه ، وشدد به بنيان الإسلام ودعائمه ، وأسترده به حقوق الإسلام من

(١) في (١) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول ، والسياق يقتضي إثباتها إذ لم تنف فيما راجعناه من كتب
اللغة على تعدية «ألهم» بالباء .

(٣) هذه التكملة لم ترد في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) في (١) : « ويقطع » بسقوط « لا » والسياق يقتضي إثباتها كما في (ب) .

الكفر ومظالمه ، وأخلف نفقاته في سبيل الله ومغارمه ، وجعلها مغنمه — وكان العهد به قد تطاول ، والقلب في المطالبة ما تساهل ، ولحمت أشغاله بالطاعة التي هو فيها وما كل من تشاغل تشاغل ، فهناه الله بما رزقه ، وتقبل في سبيل الله ما أنفقه وعافى الجسم الذي أنضاه في جهاد عدوه وأخلقه ، وقد وفق من أتعب نفسه في طاعة من خلقها ، وجسم في طاعة من خلقه ، فهذه الأوقات التي أنتم فيها أعراس الأعمار ، وهذه النفقات التي تجرى على أيديكم مهوور الحور في دار القرار؛ قال الله سبحانه في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١) وأما فلان وما يسره الله له ، وهونه عليه ، من بذل نفسه وماله ، وصبره على المشقات وأحتماله ، وإقدامه في موقف الحقائق قبل رجاله ، فتلك نعمة الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه ، وسواد العجاج في تلك المواقف ، بياض ما سودته الذنوب من الصخائف ” يَا أَيَّتُهَا كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا “ فما أسعد تلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك المرجفات ، وقد علم الله سبحانه وتعالى مني ما علم من غيري من المسلمين من الدعاء الصالح في الليل إذا يغشى ، ومن الذكر الجميل لكم في النهار إذا تجلّى ، والله تعالى يؤيد بكم إيمانكم ، وينصركم وينصر سلطانكم ، ويصلحكم ويصلح بكم زمانكم ، ويشكر هجرتكم التي لم تؤثروا عليها أهليكم ولا أموالكم ولا أوطانكم ، ويعيدكم إليها سالمين سالبين ، غانمين غالبين ، إنه على كل شيء قدير .

وكتب : وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمها ، وسدد سهمها وجعل في الله همها ، ووفر في الخيرات قسمها — مبشرا بالحركة الميمونة السلطانية

(١) المرجفات من الإرجاف ، وهو الزلزال .

إلى العدو خذله الله ، ومسير المسلمين — نصرهم الله — تحت أعلامه أعلاها الله ؛
ومباشرة العدو واستبشار المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه ، ومن إضممار العود
إليه ؛ وهذه مقدمة لها ما بعدها ، وهى وان كانت نصرة من الله فما تقنع بها وحدها
فالهمة العالية [السلطانية] للحرب التى تسأب الأجسام رءوسها ، والسيوف حدّها ؛
فإن اللجنة غالية الثمن ، والخطاب بالجهاد متوجّه إلى الملك العدل دون ملوك الأرض
وإلا فبن ؟ فهذه تُشترى بالمشقات ، كما أن الأخرى — أعاذنا الله منها — رخيصة الثمن
وتُشترى بالشهوات ؛ والحضرة السامية نعم القرين ونعم المعين ، وفرض ذى اللهجة
المبين ، أن يستجيش ذا القوة الثنتين ، وكلمة واحدة فى سبيل الله أنمى من ألوف المقاتلة
والمئين ؛ والله تعالى يوسع إلى الخيرات طرقها ، ويُطلق بها منطلقها ، ويُمتع الإخوان
بخلقها الكريم فما منهم إلا من يشكر خلقها ؛ ورأيها الموفق فى إجرأى على العادة
المشكورة من كتبها ، وإمطارى من خواطرها ، لا عدمت صوب سحبا .

ومن كتاب كتبه الى القاضى محي الدين بن الزكى : بعد أن
أصدرت هذه الخدمة الى المجلس — لا عدمت عواطفه وعوارفه ، واطائفه ومعارفه ؛
وأمتع الله الأمة عموما بفضائله وفواضله ، ونفعهم بجأزره كما نفعهم بسلفه الصالح
وأوائله ، وعادى الله عدوه ودلّ سهامه على مقاتله — [ورد كتاب^(١) منه فى كذا
وما بقيت أذكر الإغباب ، فإن سيدنا يقابله] بمثله ، ولا العتاب فإن سيدنا يساجله
بأفيض من سجاله ؛ ولا ألقى عليه من قولى قولا ثقيلا ، ولا أقابل به من قوله قولا جليا

(١) النكلة عن (ب) ومسالك الأبصار .

جليلا ، فقد شَبَّ عمرو عن الطَّوق ، وشَرُفَ البراقُ عن السَّوق ، وذلك العمرو ما برح^(٢)
محتنكا والطَّوق للصَّبِي ، وذلك البراقُ حمى لا يقدِّم إلا للنَّبِي ، ومع هذا فلا تُقلَّص عني^(٣)
هذه الوظيفة ، وأعتقدها من قُرب الصَّحيفة ، فإنك تسكن بها قلبا أنت ساكنه
وتسربها وجها أنت على النوى معاينه .

وكتب إلى العباد : كانت كتبُ المجلس — لا غير الله مابه من نعيمه
ولا قطع عنه موادَّ فضله وكرمه ، ولا عَدِمَت الدنيا خَطَّ قلمه وخطو قدمه ، وأعادنا
الله بنعمة وجوده من شِقْوَةِ عَدَمِهِ — تأخرتُ وشقَّ عليَّ تأخرها ، وتغيَّرتُ عليَّ
عوائدها والله يعيدها مما يغيِّرها ، ثم جاءت بيت ابن حجاج :
غاب ما غاب ووافا * نى على ما كنتُ أعهدُ^(٤)

وأجبتُه بيت الرضى :

ومتى تَدُنُ النوى بهم * يجدوا قلبي كما عَهِدوا
كُتَابَةٌ لا يَنْبَغِي مُلْكُهَا إِلَّا لِحَاظِرِهِ السَّليمانِي ، وفَيَضُ لا يَسْنَدُ إِلَّا عَنِ نُوْحٍ قَلَمِهِ^(٥)

(١) في أساس البلاغة مادة «طوق» «جل» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وهذا المثل
لخدمة الأبرش في عمرو بن عدى ، كما في جمهرة الأمثال .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصلين مقرونا بالالف واللام ؛ ووجهه أنه نكر عمرا ثم أدخل عليه
حرف التعريف ؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصورها

قال في معنى اللبيب ص ٥٠ مانصة : وقيل : «ال» في اليزيد والعمرو للتعريف ، وأنهما نكرا ثم أدخلت
عليهما «ال» كما ينكر العلم إذا أضيف ، كقوله : «علا ز يدنا يوم النقا رأس زيدكم» اه .

(٣) يقال : حنكته السن وأحتنكته ، إذا أحكمته التجارب .

(٤) في (١) : «أعده» ؛ والهاء زيادة من النسخ ، إذ بها يختل الوزن ؛ ولم نقف على هذا البيت
في يتيمة الدهر ضمن شعر ابن حجاج .

(٥) ماله : «إلى نوح» إذ هو مقتضى اللغة ؛ أولعله ضمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فيسوغ
له هذا التضمن ذكر «عن» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» الخ وهي أظهر .

الطوفاني ، أوجبت على كل بليغ أن يتلو ، ” وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي “ ، وبالجملة فالواجب على كل عاقل ألا يتعاطى ما لم يُعْطَ ، وأن يدخل باب مجلس سيدنا ويقول حطه ؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البلاغة فقد كدت أسكر لما أستخرجته من تلك المحاسن التي لو أن الزمان الأصم يسمع لأسمعته ، ولو أن الحظ الأشم يخضع لأخضعته ، وبالجملة فإنه لا يُشْنَأُ زمن أبقي من سيدنا نعمة البقية التي مهما وجدت فالحير كله موجود ، والمجد بحفيظته مشهود ؛ وكما تيسرت راحة جسمه ، فينبغي أن يقتدى به قلبه في راحة من همه ؛ وأعراض الدنيا متاع المتاع ، وقد رفع الله قدره ، وإلا فهذه الدنيا وهدة إليها مصاب المصائب ؛ والحال التي هو الآن عليها عاكف [إلا] ^(١) من علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، وحريم عقائل يذب عنه ويحرسه ؛ هي خير الأحوال ، فالواجب الشكر لوأهبها ، والمسرة بالإفضاء إلى عواقبها ؛ وما ينقص شيء من المقسوم ، وإن زاد عد المجلس فليس من حظه ، ولكن من حظ السائل والمحروم ؛ فلا يسمح المجلس بكتاب من كتبه على يد من الأيدي التي لا تؤدى ، ولا يؤمن أن تكون أناملها حروف التعدى ، وهي إحدى ما تعلقت به الشهوات من اللذات ، وهو ينعم بها على عادته في كف ضراوة القلب ودفع عاديته ؛ موقفا إن شاء الله تعالى .

١٥

وكتب إلى القاضي محي الدين بن الزكي أيضا : كان كتابي تقدم الى المجلس السامي — أدام الله نفاذ أمره ، وعلو قدره ، وراحة سره ونعمة يسره ؛ وأجراه على أفضل ما عوده ، وأسعد جدّه وأصعده ، وأحضره أمثال العام المقبل وأشهدّه ؛ ولا زال يلبس الأيام ويخلعها ، ويستقبل الأهلة ويودعها

٢٠

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وهو محروس في دنياه ودينه ، مستلماً من نوب الدهر بدرع يقينه ، كاشف لليل
الخطيب بنور جبينه ، وليوم الجذب بفيض يمينه ، وأعماله مقبولة ، ودعواته على
ظهر الغمام محمولة ، والدنيا ترعاه وهي تأتي برغمها ، والآخرة تُدخِله وهو يسعى لها
سعيها — من أيدي عتاة من المسافرين ، ولثقتي بهم ما قدرت أسماءهم ، ولضيق
صدرى بتأخير كتب المجلس ما حفظتها .

وجاء منها : وما كأنا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوة الأقران أن يباعد بين
أسفارنا ، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارنا ، فأجبت الدعوه ، ولا أقول لسابق
الشقوه ، ولكن لاحق الحظوه ، فإن مكابدة الأشواق إلى الأبرار ، تسوق إلى الجنة
ولا تسوق إلى النار ، وأقسم اني بالاجتماع به في تلك الدار ، أبهج مني بالاجتماع به
لو أُتيح في هذه الدار ، فعليه وعلى من العمل ما يجمع هنالك سلك الشمل
ويصل جديد الحبل ، فثم لا يلقي العصا إلا من ألقى هنا العصيان ، وهناك لا تقر
العين إلا ممن سهرت منه هاهنا العينان ، فلا وجه لجمع آسمى مع آسمه في هذه الوصية
مع علمي بسوء تقصيري ، وخوفي من سوء مصيري ، ولكن ليزيد سيدنا من
وظائفه وعوارفه ، — فكل فعله تفضل من فضله — ما يخلصني بإخلاصه
فإني أستحق شفاعته لشفعة جوار قلبي لقلبه ، وهذا معنى ما بعث على شغل
الكتاب به ، مع علمي باستقرار نفسه النفيسة ، إلا أنه — أبقاه الله — قد أبعد
عهدي من كتبه بما يقع التفاوض فيه ، والمراجعة عنه ، والحواطر في هذا الوقت
منقبضة ، والشواغل لها معترضه ، وأيام العمر في غير ما يفرض من الدنيا والآخرة

(١) عبارة مسالك الأبصار : «وهو يأبى رعيها» ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذي التزمه القاضى

في رسالته .

(٢) في (ب) : «قيدت» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) في الأصل : «هناك» ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

منقرضه ، ومتجدد نوبة يروت قد غمت كل قلب ، وهاجت المسلمين أشواقا
الى الملك الناصر ، وذكري بما ينفعه الله به من كل ذاكر ، وأخذ الناس في الترحم
على أقول هذا البيت والدعاء للحاضر والآخر - وليس إن شاء الله بآخر ، فما أدخر
المولى لهذه الحرب مجهودا ، ولا فلفت عسكريا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذنبي أن أحسن مطلبي * إساءة ففى سوء القضاء لى العذر

ومنه : وسيدنا يستوصى بالدار بدمشق فقد خلت ، وإنما الناس نفوس
الديار ، وأنا أعلم أن سيدنا فى هذا الوقت مشدود الخاطر عن الوصايا ، ومشغول
اللسان بتنفيذ ما ينفذه مما هو منتصب له من القضايا ، فما فى وقته فضلة ولكن
فضل ، وسيدنا يحسن فى كل قضية من بعد كما أحسن من قبل ، فهو الذى جعل بينى
وبين الشام نسا [وأنشأنى فيه الى أن أدخرت عقارا ونشبا] فعليه أن يرى
ما أقناه ، وينفى الشوك عن طريق اليد الى جناه ، والجار الى هذا التاريخ ما أندفع
جوره ، ولا أدرك غوره ، يعد لسانه ما تخلف يده ، ويدعى يومه ما يكذبه فيه غده ،
وأنا على انتظار عواقب الجائرين ، وقد عرف الغيظ منى ألفاظا مجهولة ما كنت
أسمع بأن أعرفها ، وكشف مستورا من أسباب الحرج ما يسرنى أن أكشفها
(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وأسوأ خلقا من السيء الخلق
من أحوجه الى سوء الخلق ، وما ذكرت هذا ليذكر ، ولا طويت الكتاب عليه
لينشر ، والسر عند سيدنا ميت وهو يقضى حقه بأن يقبر .

(١) فى الأصل : " يتوصى " بسقوط السين المهملة وتشديد الصاد ، ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (١) وقد أثبتناها عن (ب) . ليم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر رسالته .

(٣) أقنيت فلانا ، إذا أعطيته ما يقتنى .

وكتب : أدام الله أيام المجلس وخصه من لطفه بأوفر نصيب ، ومنحه من السعادة كل عجب وغريب ، وأراه ما يكون عنه بعيدا مما يؤمله أقرب من كل قريب — الخادمُ يخدمُ وينهى وصولَ كتابِ كريمٍ تفجرت فيه ينابيعُ البلاغة ، وتبرعت^(١) [له] بالحكم أيدى البراءة ، وجاد منه بسماء مزينة بزينة الكواكب ، وهطل منها لأوليائه كل صوب ولأعدائه كل شهاب واصل ، وتجلّى فما الغيد الكواكب ، وما العقود في الترائب ، وتفرق منه جيش الهم فانظر ما تفعل الكتب في الكتاب ، وما ورد إلا والقلب إلى مورده شديد الظما ، وما تحل به إلا ناظرة الذي عشي عن الهدى وقرب من العمى ، وما نار إبراهيم بأعظم من نوره ، ولا سروره — صلى الله عليه وسلم — حين نجا أعظم يوم وصوله من سروره ، فحيا الله هذه اليد الكريمة التي تنهل بالأنواء وتجزل سوابغ النعماء ، وتعطى أفضل عطاء يسرها في القيامة ، وتحوز به أفضل أنواع الكرامة ، فأما شوقه لعبده فالمولى — أبقاه الله — قد أوتي فصاحة لسان ، وسحب ذيل العي على سحبان ، ولو أن الخادم لسانا موات ، وقلبا يقال له هي هات ، لقال

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ، والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ، وإعلاه : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة إلى قوله تعالى : (لا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وأما الوصف بالوصوب ، أى المدوام والمزوم فقد ورد في القرآن للعذاب لا للشهاب ، قال تعالى : « ولهم عذاب واصل » .

(٣) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ، والقواعد تقتضى إثبات يائه والوقوف عليه بالألف فيقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المنصوص المنسوب مجرى المرفوع والمجورور في الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها في الوقف ، وهي لغة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :

* ولو أن واش باليمامة داره * انخ البيت . والأصح جواز ذلك في غير الضرورة ، ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم إن كان الياء انظر حاشية الخضرى ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقرءون عند الإغراء بالشئ : « هي هي » فإذا بنوا منه فعلا قالوا : هييت به ، أى أغريته .

ما عنده . وأذكر عهدَه وودَّه ؛ وباح بأشواقِه ، وذمَّ الزمنَ على آعتياقِه ؛ وأما تفضُّله
بكذا فالخادمُ ما يقوم بشكرِه ، ولا يقدِّره حقَّ قدرِه ؛ وقد أحال مكافأةَ المجلس على
مليٍّ قادرٍ ، ومسرةَ خاطرةٍ عليه يوم تُبلى السرائر ؛ والله تعالى يصِّله برزقٍ سنِّيٍّ يملأ
إناءه ، ويوضح هداه ؛ ولا يخلِّي المجلس من جميل عوائده ، ويمنحه أفضل وأجزل فوائده
إن شاء الله تعالى .

ومن مكاتباته يَدشوق الى إخوانه وأودائه ، ومحبيه وأوليائه —

كتب إلى بعضهم :

أأحبَّنا هل تسمعون على النوى * تحيةً عان أو شكيةً عاتب

ولو حملت ريحُ الشمال إليكم * كلاماً طَلبنا مثله في الجنائب

أصدر العبد هذه الخدمة وعنده شوقٌ يغور به ويُنجد ، ويستغيث من ناره بماء
الدمع فيجيب ويُنجد ؛ ويتعلَّل بالنسيم فيُغري ناره بالإحراق ، ويرفع النواظر إلى
السَّوان فيعيد لها الوجد في قبضة الإطراق ؛ أسفا على زمنٍ تصرَّم ، ولم يبق إلا وجدا
تصرَّم ، وقلبا في يد البين المُشتَّ يتظلم

ليالى نحن في غفلات عيش * كأن الدهر عنا في وثاق

فلاتنفس خادمه نفساً إلا وصله بذكرِه ، ولا أجرى كلاماً إلا قيده بشكرِه ، ولا سار
في قفرٍ إلا شبهه برحيب صدرِه ، ولا أطل على جبل إلا احتقره بعلِّ قدرِه ، ولا مرَّ
بروضةٍ إلا خالها تفتحت أزهارها عن كريم خَلقه ونسيم عطِرِه ، ولا أوقد المصطلون
نارا إلا ظنهم أقتبسوها من جميره ، ولا نزل على نهر إلا كآثر دمعِه يجره

(١) في (١) « جاءك » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والإحالة بالدين : نقلا من ذمة إلى ذمة

أخرى ، والاسم الحوالة بفتح الحاء .

(٢) الملي والملي بتشديد الياء : الغنى القادرة ، أو هو الحسن القضاء للدين م

١١٨

سقى الله تلك الدارَ عودَةَ أهلِها * فذلك أجَدَى من سحاب وقَطْرِه
 لن جَمَعَ الشَّمْلَ المَشْتَتِ شَمْلَه * فما بَعَدَها ذَنْبٌ يُعَدُّ لدهيره
 فكيف ترى أشواقه بعد عامه * إذا كان هذا شوقه بعد شهره
 بعيد قُربٍ منكم بضميره * يراكم إذا ما لم تروود بضميره
 ترحل عنكم جسمه دون قلبه * وفارقكم في جهره دون سره
 إذا ما خلت منكم مجالس ودّه * فقد عمّرت منكم مجالس شكره
 فياليل لا تُجَاب عليهم بظلمة * وطلعة بدر الدين طاعة بدره

ونسأل الله تعالى أن يمتن بقُربِهِ ورحابُ الآمال فسائح ، وركابُ الهموم طلائح
 والزمن المناظر بالقرب مسائح ؛ هنالك تُطَلِّقُ أَعْنَةُ الآمال الحوابس ، ويهتر مخضرا
 من السعود عودُ يابس

وما أنا من أن يجمع الله شملنا * بأحسن ما كنا عليه بآيس
 وقد كان الواجب تقديم عتبهِ ، على تأخير كُتبهِ ؛ ولكنه خاف أن يجنى ذنبا عظيما
 ويؤلم قلبا كريما

ولست براضٍ من خليلٍ بنائِلٍ * قليلٍ ولا راضٍ له بقليلٍ

- (١) كذا في (ب) ومسالك الأبصار والذي في (أ) «وان» وهو غير مستقيم .
 (٢) في كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .
 (٣) المناظر : المجادل .
 (٤) بالمقرب : متعلق بقوله : «مسائح» وقد ورد في الشعر تعديّة «سائح» بالباء ، قال الشاعر :
 ولكن إذا ما جل خطب فساحت * به النفس يوما كان للكره أذهب
 انظر اللسان .
 (٥) البيت لكثير عزة الأغاني ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

(١) . وحاشى جلاله من الإخلال بعهود الوفاء ، ومن أنحلال عقود الصفاء ، وما عهدتُ
عزمه القوى في حلبة الشوق إلا من الضعفاء ، وحاشية خلقه إلا أرق من مدامع
غرماء الحفاء

من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تقلل الأحشاء

وكتب أيضا في مثل ذلك : كتب مملوك المولى الأجل عن شوقي
قدح الدمع من الحفون شرارا ، وأجرى من سيل الماء نارا ، واستطال واستطار
فما توارى أوارا ، ووجد على تذكر الأيام التي عدت قصارا ، والليالي التي طابت
فكأنما خلقت جميعها أسحارا

وبي غمرة للشوق من بعد غمرة * أخوض بها ماء الحفون غمارا
وما هي إلا سكرة بعد سكرة * إذا هي زالت لا تزال نحمرا
رحلم وصبرى والشباب وموطني * لقد رحلت أحبابنا تتبارى
ومن لم تصاغ عينه نور شمسه * فليس يرى حتى يراه نهارا
سقى الله أرض الغوطتين مدامي * وحسبك سحبا قد بعثت غمرا
وما خدعتني مصر عن طيب دارها * ولا عوضتني بعد جاري جارا
أدار الصبا لا يثقل ربعك مربع * أرى غيرك الربع الأنيس قفارا

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك ، والمعنى واحد ، كما في الصحاح للجوهري ؛ وحاشى : اسم على
الصحيح مرادف للبراءة ، كما في معنى اللبيب في الكلام على «حاشى» التزيمية .

(٢) في مسالك الأبصار : «التي ذهبت» .

(٣) المراد بالغوطتين هنا : أرض الغوطة ، وإنما ذكرها بالثنائية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بالفظ
الثنائي ؛ والغوطة : هي الكورة التي منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا ، تحيط بها جبال عالية جدا
ومياها خارجة من تلك الجبال ، وتمد في الغوطة في عدة أنهر فتسقى بساقيها وزروعها و يصب باقيها في أجرة
هناك وبحيرة .

فما اعتضت أهلا بعد أهلك جيرة * ولا خلت دار الملك بعدك دارا
وما ضر اليد الكريمة التي أيادها بيض في ظلمات الأيام ، وأفعالها لا يقوم
بمدحها إلا ألسنة الأسنة والأقلام ، لو قامت للمودة بشرطها ، ومحت خط الأسي^(١)
بخطها ، وكتبت ولو شطر سطر ففرغت قلبا من الهم مشحونا ، وأطقت صبرا
في يد الكمد مسجونا ، ونزهت ناظر المملوك في رياض منشورة الحل ، وحلت عهوده
بمكارم مأثورة العلا

وما كنت أرضى من علاك بذال الحفا * ولكنه من غاب غاب نصيبه
ولو غيركم يرمي الفؤاد بسهمه * لما كان ممن قد أصاب يصيبه
ومالي فيمن فرق الدهر أسوة * كأن محبا ما ناه حبيبته
والمملوك مذ حطت مصر أثقاله ، وجهز الشام رحاله ، وألقت النوى عصاها
وحلت الآوبة عراها ، يكتب فلا يجاب ، ويستكشف^(٢) لهم بالحواب فلا يجاب
يا غائبا بلقائه وكتابه * هل يرتجى من غيبتيك إياب
ومتى يصفى الله ورد الحياة من التكدير ، ويتحقق بلقائه أحسن التقدير وهو
على جمعهم إذا يشاء قدير .

وزمان مضى فما عُرِف الأ قول^{*} إلا بما جنّاه الأخير
أين أيامنا بظلك والشّم * ل جميع والعيش غضّ نضير

(١) في كلا الأصلين : «ومضت» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ورد هذا الفعل في الأصل بالسين والتاء ؛ ولم نجد فيا لدينا من كتب اللغة أنه يقال :
«استكشف الهم» مثلا ، بمعنى طلب أن ينكشف ويذول ، كما هو المراد هنا ؛ والذي وقفنا عليه أنه
يقال : «استكشف عنه» إذا سأل أن يكشف له عنه ؛ وهذا المعنى لا يناسب ما هنا .

وحوشى المولى أن يكون عوناً على قلبه ، وأن يرحل إثره الرىُّ على سربه ، وأن ينسيه بإغباب الكتب ساعات قربه ، وأن يُحوجه الى إطلاق لسانه بما يصون السمع الكريم عنه من عتبه ؛ الأخ فلان مخصوصٌ بسلام كما تفتحت عن الورد كائمه ، وكما توضحت عن القطر غمائمُه

إذا سار في ترب تعرف تربها * برياه والتفت عليها لطائمُه^(٤)
وقد تبع الخلق الكريم فى الإغباب والجفوه ، وأعدت عزائمُه قلبه فاستويا فى الغلظة والقسوة

ان كنت أنت مفارقي * من أين لى فى الناس أسوه
وهب أن المولى اشتغل — لا زال شغله بمساره ، وزمنه مقصوراً على أوطاره —
فما الذى شغله عن خليله ، وأغفله عن تدارك غليله ؟ هذا وعلائقه قد تقطعت
وعوائقه قد ارتفعت ؛ وروضة هواه قد صارت بعد الغضارة هشيماً ، وعهوده
قد عادت بعد الغضاضة رميمًا

إن عهداً لو تعلمان ذمياً * أن تناما عن مقلتي أو تنيا
وما أولى المولى أن يواصل بكتبه عبده ، ويجعل ذكره عقده ، ولا ينساه ويألف
بعده ، ويستبدل غيره بعهده .

وكتب أيضاً :

أكذا كل غائب * غاب عمن يحبه
غاب عنه بشخصه * وسلا عنه قلبه

(١) لعله : « عن شربه » ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .

(٢) فى (١) : « غبه » ؛ وهو تحريف .

(٣) الترب : جمع تربة ، وهى الأرض ذات التراب . وهذا الجمع مطرد فى فعلاء مؤنث أفعل وفى مذكرة .

(٤) اللطائم : جمع لطيمة ، وهى المسك .

ولو أن لي يدا تكتب ، أو لسانا يُسهب ، أو خاطرا يسهل ، أو فؤادا يستبدل ،
لو صفتُ إليه شوقا إن آستمسك بالحنون نثر عقدها ، أو نزل بالجوانح أسعر وقدها ،
أو تنفس مشتاق أعان على نفسه ، وظنه استعاره من قبسه ، أو ذكر محب حبيبا
خاله خطر في خالده ، وتفادى من أن يخطر به ذكر جالده

حتى كأن حبيبا قبل فرقتيه * لا عن أحبته ينأى ولا بلده

بالله لا ترحموا قلبي وإن بلغت * به الهموم فهذا ما جنى بيده

ولولا رجاءه أن أوقات الفراق سحابة صيف تقشعها الرياح ، وزيارة طيف يخاعها
الصباح ، لاستطار فؤاده كمدا ، ولم يجد ليوم مسرته أمدا ، ولكنه يتعلل بميعاد
لقيامه ، ويدافع ما أعله بأعلاه أو عساه

غنى في يد الأحلام لا استفيدته * ودين على الأيام لا أتقاضاه

ومن غرائب هذه التفرقة ، وعوارض هذه الشقة ، أن مولاي قد بخل بكتابه
وهو الذي يداوى به أخوه غليل آكتثابه ، ويستعديه على طارق الهم إذا لج
في انتباهه

كمثل يعقوب ضل يوسفه * فاعتاض عنه بشم أثوابه

وهب أن فلانا عاقه عن الكتب عائق ، وأختدع ناظره كمن هو في ناضير عيش
رائق ، فما الذي عرض لمولانا حتى صار جوهر وده عرضا ، وجعل قلبي لسهام
إعراضه عرضا ؟

بي منه ما لو بدا للشمس ما طاعت * من المكاره أو للبرق ما ومضاً^(١)

وما عهدته - أدام الله سعادته - إلا وقد استراحت عواذله ، وعري به أفراس^(٢)

(١) البيت لأبي العلاء المعري (سقط الزند) .

(٢) لعله : « منه » ؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعري أفراس الصبا ورواحله

الصَّبا ورواحله ؛ إلا أن يكون قد عاد إلى تلك اللُّجج ، ومريض قلبه فما على المريض
 حرج ؛ وأياً ما كان ففى فؤادى اليه سريرة شوقٍ لا أذيعها ولا أضيعها ، ونفسى
 أسيرة غلة لا أطيقها بل أطيعها

وانى لمشتاق اليك وعاتب * عليك ولكن عتبة لا أذيعها

والأخ النظام — أدام الله أنتظام السعد ببقائه ، وأعدانى على الوجد ببقائه —
 مخصوص بالتحية إثر التحية ، وواللهنى على تلك السجية السخية ؛ وردت منها البابلية
 معتقاً ، وظلت من أسير الهموم ببقائها معتقاً

خلائق إماماء مزين بشهادة * أغادى بها أوماء كرم مصفقا^(٢)

وقد اجتمعت آراء الجماعة على هجرانى ، ونسوا كل عهد غير عهد نسيانى

وما كنتم تعرفون الجفا * فبالله ممن تعلمتم .

وكتب أيضا : إن أخذ العبد — أطال الله بقاء المجلس وثبت رفعة
 وبسط بسطته ، ومكن قدرته ، وكبت حسدته — فى وصف أشواقه إلى الأيام التى
 كانت قصارا وأعادت الأيام بعدها طوالا ، واللىالى التى جمعت من أنوار وجهه
 شمساً ومن رغد العيش فى داره ظلالا

وجدت أصطبارى بعدهن سفاهة * وأبصرت رشدى بعدهن ضلالا

وإن أخذ فى ذكر ما ينطق به لسانه من ولاء صريح ، ويعتقده جنانه من
 من ثناء فصيح^(٣)

(١) فى كلا الأصلين : « وأنى ما كان » ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من « ماء » وهو من صفقت الشراب إذا حوّلته من إناء إلى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن فى هذه الجملة التى قبلها تقدما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ؛ ولعل الأصل فىهما هكذا :
 « ما ينطق به لسانه من ثناء فصيح ، ويعتقده جنانه من ولاء صريح » فان الثناء محله اللسان ؛ والولاء ،
 وهو المحبة ، محله القلب .

تَعَاطَى مَنْالًا لَا يُنَالُ بِعِزِّهِ * وَكُلُّ اعْتِرَافٍ عَنْ مَدَاهِ طَلِيحُ

ولكنه يعدل عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيه الله للإسلام صدرا، وفي سماء الملة بدرا، وفي ظلمات الحوادث فخرا؛ وأن يجمع الشمل بحجاسه وعراض الآمال مطلولة^(١) وسهام القرب على محور البعد مدلوله، وعقود النوى بيد اللقاء محلوله، "وما ذاك على الله يعزير"^(٢).

فقد يجمع الله الشئتين بعد ما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وما رمت به النوى مراميا، ولا سلكت به الغربية مواميا^(٣)، إلا استنجد شوقه من الحفون هاميا، واستدعى من الزفرة ما يعيد مسلكه من الجوانح داميا، وصدر عن منهل الماء العذب النير ظاميا، وتعلل بالأمانى فى الاجتماع^(٤) "وأخر ما يبقى الإياس الأمانيا"^(٥) والسلوة أن الطريق بحمد الله أسفرت عن فضل اجتهاده، وفضيلة جهاده؛ ونصرة الإسلام، وإعلاء الأعلام؛ وخدمة المجلس الفلانى — أعز الله نصره، وأسعد بها جدّه، وبلغ بها قصده، وأمضى فى الكفر حدّه؛ وأورى بها الإسلام قدحا، وشرفت حديثا وشرحا، وأجهدت الأعداء إثنانا وجرحا^(٦).

(١) المطلولة : التى نزل عليها الطل .

(٢) البيت لقيس بن الملقوح، وهو المعروف بالمجنون .

(٣) الموامى : جمع موماة، وهى المفازة من الأرض .

(٤) فى (ب) «ولا ضرما يبقى» الخ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصول منصوبا؛ ولم يتضح لنا وجه نصبه فان القواعد تقتضى رفعه

اذ هو خبر للبند؛ وهو قوله : « وآخر » .

(٦) أسفرت بالهمز : تكشفت ؛ وهو استعار من قولهم : أسفر الصبح، أى انكشف وأضاء بإضاءة

لا يشك فيه، كما فى اللسان (ج ٦ ص ٣٦) .

(٧) الإثنان : المبالغة فى القتل .

وَأَبْقَىٰ بِهَا فِي جِبْهَةِ الدَّهْرِ أُسْطُرًا * إِذَا مَا أُنْمَحَىٰ خَطُّ الْكُؤَاكِبِ لَا تُنْمَحَى
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ فَالْفَتْحُ بَعْدَهُ * وَقَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ فَلْيَرْقُبِ الْفَتْحَا
فَأَمَّا الْخَادِمُ فَيُودَىٰ أَلَا يَزَالُ لَشَرَفٍ مُحْصَلًا ، وَلِتِلْكَ الْيَدِ الْكَرِيمَةِ مُقْبَلًا ، وَلِلْغُرَةِ الْمُتَهَلِّلَةِ
كَالصَّبَاحِ مُسْتَقْبَلًا

٥ مَحْيَا إِذَا حَيَّاكَ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ * فَتَحَتَ بِهِ بَابًا مِنَ اللَّطْفِ مُقْفَلًا
وَيُرَىٰ أَنْ خَيْرَ أَوْقَاتِهِ مَا كَانَ فِيهِ بِالْحَاشِيَةِ الْفَلَانِيَّةِ مَكَثَرًا ، وَتَحْتَ ظِلَالِ أَلْوِيَّتِهَا
سَاءَرًا

فَتَمَّ تَرَىٰ مَعْنَى السَّعَادَةِ ظَاهِرًا * وَتَمَّ تَرَىٰ حَزْبَ الْهَدَايَةِ ظَاهِرًا
وَالْخَادِمُ يُؤَثِّرُ مِنَ الْمَجْلِسِ الْمُوَاصَلَةِ بِالْمَرَامِ ^(١) [الَّتِي يُعَدُّ أَيَّامُهَا مِنَ الْمَوَاسِمِ] ^(٢) ، وَيُقَابِلُ
بِهَا أَوَجَةَ الْمَسَارِّ طَلْقَةَ الْمَبَاسِمِ ، وَيَرْتَقِبُهَا آرْتِقَابَ الصُّوَامِ لِلْأَهْلَةِ ، وَالرُّؤَادِ لِمَوَاقِعِ
١٠ السَّحَابِ الْمُنْهَلَةِ .

وَكُتِبَ عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى تَقِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :
سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْغُوطَتَيْنِ وَأَهْلَهَا * فَلِي بِمَجْنُوبِ الْغُوطَتَيْنِ جَنُوبُ
وَمَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ إِلَّا اسْتَفْزَنِي * إِلَى طَيْبِ مَاءِ النَّيْرِينِ ^(٣) حَنِينُ
وَقَدْ كَانَ شَكِّي فِي الْفِرَاقِ مَرْوَعِي * فَكَيْفَ أَكُونُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَقِينُ
١٥

(١) المراسم والمراسيم : المكاتيب .

(٢) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيرين قرية نيرب ، وإنما ذكرها الشاعر بالثنائية جريا على عادتهم من ذكر المفرد بالفظ
الثنائي ؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين وذكر ياقوت أنها أنزه موضع رآه ؛ وهذا
الشعر لأبي المطاع وجيه الدولة بن حمدان كما في معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع جوتينج .
٢٠ وفي (١) ” البيرتين “ ؛ وفي (ب) : « النيرين » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

كَمْ جَهْدٍ مَا نَسَلَى الْقُلُوبَ ، وَتَسَرَّى الْكُرُوبُ^(١) ، لَا سَيْمًا إِذَا كَانَ الَّذِي فَارَقْتَهُ
أَعْلَقَ بِالْأَكْبَادِ مِنْ خَلْمِهَا^(٢) ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ حُجْبِهَا ، وَهَلْ يَسْتَرْوِحُ إِلَّا أَنْ يَفُضَّ
خَتَامَ الدَّمْعِ ، وَيَخْتَرِقَ حِجَابَ السَّمْعِ ، وَيَسْتَغِيثَ بِسَمَاءِ الْعَيُونِ ذَاتِ الرَّجْعِ^(٣) ، لِتَجُودَ
أَرْضُ الْخَوَاطِرِ ذَاتَ الصَّدْعِ ، وَهَذَاكَ أَوْفَى مَا يَكُونُ الشَّوْقُ جَنَدًا ، وَأَوْرَى
مَا يُورَى الْوَجْدُ زَنَدًا

إِلَى زَفَرَةٍ أَوْ عَبْرَةٍ مُسْتَبَاحَةٍ * لِمَذَى مَرَّاحٍ عِنْدَهُ وَلَذَى مَغْدَى

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مَذَى فَارَقْتَهُ مَادَعَانِي الذِّكْرُ إِلَّا لَيْتَهُ بِجَوَابٍ مِنْ مَاءِ الْغَلِيلِ غَيْرِ قَلِيلِ
وَلَا ذَكَرْتُ خُلُقَهُ الْجَمِيلَ إِلَّا وَرَأَيْتُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ غَيْرَ جَمِيلِ

وغير كثيرٍ فيه وجدٌ كثيرٌ * ولوعةٌ قيسٍ والْتِيَا حُجْلٍ^(٤)

أَهْمِمْ بِرَسْمٍ فِيكَ لِلْجِدِّ وَاضِحٍ * وَهَامُوا بِرَسْمٍ لِلْغَرَامِ مُحِيلٍ^(٥)

وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ حَتَّى كَادَ يَشِيبُ لَهُ الْمَدَادُ ، لَوْ لَمْ يَخْلَعْ عَلَيْهِ النَّازِرُ حَلَّةَ السَّوَادِ
وَحَبَّةَ الْفُؤَادِ ، فَمَا رَدَّ ، وَجَارَ عَنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ قَطُّ مَا وَدَّ وَصَدَّ^(٦) ، وَأُثِّرُ مِنْهُ

أَلَّا يَحْكُمَ الْفِرَاقُ عَلَى فَيْشَتَّطٍ ، وَلَا يَمَكِّنَ اللَّوْعَةَ مِنْ مَهْجَتِي فَتَخْبِطُ^(٧)

بِحُفْدِي بَدْرٌ مِنْ بَحَارِكَ إِنِّي * مِنَ الدَّمْعِ فِي بَحْرِ وَليْسَ لَهُ شَطُّ

(١) تسرى بتشديد الراء : تنكشف .

(٢) الخلب بكسر الخاء : حجاب الكبد .

(٣) الرجوع بفتح الراء : المطر بعد المطر .

(٤) الالتياح في الأصل : العطش ، والمراد هنا شدة الهيام والشوق . والذي في الأصول :

«والتياح» ؛ وهو تحريف .

(٥) المحيل : الذي مضى عليه حول .

(٦) في الأصول : «ما رد» بالراء ؛ وهو تحريف .

(٧) يقال : هو يخبط في عَمِيَاءٍ إِذَا رَكِبَ مَا رَكِبَ بِجَهَالَةٍ .

بَكْفٍ بِهَا لِلْحَرْبِ وَالسَّامِ آيَةٌ * فَيُحْيِي لَدَيْهَا الْخَطُّ أَوْ يَقْتُلُ الْخَطُّ^(١)
وَنَسْأَلُ اللَّهَ الرِّغْبَةَ فِي أَجْتِمَاعٍ لَا يَكْدُرُ وَرُدُّهُ ، وَلَا يُنْثَرِ عِقْدُهُ ، وَلَا يَعُزُّبُ عَنْ آفَاقِ
الْوَفَاقِ سَعْدُهُ

وَمَا كَانَ حُكْمِي أَنْ أَفَارِقَ أَرْضَكُمْ * وَلَكِنْ حُكْمُ اللَّهِ لَسْنَا نَرُدُّهُ

وَكُتِبَ عَنْهُ أَيْضًا إِلَى عِزِّ الدِّينِ فَتَرَوْخَ شَاهُ^(٢) :

أَحِبَّابَنَا لَوْ رَزَقْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكُمْ * لَمَا رَضِيتُ بِهِ عَنْ قُرْبِكُمْ عِوَضًا
إِنِّي لَا أُعْجِبُ أَنْتِي بَعْدَ فِرْقَتِكُمْ * مَا صَحَّ جِسْمِي إِلَّا زَادَنِي مَرَضًا
أُنْبِيَكُمْ عَنْ يَقِينٍ أَنْتِ قَلْبِي لَوْ * أَضْحَى مَكَانَ جَنَاحِي طَائِرٌ نَهَضًا
هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ بِالْعَهْدِ فَيْكُ وَفَى * لَكَانَ حِينَ قَضَى اللَّهُ الْفِرَاقَ قَضَى

كُتِبَتْ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْمَوْلَى الْوَلَدِ - عَنْ قَرِيحَةٍ قَرِيحِهِ^(٣) ، وَإِنْسَانٍ مَقْلَةٍ جَرِيحِ
فِي جَرِيحِهِ ، وَلَوْعَةٍ صَرِيحِهِ ، وَذِكْرٍ الصَّبْرِ كَانَتْ طَرِيحِهِ

وَلَيْلٍ بَطِيءٍ طُلُوعِ الصَّبَا * حِ شَوْقًا إِلَى الْقِسْمَاتِ الصَّبِيحَةِ^(٤)
أَجَحَّتْ فُؤَادِي وَأَنْتِ الْمُبَاحُ^(٥) * وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تُبَيِّحَهُ
وَمَا أَصْحَبَتْ فِي قِتَالِ الْعَدُولِ * أَعْنَةُ قَلْبٍ عَلَيْهِمْ جَمُوحَهُ^(٦)

(١) فِي (١) : « يَقْبَلُ » بَيَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) كَذَا فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ١ ص ١٢٠ طَبْعُ بُولَاقٍ ؛ وَالَّذِي فِي كَلَامِ الْأَصْلَيْنِ : « فَرَخْشَاهُ »

بِدُونِ وَائِ .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ (١) وَقَدْ أُثْبِتْنَا هَا عَنْ (ب) إِذِ السِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا .

(٤) الْقِسْمَاتُ : وَاحِدُهُ قِسْمَةٌ بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا وَهِيَ الْحَسَنُ ، أَوْ أَعْلَى الْوَجْهِ ، أَوْ ظَاهِرُ الْخَدَيْنِ .

(٥) وَأَنْتِ « الْمُبَاحُ » ، أَيِ أَنْتِ الْفُؤَادُ الَّذِي أَجَحَّتْهُ .

(٦) أَصْحَبَتْ : انْقَادَتْ بَعْدَ صَعُوبَةٍ .

مُعْنَى بَرِيحٍ شَمَالٍ الشَّامِ * لَقَدْ عَذَّبَ اللَّهُ بِالرِّيحِ رُوحَهُ
فَلَا رَوْحَ اللَّهِ مِنْ قَرِيبِكُمْ * فَوَادَى بِخَطَرَةٍ يَأْسٍ مُرِيحِهِ
وَلَوْلَا التَّعَلُّلُ بِأَبْنِيَةِ الْمُنَى الْخَادِعَةِ ، وَالنَّزُولُ بِأَفْنِيَةِ الْأَسَا الْوَاسِعَةِ ^(١) ، لِتَصَدَّعَتْ
أَكْبَادُ وَتَفَطَّرَتْ ^(٢) ، وَتَجَدَّلَتْ أَفْرَاسُ دُمُوعٍ وَتَقَطَّرَتْ ^(٣)

يَا صَاحِبِي إِنَّ الدَّمُوعَ تَنْفَسْتُ * فَدَعَ الدَّمُوعَ تَبِيحَ مَا قَدْ أَضْمَرْتُ
قَدْ كُنْتُ أَكْتُمُ عَنْ وَشَاتِي سَرَّهَا * وَلَقَدْ جَرَى طَرْفُ الْحَدِيثِ كَمَا جَرَتْ
لِلَّهِ لَيَالٍ قَرَنَتْ بِخُومِهَا * بَلْ بَدَرَهَا بِوَجْهِ عَيْشٍ أَفْمَرَتْ
أَغْلَتْ عَلَى السَّلْوَانِ شَوْقُكُمْ فَمَا * بَاعَتْ كَمَا أَمَرَ الْغَرَامُ مَنْ أَشْتَرَتْ
وَمَذْ فَارَقْتُ تِلْكَ الْغَرَّةَ الْبَدْرِيَّةَ ، وَالطَّلْعَةَ الْعَزِيزَةَ الْعَزِيَّةَ ، مَا ظَفَرْتُ بِشَخِصِهِ نَوْمًا
وَلَا بِكِتَابِهِ يَوْمًا ١٠

* فَوَاعِجِبَا حَتَّى وَلَا الطَّيْفُ طَارِقًا !
وَأَعْجِبْ لَهُ فِي الْحَرْبِ نَثْرُ كَتَائِبٍ ^(٣) * بِكَفِّ أَيْتٍ فِي السَّلَامِ نَظْمِ كِتَابٍ ^(٤)
يَحَاسِبُنِي فِي لَفْظَةٍ بَعْدَ لَفْظَةٍ * وَمَعْرِوْفُهُ يَأْتِي بِغَيْرِ حِسَابٍ
وَلَوْ رَضِيْتُ - وَكَلا - بِأَنْ أَحْمَلَ مِنْ هَذَا الْجَفَاءِ كَلًّا ، لَمَا رَضِيَ بِهِ نَحْمَاقُهُ
الرَّضَى ، وَلَا أَخَذَ بِقَوْلِ الرَّضَى : ١٥

(١) الْأَسَا بِكسر الهمزة وتضم : جمع إسوة ، بالكسر والضم أيضا ، وهي ما يأتسى به الحزين .
(٢) تجددت : من جدله بتشديد الدال وتخفيفها ، أى صرعه على الجدالة بفتح الجيم ؛ وهي الأرض . وتقطرت : من قطره ، إذا ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه .
(٣) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفي هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : « وأعجب به له » الخ والذي يفهم من حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ٣ ص ١٨ س ٢٧ أن ذلك الحذف سائغ لا شذوذ فيه ، إذا المدار على أن يدل عليه دليل .
(٤) في كلا الأصلين : « أتت » بالثاء المثناة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في مسالك الأبصار ؛ ويدل عليه سياق ما قبله وما بعده . ٢٠

(١) هبوني أرضي في الإيَّاس بهجركم * أتَرْضَى لمن يرجوك ما دون وصله
والرغبة مصروفة العنان إلى الله أن يُدِّح من اللقاء مَنيعا ، وينتج من اللطيف صنيعا
لو تأخذون بساءة * من وصلكم عُمرى جميعا
لرغبت في أن تشترى * ان كنت تَرْضَى أن تبعا
ومفارقين مع الصبا * عز ما فهل أرجو الطلوعا (٢)
أقسمت لو رجعوا لأعد * يقبني الصبا معهم رجوعا
هبكم منعم [قربكم] (٤) * ولبستم بعدا منوعا
أفتمنعون بكم ضلوا * عا قد شفين بكم ولوعا (٥)
ما غايى إلا الدمو * ع وأستقل لك الدموعا

وكتب [أيضا رحمه الله تعالى] يتشوق :

فيارب إن البين أنحت صروفه * على وما لي من معين فكن معي
على قرب عدالي وبعدي أحبتي * وأمواد أجفاني ونيران أضلعي
هذه تحية القلب المعذب ، وسريرة الصبر المذبذب ، وظلامه عزيم السلو المكذب ،
أصدرتها الى المجلس وقد وقدت في الحشى نارها ، الزفير أوارها ، والدموع شرارها ،
والشوق أثارها وفي الفؤاد ثارها :

١٥

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان الشريف الرضى الموجود بين أيدينا .

(٢) لعله رغما بالراء المهملة والغين المعجمة .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في كلا الأصلين ؛ ولم يتضح لنا معناها ؛ ولعل الصواب : « فهل برحوا الضلوعا » .

(٤) لم يرد هذا اللفظ في (١) وقد أثبتناه عن (ب) اذ لا يستقيم البيت بدونه .

(٥) ولوعا مفعول ثان لقوله : « تمنعون » ؛ يقول : أفتمنعون الضلوع ولوعا بكم وشوقا اليكم وقد شفيت بقربكم فيما سلف .

(٦) لم ترد هذه العبارة في (١) .

٢٠

لو زارني منكم خيالٌ هاجرٌ * لهدته في ظلماته أنوارها
 أسفاً على أيام الاجتماع التي كانت مواسم لسرور الأسرار، ومباسم لشغور الأوطار؛
 وتذكر الأوقات عذب مذاقها، وعذب فراقها^(١)، وروقت بكرها، وروقت ذكرها
 والله ما نسيت نفسي حلاوتها * فكيف أذكر أنني اليوم أذكرها
 ومذ فارقت الجنب النورى - لا زال جنى جنايه نضيراً، وسنا سنائه مستطيراً^(٢)؛
 وملئ في الخافقين خافق الأعلام، وعزّه على الحديدين جديد الأيام؛ لم أقف منه
 على كتاب يخلف سواد سطوره ما غسل الدمع من سواد ناظري، ويقدم بياض^(٣)
 منظومه ومنثوره ما وزعه البين من سواد خاطري^(٤)
 ولم يبق في الأحشاء إلا صبا^(٥) * من الصبر تجرى في الدموع البوادر
 وأسأله المناب بشريف الجنب، وأداء فرض، تقبيل الأرض؛ حيث تلتقي وفود^(٦)

(١) في كلا الأصلين : « مراقها » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) السناء بالمد : الرفعة وعلو المنزل ، يقال منه : أسناه إذا رفعه .

(٣) كذا في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذي في كتاب الفاضل من كلام القاضي الفاضل
 المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٨ أدب " ويعزم "
 بالغين المعجمة والراء وفي كلا الأصلين : " ويعزم بياض " الخ بالعين المهملة والنزاي المعجمة ؛ وهو
 تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالسواد هنا ، العدد الكثير ، كما يفهم من سياق العبارة .

(٥) الصبا بضم الصاد : « البقية » .

(٦) كذا في (ب) وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ ؛ والمناب مصدر ميمي من النوب ، أى أن
 ينوب عنه ، كما يدل عليه سياق ما بعده . والذي في (أ) : " المناب " بالثاء المثناة ؛ والمعنى عليه
 غير ظاهر .

الدنيا والآخرة ، وتَغْمُرُ البيوتَ العامرةَ المنى الغامرة ؛ ويظَلُّ الظلُّ غيرَ منسوخٍ
بهجيرِهِ ، ويُنْشَرُ المجدُ بشيْخِص لا تسمع الدنيا بنظيره

تَظَاهَرُ في الدنيا بأشرفِ ظاهِرٍ * فلم يُرَ أنقى منه غيرَ ضميره

كفاني عزًّا أن أسمى بعبده * وحسبي هَدياً أن أسير بنوره

فأى أميرٍ ليس يشرف قدرُهُ * إذا ما دعاه صادقاً بأمرِهِ

وإنني في السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بها لذي تهاني تملأ يدي ، ويودع بها
عندي مسرَّةً تقتدح في الشكر زندي

عهدُك ذا عهدٍ هو الوردُ نَصْرَةً * وما هو مثْلُ الورد في قصر العهد

وأنا أرتقب كتابه أرتقابَ الهلال لتفطر عين عن الكرى صائمه ، وترد نفس على
موارد الماء حائمه .

وكتب أيضا يتشوق :

لَا عَتَبَ أخشاه لِقَطْعِ كتابِكُم * وَأَسْمَعُ فَعَذْرِي بَعْدَهُ لَا يُعْتَبُ

مهما وجدْتُك في الضمير ممثلاً * أبدا تُناجيني إلى مَنْ أكتبُ

كَتَبَ عَبْدُ حَضْرَةِ مَوْلَاهُ — حرس الله سَمْوَهُ ، وأدام مزيدهَ علائِهِ ونَمْوَهُ^(١) ، وَقَرَنَ

بِالْمَسَارِّ رِواحَهُ وغَدْوَهُ ، وَكَبَّتْ حاسدَهُ وأَهْلَكَ عَدْوَهُ — عن سلامة ما أَسْتَنِي فيها

الدَّهْرُ إِلَّا أَلَمَ فِرَاقُهُ ، وعَافِيَةٌ مَوْصُولَةٌ بِمَرَضِ قَلْبٍ لَا أَرْجُو مَوْعِدَ إِفْرَاقِهِ^(٢)

لو لم يكن إنسانٌ عيني ساجداً * لخشيتُ حينَ بَكَيْتُ مِنْ إِغْرَاقِهِ

(١) في (١) : « وسموه » بالسین المهملة ؛ وهو تحريف .

(٢) إفراق المريض : برؤه وإقباله .

(١) وعندى إليه وجدٌ يَكَلِّمُ الضلوع ، ويتكلمُ بالسنة الدموع ؛ والنفسُ قريبةٌ آستعبار ،

لذكرِ أوقاتِ السرورِ القصار ، وأنوارِها التي يكاد سنا برقها يَخْطَفُ ^(٢) الأبصار .

شهورٌ ينقضين وما شَعَرْنَا * بأنصافٍ لهنّ ولا سرارِ ^(٣)

١٢٣

إذ العيشُ غَضٌّ ورِيقٌ ، والمهجُّ لم يتقسّمها التفريق ، ولا سار منها إلى بلدٍ

فريقٌ وبقيَ في بلدٍ فَرِيقٌ ، ولا سقاها كؤوسٌ وجدٍ للجفونِ المترعةِ تَرِيق

ثمَلتُ منها وما إلى * سوى الغرامِ رَحِيق

وإلى الله الشكوى من شوقٍ في الصميم ، وصبرٍ راحلٍ وغرامٍ لا يَرِيم ، كأنه غريم

زعموا أن مَنْ تَبَاعَدَ يَسْلُو * لا ومُحِي العظامِ وهى رَمِيمُ

ولقد آستغربُ وُصُولَ الرفاقِ وقد صَفِرَتْ مِنْ كِتَابِهِ الكَرِيمِ عيَابُهُمْ ، ولو زاره لَعَدَهُ

تَحْفَةً الخَصِيسِ ^(٤) بالتخصيص ، وأدرك به بُغْيَةُ الحَرِيسِ ، ورأى للذهيرِ المذنبِ مَزِيَّةَ

التمحيصِ ، وَصَالَ به على نوائِبِ الأيامِ المتتابةِ صَوْلَةً لا يَجِدُ عنها من محيص

وحَسِبْتَنِي لِوَصُولِهِ * يعقوبَ بُشِّرَ بالقميصِ

(١) كذا في كلا الأصلين ؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنه يقال : "وجد إليه" ؛ والذي

يقال : "وجد به" ؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق ، فسوّغ له ذلك ذكر «إلى» مكان الباء .

(٢) في كلا الأصلين : «بالأبصار» ؛ والباء زيادة من النسخ ؛ أولعل أصل العبارة : «يذهب»

بدل «يخطف» واذن فتثبت الباء ؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى في سورة النور : «يكاد سنا برقه

يذهب بالأبصار» .

(٣) السرار بفتح السين وكسر ها : الليلة التي يستسرف فيها الهلال آخر الشهر ؛ ونقل عن الأزهري أن كسر

السين فيها لغة ليست بجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصيص ، من خصصته بذلك ؛ وقد راجعنا كتب اللغة التي بين أيدينا مادة (خص)

فلم نقف على هذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وجدنا استعمالها شائعا في بعض كتب الأدب كمعجم الأدباء.

لياقوت ، فقد قال في ج ٥ ص ١٥٢ عن أبي الفرج الأصفهاني : «وكان أبو الفرج الأصفهاني

صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد الخصيصين به» الخ .

هنالك يرتع في تلك الترياض التي غصونها أسطارها، وشكلها أطيأرها، وألفاظها
توارها، ومعانيها ثمارها، وبلاغتها أنهارها، وجزالتها تيارها

إن أظلمت للنفس فيها ليلة^(١) * قمر المعاني عندنا سمسارها^(٢)

ويتلقاه قبل يده بقلبه، ويكاد يسبق ضميره إلى أكله وشربه

ويظنه والطرف معقود به * شخص الرقيب بدا لعين محبه^(٣)

وإذا ضن مولاه بمأثوره، جاد عليه بميسوره؛ ...

فكأنتي أهديت للشمس السن * وطرحت ما بين المصاحف دفترا

وعلى كل حال فيسأله أن يواصله من مراسمه بما ينتظره ناظره ليجد نورا، وقلبه

ليستشعر به سرورا، وخاطرده ليجعله بينه وبين الهم سورا، وألا يخل رقيقة من كتاب

ولو بالقلائد القلائل من درر أقلامه، ودرارى كلامه .

وكتب : لو استعار الخادم — أدام الله نعمة المجلس — أنفاس البشر

كلاما، وأغصان الشجر أقلاما، وبياض النهار أطراسا، وسواد الليل أنقاسا،^(٤)

ما عبر عن الوجد الذي عبرت عنه عبراته، ولا عن الشوق الذي لا يستثير مثله معبدا^(٥)

(١) المراد بالسمسار هنا، الدليل والهادى . وأصل معناه : المتوسط بين البائع والمشتري، أو هو

السفير بين المحبين انظر القاموس .

(٢) كذا في كلا الأصلين . ولعله : « الحبيب » ، فإن تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما

أراد من الاستبشار به ، والتهلل لوروده ؛ ويدل على ذلك أيضا قوله : « لعين محبه » ؛ ولم نقف على
هذا البيت فيما لدينا من المظان .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام ؛

ولم نقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان .

(٤) أنقاس : جمع نقس بكسر النون ، وهو المداد .

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب ؛ وقيل : ابن قطني مولى ابن قطر ؛ مغنى معروف غنى في أول دولة

بني أمية ومات في أيام الوليد بن يزيد الأغاني ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب .

إذا هَزِجَتْ في الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ نَبْرَاتُهُ^(٢)، أَسْفَا عَلَى مَا عَدِمَهُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ، مِنْ ذَلِكَ
الْمَحْيَا الطَّلِيقِ، وَالْخُلُقِ الَّذِي هُوَ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ خَلِيقٌ، وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَحْسُنُ بِهَا كُلُّ
حُسْنٍ وَيَلِيقُ، وَيُعَذَّرُ كُلُّ جَفْنٍ يَسْفَحُ ذَخِيرَتَهُ شَوْقًا إِلَيْهَا وَيُرِيقُ

قِفَا أَوْخَذَا فِي الْعَدْلِ أَيْ طَرِيقٍ * فَمَا أَنَا مِنْ سَكْرِ الْهَوَى بِمُفْهِقٍ
أَمَا وَالْهَوَى إِنَّ الْهَوَى لَأَلِيَّةٌ * يَعْظُمُهَا فِي الْحَبِّ كُلِّ مَشُوقٍ
لَوْ أَنَّ الْهَوَى مِمَّا تَصَحَّ هِبَاتُهُ * لَقَاسَمْتُ مِنْهُ قَلْبَ كُلِّ صَدِيقٍ

وَمَا زَارَ نَاطِرَ خَادِمِهِ الْكَرَى إِلَّا تَمَثَّلَ لَهُ مَوْلَاهُ طَيْفًا يَهْمُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ، وَقَبِلَ
تَمْوِيَةً نَاطِرِهِ عَلَى قَلْبِهِ فِي وَصَالِهِ

وَوَدَّ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ مُدَّةً لَهُ * وَزَادَ فِيهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصِيرِ^(٣)

وَلَقَدْ وَجَدَ طَعْمَ الْحَيَاةِ لِبَعِيدِهِ مَرًّا، وَقَالَ بَعْدَهُ لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْقَلْبِ: مَرًّا
وَهَا هُوَ يَرْجُو فِي غَدٍ [وَعْدٌ] يَوْمِهِ * لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي لِمُنْتَظَرٍ عَذْرَا^(٤)

وَالِإِلَهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْغَبُ أَنْ يَجْعَلَهُ بِالسَّلَامَةِ مَكْنُوفًا، وَصَرَّفَ الْحِذْنَ
عَنْ سَاحَتِهِ مَكْنُوفًا، وَعَنَّانَ الصُّرُوفِ^(٦) عَنْ فَنَائِهِ مَصْرُوفًا، وَوُفُودَ الرِّجَاءِ عَلَى أَرْجَائِهِ
عُكُوفًا، وَأَنْ يُتَمَتَّعَ الْوَجْهَ^(٧) بِوَصْفِهِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مَوْصُوفًا

(١) يقال: هزج المعنى بكسر الزاي المعجمة وهزج بتشديدها، إذا طرب بتشديد الراء وترنم؛
والذي في كلا الأصلين: «رهجت»؛ وفيه قلب وتصحيف.

(٢) كذا في (ب) والذي في (أ) «مراته»؛ وهو تحريف.

(٣) في كلا الأصلين: «السمع»؛ وهو غير مستقيم؛ والتصويب عن سقط الزند، والبيت لأبي العلاء المعري

(٤) لم ترد هذه الكلمة في (أ) ولا يستقيم البيت بدونها.

(٥) في الأصول: «يأتى»؛ وهو تحريف.

(٦) في (أ): «مكنوفا» بالنون؛ وهو تحريف.

(٧) في كلا الأصلين: «الوجد» بالdal؛ وهو تحريف.

مَنْ كَانَ يُشْرِكُ فِي عِلَاقِ فَإِنِّي * وَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُنَّ حَنِيفًا

(١) وَقَدْ كَانَ يَنْتَظِرُ كِتَابًا يَشْرَفُهُ وَيَشْتَفُّهُ ، وَيَسْتَعْدِمُهُ عَلَى الْأَوَامِرِ وَيَصْرِفُهُ ؛ وَيَجْتَنِي ثَمَرَ
السُّرُورِ غَضَّ الْمَكَامِيرِ وَيَقْتَطِفُهُ ؛ فَتَأَخَّرَ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ التَّأْخِيرُ ظَنًّا ، وَلَا صَرْفَهُ [عَنْ]
أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ مَوْلَاهُ لَا تُحْدِثُ لَهُ الْأَيَّامُ بَخْلًا بِفَضْلِهِ وَلَا ضَنًّا

• وَلَوْ تُصَرَّفُ السَّحْبُ الْغَزَارُ عَنْ الثَّرَى * لَمَّا أَنْصَرَفْتُ عَنْ طَبْعِكَ الشِّيمُ الْحُسْنَى

وَهُوَ يَنْتَظِرُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا يَكُونُ عَمَلُهُ بِحَسْبِهِ ؛ وَيُثَبِّتُ لَهُ عَهْدَ الْخِدَامِ بِنَسْبِهِ

(١٢٤)

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي

وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي .

وَكُتِبَ أَيْضًا : كُتِبَتْ وَالْعِبَرَاتُ تَمْحُو السُّطُورَ ، وَيُوقَدُ مَائُهَا نَارَ الصَّدُورِ

وَيَهَيْتُكَ وَجَدًا كَانَ تَحْتَ السُّتُورِ ، وَيُرْسِلُ مِنْ بَيْنِ أَضْلَعِي نَفْسَ الْمُؤْتُورِ

١٠

قَدْ ذَكَّرْنَا عَهْدَكُمْ بَعْدَ مَا طَا * لَتَ لَيَالٍ مِنْ بَعْدِهَا وَشَهْوَرُ

عَجَبًا لِلْقُلُوبِ كَيْفَ أَطَاقَتْ * بَعْدَكُمْ ! مَا الْقُلُوبُ إِلَّا صَخُورُ

وَمَا وَرَدَتْ الْمَاءَ إِلَّا وَجَدَتْ لَهُ عَلَى كَبْدِي وَقَدًّا لَا بَرْدًا ، وَلَا تَعَرَّضْتُ لِنَفْحَاتِ

النَّسِيمِ إِلَّا أَهْدَى إِلَى جَهْدَا ، وَلَا زَارَنِي طَيْفُ الْخِيَالِ إِلَّا وَجَدَنِي قَدْ قَطَعْتُ طَرِيقَهُ

١٥

سُهْدَا ، وَلَا خَطَفَ لِي الْبَارِقُ الشَّامِيُّ إِلَّا بَارَاهُ قَلْبِي خُفُوقًا وَوَقْدًا

وَأَيْسَرُ مَا نَالَ مَنِّي الْغَلِيَّةُ * لَوْلَا أَحْسَسُّ مِنَ الْمَاءِ بَرْدًا

(١) فِي (١) : « وَمِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « وَيَهَيْتُكَ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) « خَطَفَ لِي » أَيِ لَمَعَ لَمَعَانَا يَخْطِفُ الْبَصَرُ .

فسقى الله داره ما شربت^(١) [من] الغمام ، وأيامنا بها وبدور ليالى تلك الأيام تمام^(٢)
 ذم الليالى بعد منزلة الآوى * والعيش بعد أولئك الأقوام^(٣)
 وكان قد وصل منه كتاب كالطيف أو أقصر زورا ، وكالحب أو أظهر جورا ،
 والربيع أو أبهر نورا ، والنجم أو أعلى طورا ، والماء الزلال أو أبعد غورا ، فنثرت^(٤)
 عليه قبلى ، وجعلت سطوره قبلى بل قبلى ، ووردت منه موردا^(٥)
 أهلا به وعلى الإظماء أنشده^(٦) * لو بل من غلى أبلت من على
 إلا أنه — أبقاه الله — ما عززه بثان ، ولا آنس غريبه ، وإنى وإياه غريبان^(٧)
 وكم ظل أو كم بات عندى كتابه * سمير ضمير أو جنان جنان
 وأرغب إليه — لا زالت الرغبات إليه — ، وأسأله — لا خيم السؤال
 إلا لديه — ، أن يلاطف بكتابه قلبى ، ويمثل لى بمثاله أيام قربى

(١) عبارة كلا الأصلين : « ما شربت الغمام » بسقوط « من » والسياق يقتضى إثباتها ، كما
 فى مسالك الأبصار ، يشير الكاتب بهذه العبارة الى قول الشريف الرضى :

سقى منى وليالى الخيف ما شربت * من الغمام وحياتها وحياتك

انظر ديوان الشريف الرضى .

(٢) البيت لجرير انظر ديوانه ص ١٢٤ ضبع المضبعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا

* ذم المنازل بعد منزلة الصبا * الخ البيت .

(٣) فى ديوان جرير : « الأيام » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء ، أى تجاهى ، ويجوز ضبطه بضم القاف وسكون الباء ، أى قصدى

تقول : أنا أقبل قبلك ، أى أقصد قصدك .

(٥) قبلى ، هو جمع قبلة بكسر القاف .

(٦) يريد أنه ينشد كتابه ، أى يطلبه على اظمائه إياه ، وقلة جدواه فى شفاء غلته ، كما يدل عليه مجز

البيت . وفى كلا الأصلين : « وعن الظلماء » ، وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر .

(٧) عززه : من التعزيز ، وهو التقوية والإعانة .

والله لولا أننى * أرجو اللقا لقضيت نحي
هذا وما فارقتمكم^(١) * ليكننى فارقت قلبي .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرت لدهرى جمعه الدار مرة * وتلك يد عندي له لا أضيعها
وطلعة مولانا يطالع عبده * وكل ربيع كان فيها ربوعها
فؤاد سقاء لا يعود غلبه * وعين رأته لا تفيض دموعها
ورد على الخادم كتاب المجلس - أعلى الله سلطانه وأثبتته ، وأرغم أنف عدوه
وكبته ، وأصمده بهمهم أسقامه وأصمته ، ولا أخل الدنيا من وجوده ، كما لم يخل
أهلها من جوده ، ولا عطل سماء المجد من صعوده ، كما لم يعطل أرضها من
سعوده - وهو كتاب ثان يثني إليه عنان الثناء ، ويصف لي حسن العهد
على التناء ، ويستنهض الأدعية الصالحة في الأطراف والآناء ، ويشير الخادم
بأنه وإن كان بعيد الدار فإنه بمثابة المقيم في ذلك الفناء ، وأن هذه
الخدمة التي أنعم الله عليه بها وثيقة الأساس على الدهر شامخة البناء ،
فقام له قائما على قدميه ، وسجد في الطرس ممثلا سجود قلمه ، وأسترعى الله العهد على
أنه تعالى قد رعى ما أودعه في ذمة كرمه ، وصارت له نجران^(٢) علاقة خير صرف إليها
وجهه فكأنها قبله ، ودعا بنى الآمال إلى اعتقاد فضل مالِكها فكأنما يدعوهم إلى

(١) في (١) : «وما قد فارقتمكم» ، و«قد» زيادة من النسخ اذ بها يخل الوزن ، وهذا الشعر ينسب
الى العيني من أهل مصر ، أو هو لظافر الحداد انظر خرقة القصر لعاد الدين الأصفهاني المأخوذ منه بعض
أجزاء بالتصوير الشسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٥ ٤ أدب ، والعيني الذي ينسب اليه
هذا الشعر غير الحافظ بدر الدين محمود العيني صاحب عقد الجمان في أخبار أهل الزمان .

(٢) كذا في (ب) ، وقد وردت هذه الكلمة في (١) مهملة الحروف من النقط ، ونجران في عدة
مواضع ، منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة .

ملّه ؛ والله يُوزِعه شكرَ هذا الافتقارِ على البعاد ، ولا يُخلِيه من هذا الرأى الجميل الذى هو ملجأ الاستناد ؛ وعقدُ الاعتقاد ؛ والخادم لا ينفك متطلعا لأخبار المولى فترده مفضلةً ومجمله ، ومفضلةً ومجمله ؛ ويعرف منها ما يعرف به موقع اللطف بالمولى فى أحواله ، ومكان النجح فى آماله ؛ وأنه بحمد الله فى نعمة منه — لا غير الله ما به منها ، ولا صرفها عنه ولا صرفه عنها — فيجدد لله الشكر والحمد ، ويبلغه ما يبلغه منها المراد والقصد ؛ ونسأل الله ألا يخلى الدولة الناصرية منه ناصرا لسلطانها ، وعينا لأعيانها ؛ وسيفا فى يد الإسلام يناضل عن حقه ، وفرعا شريفا يشهد مرآه بشرف عرقه ؛ والرأى أعلى فى إجرائه على ما عود من هذا الإنعام ، وزيادته شرفا بالاستنهاض — إن صلح له — والاستخدام .

(١٢٥)

ومن جواب آخر : ورد كتاب المجلس — أدام الله واردة الإقبال على آماله ، و [لا] سلبت الأيام نعمتى جميله وإجماله ، ولا آنحط قدر بدره عن درجتى تمامه وكماله ، وأحسن جزاءه عن ميثاق الفضل الذى نهض باحتماله — ووقفت منه على ما لا يجدد الشكر عنه محيدا ، وأنست به القلب الذى كان وحيدا ، وعددت يوم وصوله السعيد عيدا ، ووردت منه بئرا معطلة وحالت قصرا مشيدا ؛ ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وتلك الغاية ليست فى وسعى ، ولا تعلم نفس إلا ما طرق سمعها ، وتلك المحاسن ما طرق ثلثها سمعى ، ولا تتناول يد إلا ما وسعه ذرعها ، وهذه الأوباد الأبعاد ما طالها ذراعى ولا استقل بها ذرعى .

(١) افتقده وتفقده : طلبه عند غيبته .

(٢) فى (١) : « وسلبت » بسقوط « لا » ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) فى كلا الأصلين : « ميقات » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى (١) : « وأنسيت » ؛ وهو تحريف .

(٥) تعطيل البئر ؛ ألا تورد كما فى أساس البلاغة ؛ يريد أنها صافية الماء عذبة المورد لقلة الزحام عليها

المكدر لها .

٥

١٠

١٥

٢٠

- ومن آخر : خَلَدَ اللهُ أَيَّامَ المَجْلِسِ ، وَعَضَّدَ المَلَّةَ الحَنِيفِيَّةَ مِنْهُ بِحَامِيهَا ،
وَالأَرْكَانَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ سَيْفِهِ بِشَائِدِهَا وَبَانِيهَا ، وَأَمَتَعَ الدَّوْلَةَ المَحْمُودِيَّةَ بِعَزْمَتِهِ الَّتِي
حُسِّنَتِ الكِفَايَةُ بِهَا ، فَلَا غُرُوَّ أَنْ تَحْسُنَ الكِفَايَةُ فِيهَا ؛ وَلَا عَدِمَتِ الدُّنْيَا نَصْرَهُ
بِأَيَّامِهِ النَّصِيرَةِ ، وَالِدِينُ نَصْرَهُ بِأَعْلَامِهِ النَّصِيرَةِ ؛ المَمْلُوكُ يَقْبَلُ التَّرَابَ الَّذِي يَوْمًا يَسْتَقِرُّ
بِحَوَافِرِ سَيْلِهِ ، وَيَوْمًا يَسْتَقِرُّ بِحَوَافِرِ خَيْلِهِ — فَلَا زَالَ فِي يَوْمِ السَّلَامِ جُودُهُ سَخَابًا صَائِبًا ،
وَيَوْمِ الحَرْبِ شَهَابًا ثَاقِبًا — وَيُنْهَى أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ المَكْتُبَةُ الَّتِي أَسْتَيْقِظَتْ بِهَا آمَالُهُ
مِنْ وَسَنَاهَا ، وَأَفَادَتِهِ مَعْنَى مِنَ الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا أَذْهَبَتْ مَا بِالنَّفُوسِ مِنْ حَزَنِهَا ، وَتَلَقَّى المَمْلُوكُ
قُبْلَهَا بِالسَّجُودِ وَالتَّقْبِيلِ ، وَتَحَلَّى بِعَقُودِ سَطُورِهَا فَهِيَّاتٍ بَعْدَ هَذَا شَكْوَى التَّعْطِيلِ ؛
وَأَكْتَحَلَ مِنْ دَاءِ السَّهْدِ بِإِثْمِدِهَا ، وَأَدَارَ عَلَى الْإَيَّامِ كَأْسَ مَرَقِيدِهَا ، وَأَسْمَعَتْهُ نَغْمَ النَّعْمِ
الَّتِي هِيَ أَعْجَبُ إِلَى النَّفْسِ مِنْ نَغَمَاتِ مَعْبِدِهَا ، وَأَطَالَتِ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا رِكَابَ طَرَفِهِ
[فَمَا وَقُوفُ رِكَابِ طَرَفَةٍ] بِرُقَّةٍ تُهَمِّدُهَا ، وَضَرَعَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ وَسَائِلَ الْمُتَضَرِّعِينَ ،

- (١) الحوافر جمع حافرة ، وهى الأرض المحفورة ، كما قاله الأزهري .
(٢) القبل بضم القاف وسكون الباء الموحدة : الوجه انظر اللسان .
(٣) الإثم بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . ويقال إنه معرب . قال ابن البيطار فى المنهاج :
هو الكحل الأصفر ، ويؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالمشرق . وهو هنا مذكور على سبيل الاستعارة
والتشبي .
(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربته وأغفلها عن الكيد له .
(٥) التكلة عن (ب) ومسالك الأبصار .
(٦) البرقة والبرقاء : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، وجمعها برق بضم الباء وفتح الراء وبراء
بالكسر انظر اللسان . وفى معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٧٩ طبع جوتنجن أن (برقة ثمهد) لبني دارم
وذكر فى ج ١ ص ٩٤٢ فى الكلام على (ثمهد) نقلا عن نصر أن ثمهد جبل أحمر حوله أبارق كثيرة
فى ديار غنى ؛ ونقل عن غيره أن ثمهد موضع فى ديار بني عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة الى قول طرفه
ابن العبد فى مطلع معلقته :

لحولة أطلال برقة ثمهد * تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

وَيْلًا مَوَاقِعَ آمَالِ الْمُتَوَقِّعِينَ ؛ أَنْ يَغْلَّ عَنْهُ كُلُّ يَدٍ لِلْخُطُوبِ بِسَيْطِهِ ، وَيَفْكَ بِهِ كُلَّ رِبْقَةٍ لِلْأَيَّامِ بِأَعْنَاقِ بَذِيهَا مُحِيطِهِ .^(١)^(٢)

ومن آخر : رفع الله عماد الإسلام ببقاء المجلس ، وبسط ظله على الخلق ، ومَلَكَ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ قَصَبَ السَّبْقِ ، وَجَمَعَ بِتَدْيِيرِهِ بَيْنَ نَاصِيَتَيِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ؛ وَأَلْفَ لِقَدْرَتِهِ طَاعَتِي الْجَهْرِ وَالسِّرِّ ، وَصَرَّفَ بِعِزِّهِ زِمَامِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ ، وَأَحْرَزَ لِحَدِّهِ مَسَرَّتِي الْأَجْرِ وَالنَّصْرِ ، وَقَطَّ بِفَتْكَتِهِ شَوْكَتِي الْمَفَاقِ وَالْكَفْرِ — وَرَدَّتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ مَكَاتِبُهُ كَرِيمَةً رَفَعَهَا حَيْثُ تُرْفَعُ الْعِمَامُ ، وَمَدَّ إِلَيْهَا كَمَا تُمَدُّ إِلَى الْغَمَامِ ؛ وَفَضَّهَا ، بَعْدَ أَنْ قَضَى بِاللَّيْلِ فَرَضَهَا ، وَأَسْتَمَطَرَتْ نَفْسُهُ سَمَاءَهَا فَأَرْضَتْ أَرْضَهَا ؛ وَكَادَ الْمَمْلُوكُ يَتَأَمَّلَهَا لَوْلَا أَنَّ دَمْعَ النَّازِلِ إِلَى الْعَيْنِ سَبَقَهُ ، عَلَى أَنَّهُ دَمْعٌ قَدْ تَلَوَّنَ بِتَلَوْنِ الْأَيَّامِ فِي فِرَاقِهِ ، فَلَوْ فَاضَ لَعَصْفَرُ الْمَكْتَابِ وَخَلَقَهُ ؛ فَلَا أَعْدِمُهُ اللَّهُ الْمَوْلَى حَاضِرًا وَغَائِبًا ، وَمُشَافِهًا وَمُكَاتِبًا ، وَأَحْلَهُ فِي جَانِبِ السَّعَادَةِ وَيَعِزُّهُ عَلَى الْمَمْلُوكِ أَنْ يَحِلَّ مِنْ مَوْلَاهُ جَانِبًا .^(٣)^(٤)^(٥)

ومن آخر : وَرَدَ كِتَابُهُ وَوَقِفْتُ عَلَى مَا أَوْدَعَهُ مِنْ فَضْلِ خَطِّ وَفَصْلِ خِطَابِ ، وَعُقَائِلِ عَقُولٍ مَا كَمَا لَهَا مِنَ الْأَكْنَءِ وَإِنْ كَا مِنَ الْخُطَابِ ، وَآثَارِ أَقْلَامِ

(١) عبارة كلا الأصلين « كل رقبة للانام » الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، ويعينه قوله : « محيطه » .

(٢) هذه الكلمة في (١) مهملة الحروف من النقط .

(٣) القط : القطع عامة .

(٤) يقال : عصفت الثوب ، أى صبغته بالعصفر ، ودو نبات سلافته الجريال ، وبذر القرطم وهو ريفى وبرى ، وكلاهما ينبت بأرض العرب .

(٥) خلقه بتشديد اللام : طلاه بالخلق ، وهو طيب يتخذ من الزعفران وغيره .

(٦) وأحله ، أى وأحل المملوك ؛ يريد الدعاء لنفسه بأن ينزله الله فى جانب السعادة ، أى جانب المكتوب إليه .

(٧) فى كلا الأصلين : « وان كانت » وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا ؛ فان الخطاب جمع خاطب ، كما فى اللسان .

تُناضل عن الملة نضال النضال، وكأنها فضل سبق^(١) لما تحوزد من حق السبق^(٢) وخصل
الحصل بـ فأعيد الإسلام من عدمه، ولا عدم بسطة تلمه، وثبوت قدمه بـ فإنه
الآن عين الآثار، وأثر الأعيان، وخاطر الحفظ إلا أن الخطوب تصحب فيه خواطر
النسيان بـ ولئن آهتصر الدهر سطوا^(٣)، واختصر خطوا^(٤)، وإنه سيف يمان إن قدم
عهدا، فقد حسن فرندا، وخشن حدا^(٥)، وأجرى نهرا، وأورى شررا^(٦)، وأخضر نخيلة،
وقطع الأيام جيلة^(٧) بـ وضارب الأيام فأجفلت^(٨) عن مضاربها ضرائبها^(٩)، وشردت عن
عزمه غرائبها^(١٠) بـ ولبسها حتى أنهجت بواليا^(١١)، ثم آختر منها أياما وأبى أن يلبسها
لياليا^(١٢) بـ لا جرم أن صحيفته البيضاء شعار شعيرة، وروضة علمه الغناء قد جات أنوار
نوره، وزواهر زهره^(١٣) بـ فالزمان لا يعدو عليه بزمانة تعدو^(١٤)، ولا يتجاوز أوقاته
إلا موسومة بحاسنه ولا يعدو^(١٥) حتى يمت إليه عدو يلتفت^(١٦) أمس، ويروى اليوم

﴿١٢﴾

- (١) يريد، السبق إلى الإسلام الذي كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كعلي
ابن أبي طالب وأبي بكر وغيرهما .
- (٢) الخصل : الخطر الذي يترادى عليه في الرمي ؛ يقال : أحرز فلان خصله ، والمعنى أنه غلب .
والخصل : مصدر خاضه ، إذا راهته في الرمي .
- (٣) في كلا الأصلين : «سطورا» وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ؛ واحتصر الدهر
جذبه وأماله ؛ ومن نعوت الأسد المهتصر .
- (٤) واختصر خطوا : آية عن الوثب ، فإن الواثب يقل الخطو إلى غايته .
- (٥) فرند السيف : جوهره .
- (٦) أجفلت : تفرت وأسرعت في الهرب . وفي كلا الأصلين : « وأحفلت » بالحاء المهملة
وهو تصحيف .
- (٧) الضرائب : جمع ضريبة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة . وإنما ثبتت فيه التاء مع أنه بمعنى المفعول
لأنه صار في عداد الأسماء .
- (٨) يقال : أنهج الثوب ، إذا أخذ في البلى .
- (٩) في كلا الأصلين : « الخنا » وهو تحريف لا يظهر له معنى .
- (١٠) في كلا الأصلين : « عليه » وهو تحريف .
- (١١) يلتفت ، أي ينصرف عنه ويعرض .

أَنَّ قَرَابَتَهُ مِنْ فَضْلِهِ أَمَسَ ؛ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَتَنِي لِأَرَى لَهُ وَلَا أَرَى فِيهِ ، وَأُسَدُّ عَنْهُ
كُلَّ خَرَقٍ تَعَجَّزَ عَنْهُ يَدُّ رَافِيهِ ؛ ضَنَا بِالصَّدُورِ أَنْ تَخْلُوَ مِنْ صَدْرِ كَقَلْبِهَا ، وَمَحَامَاةً عَنْ
حَقُوقِ تَقْدِيمَتِهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا أَنْ تُعَارِضَ بِسَلْبِهَا .

وَمِنْ آخِرٍ : وَصَلَ كِتَابُ الْحَضْرَةِ بِفَعْلٍ مُسْتَقَرَّةٍ النِّعْمَةَ فِي الصَّدُورِ ،
وَأُخْرِجْتَنِي ظِلْمَاتُ خَطِّهِ إِلَى نُورِ السَّرُورِ ؛ وَوَقِفْتُ وَكَأَنِّي وَقِفْتُ عَلَى طَلِيلٍ مِنَ
الْأَحْبَةِ قَدْ بَكَى عَلَيْهِ السَّحَابُ بِطَلِّهِ ، وَابْتَسَمَ لَهُ الرُّوضُ عَنْ أَخْبَارِ أَهْلِهِ وَأَثَارِ مِنْهَلِهِ ؛
فَلَمْ أَزَلْ أُرْشِفُ مَسَكَ سَطُورِهِ وَلَمَّا هَا ، وَأَنْزَعُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَيْنَ حَسَنِهَا وَجَنَانِهَا ؛
وَأُطْلِقُ عِنَانَ شَوْقٍ جَعَلْتُ الْأَقْلَامَ لَهُ جُمُأً ، وَحَسِبْتُ النَّفْسَ لَيْلًا ، وَالْكِتَابَ طَيْفًا ،
وَالْوُقُوفَ عَلَيْهِ حُلُمًا ؛ إِلَى أَنْ قَضَيْتُ النَّفْسَ وَطَرًا ، وَحَمَلْتُ الْخَوَاطِرَ خَطَرًا ،
وَقَرَنْتُ بِمَا ظَنَنْتُهُ سَحَابًا مَا ظَنَنْتُهُ مَطَرًا ؛ هَذَا عَلَى أَنَّهُ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِيَدِ النِّعْمَاءِ ، فَإِنْ هَرَبَ
فَمِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ .

وَمِنْ آخِرٍ : فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْكِتَابِ جَدَّدَ الْعَهْدَ بِلَيْثِمِهِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَى الْيَدِ
[الَّتِي] بَعَثَتْهُ ، وَشَفَى الْقَلْبَ بِضَمِّهِ عَوَضًا عَنْ الْجَوَانِحِ الَّتِي نَفَثَتْهُ^(٢)
وَأَيْنَ الْمَطَامِعُ مِنْ وَصْلِهِ * وَلَكِنْ أَعْلَلُّ قَلْبًا عَلِيلًا .

وَمِنْ آخِرٍ : وَصَلَ كِتَابُهُ ، وَكَانَ مِنْ لِقَائِهِ طَيْفًا إِلَّا أَنَّهُ أُنْسَ بِالضُّحَى ، وَأَنَارَ
حَرْبَ الشَّوْقِ وَكَانَ قُطْبَ الرِّحَى

تَنْحَطُّ إِلَى الْهَوْلِ وَالْقَفْرِ دُونَهُ * وَأَخْطَارُهُ لَا أَصْغَرَ اللَّهُ مَمْشَاهُ .

(١) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ : « وَقَرَنْتُهُ » ؛ وَالْهَاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ (١) ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا ، كَمَا فِي (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كُتِبَ إلى نحري
ضمته، وذُكِرْتُ به الزمن الذي ما ذمته، وأكبرت قدره حين تسلمته^(١) [أستلمته]
والتقطت زهره حين لمحتَه أستلمحته، وامترج بأجزاء نفسي حين لحظته حفظته،
وجمعت بينه وبين مستقره من صدري، وأستطلت به مع قصره على حادثات
دهري، وجعلت سحره بين سحري ونحري^(٢)، وأستضأت به ورشفته فهو نهاري وهو
نهري، فإن أردت العطر بلا أثر أمسكت مسكه بيدي، وإن أردت السكر بلا إثم
أدرت كأسه في خلدي، فله أنامل رقتَه، ما أشرف آثارها ! وخواطر أملتَه،
ما أشرق أنوارها ! ولم أزل متنقلا منه بين روضة فيها غدير، وليلة فيها سمير،
وإمارة لها سرير، ومسرة أنا لها طليق أسير، ونعمة أنا لها عبد بل بها أمير،
حتى أدبرت عني جيوش الأسي مفلولة، وقصرت عني يد الهم مغلوله، وملئت مني
مسمع المكارم حمدا، وخواطر الصنائع ودا، وحط الأمل بربعي رحله، وأنبت
الربيع بفنائى بقله، وليست من الإقبال أشرف خلعه، ووردت من القبول أغزر
شرعه، وأتجعت من رياض الرجاء أرجى ثجعه .

وقال أيضا من آخر : هذا من عفو الخواطر، فكيف إذا استدعى
المجلس خطية خطه بجاءت تعسيل^(٣)، وحشد حشود بلاغته فأتت من كل حدب^(٤)
تنسل ! .

- (١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضى إثباتها، ويرشد إليها أيضا ما يأتي في الجملتين اللتين بعدها، والمراد بالاستلام هنا، التقبيل، تشبها له بالحجر الذي يستلمه الجميع .
- (٢) السحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرئة، أراد ما يحاذيها من الصدر .
- (٣) الخطية : رماح تنسب إلى الخط، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من الهند فتباع به .
- (٤) غسل الرمح غسلًا وعسلًا : اشتد اهتزازُه واضطرب .
- (٥) الحدب بفتح الحاء : الغلظ المرتفع من الأرض . وتنسل : تسرع .

ومن آخر : وَرَتَعَ فِي رِيَاضِ بِلَاغَتِهِ الَّتِي لَمْ يَقْتَطِفْهُنَّ مِنْ قَبْلِهِ غَارِسٌ
وَلَا جَانٌ ، وَاجْتَلَى الْحُورَ الْمُقْصُورَاتِ فِي الطُّرُوسِ الَّتِي لَمْ يَطْمُشْنَ^(١) إِنْسٌ قَبْلَهُ
وَلَا جَانٌ ، وَغَنَى بِتِلْكَ الْمَحَاسِنِ غَنًى خَيْرًا مِنَ الْمَالِ ، وَاعْتَقَدَ^(٢) فِيهَا كَنْوزًا إِذَا شَاءَ
أَنْفَقَ مِنْهَا الْجُمْلَ ، وَإِذَا شَاءَ أَمْسَكَ مِنْهَا الْجَمَالَ .

وقال أيضا : كَتَبْتُ أَشْتَمَلَ عَلَى بَدِيعِ الْمَعَانِي وَبَاهِرِهَا ، وَزَخَرْتُ بِحَارِ
الْفَضْلِ إِلَّا أَنِّي مَا تَعَبْتُ فِي آسَةِ خِرَاجِ جَوَاهِرِهَا ، بَلْ سَبَحْتُ حَتَّى تَنَاوَلْتُهَا ،
وَجَنَحْتُ إِلَى فَمَا حَاوَلْتُهَا ، وَأَقْتَبَسْتُ مِنْ مَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ ، وَبَدَائِعِ أَصْنَافِهِ ،
نَكَا أَسْتَقَلَّتْ أَجْسَادُهَا بِالْأَرْوَاحِ ، وَزُهِيتْ جَيَادُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الْغُرَرِ وَالْأَوْضَاحِ ،
فِي اللَّهِ مِنْ بَدَائِعِ وَرَوَائِعِ ، وَاطْأَافَ وَطَرَائِفَ ! فِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ،
وَمَا يَقْرُطُ الْأَسْمَاعُ وَيَقْرُطُ^(٣) الْأَلْسُنُ ، فَكَأَنَّهُ طَرْفُ^(٤) طَرْفٍ صَوْبُهُ مِدْرَارٌ ، وَعَلَمٌ عِلْمٌ
مَنْصُوبٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ، صَحَّحَ السِّحْرَ وَإِنْ كَانَ ظَنًّا ، وَفَضَّحَ الذَّرَّاءَ إِذَا كَانَ أْبْرَعٌ
مَعْنَى ، وَأَسْنَى حُسْنًا ، وَأَدْنَى مَجْنَى ، وَأَغْنَى مَغْنَى ، فَمَا ضَرَهُ تَأْخِيرُ زَمَانِهِ ، مَعَ تَقْدِيمِ
بَيَانِهِ ، وَلَا مَنْ سَبَقَهُ فِي عَصِيرِهِ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي شَعِيرِهِ .

١٢٧

(١) الطمث : الافتضاخ ، وبابه نصر وصرب .

(٢) اعتقد : أحرز وأقنى .

١٥

(٣) يقرط الأسماع ، أى يحلى به الأسماع كما تحلى الآذان بالأقراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ،
وهو ما يعلق من الحلى في شحمة الأذن . (ويقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ، أو هو من تقريط
الفرس ، وهو إلحامه ، والمراد أن ما في هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته ويلجم الأفواه
عن مساجلته ، وفي الأصول : « يفرط » بالفاء الموحدة في كلا اللفظين ، وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٤) كذا في كلا الأصلين ، ولم نجد من معاني هاتين الكلمتين ما يناسب سياق ما هنا ، ولعل صواب العبارة :
« فكأنه قطر قطر » الخ فالأولى مصدر قطر الماء بقطر ، إذا سال . والثانية بمعنى المطر ، كما تدل على ذلك
بقية الجملة .

٢٠

ومن آخر : والله هو من كتاب لما وقفت عليه الغلة شفاها ، ورأت
 وردّها كل ماء غيره سفاها ، ووطأ مضاجع أنبيها بعد أن كان الشوق يقلب^(٢)
 الجنوب على سفاها ، فلا عدم ودّها الذي به عن كل مودة سلوة ، ولا برحت^(٣)
 كفاية الله تحلها في الذرا وتعالى قدرها في الدرود ، ولا فقد مما ينعم به أي نعمه ،
 ولا مما ينشيه أي نشود .

ومن آخر : كتاب كريم تبسم إلى ضاحكا ، وظنّ مدادّه أنه قد جلا
 سطره على حالكا ، فما هو إلا سواد الحديقة منه أنبعثت الأنوار ، وما هو إلا سويداء^(٤)
 ليلة الوصل أشتملت على دجى تحته نهار ، فله هو من كتاب استغفر الدهر ذنب
 المشيب بسواده ، وأستدرك الزمان غلظه بسداده .

ومن آخر : كتاب تقارعت الجوارح عليه فكادت تتساهم ، فقالت اليد :
 أنا أولى به ، شددت على مولاه ومولاي عقد خنصرى ، ورفعت اسمه فوق منبرى ،
 وقبضت عليه قبضتى ، وبسطت في بسط راحته وقت الدعاء راحتي ، وقالت العين :
 أنا أولى به ، أنا وعاء شخصه ، والى يرجع القلب في تمثيله ونصّه ، وأنا سهرت بعد^(٥)
 رحيله وحشة ، وأنا إذا ذكر هجير القلب علته رشة بعد رشة ، فقال القلب :
 طمعما في حقي لأنى غائب ، وهل أنت لى يا يد إلا خادم ؟ وهل أنت لى

(١) السفاه بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) فى (أ) : « نقلت » ، وهو تصحيف .

(٣) السفاه : الشوك ، وفى كلا الأصلين : « شفاها » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) سويداء : تصغير لسوداء ، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) فى كلا الأصلين : « عليه » ، وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ، وعلته : من العلل بفتحيتين
 وهو الشرب الثانى .

يا عينُ إلا حاجبٌ ؟ أنا مستقرُّه ومستودعه ، ومرتعته ومشرعه ، وأنا أذكُّه وبه
أذكُّكم ، وأحضره ولخدمته أحضركم ؛ فاليدُ أستخدمها مرَّةً في الكتابة إليه ،
ومرَّةً في شدِّ الخنصر عليه ؛ ومرَّةً في الإشارة إلى فضله ، ومرَّةً في الداءِ بكلِّ
صالحٍ هو من أهله ؛ والعينُ أستخدمتها في ملاحظة وجهه آثماً ، وفي توقُّع لقائه غائباً ؛
وفي السهيد شوقاً إلى قربه ، والمطالعة لما يخرج أمرى بكتبه من كتبه ؛ فهناك
سلمتنا واستجرتنا ، وألقنا واستأخرنا ؛ وكدتُ أرشِفُ نفسه لأنقله إلى سويده ،
لولا أن سواد العين قال : أنا أحوِّجُ إلى الاستمدادِ من هُداة .

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكِبَ نصف قرائنه على نصف بيت
نحو قوله :

وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ بَعْدَ مَا * أَصَاتِ الْمَنَادَى لِلصَّلَاةِ فَأَعْتَمَا^(٥)

فلما استقرَّ لدى ، « تجلَّى الذي من جانب البدر أظلماً » فقرأته ، « بعينٍ إذا
استمطرتها أمطرتُ دماً » وسألتُه ، « فسألتُ مصروفاً عن النطقِ أعجماً » ولم يردَّ
جواباً ، « وماذا عليه لو أجاب المتبياً » ورددته قراءة ، « فعوجلتُ دون الحليم أن
أتحلماً » وحفظته ، « كما يحفظ الحرُّ الحديثَ المكتماً » وكترته ، « فمن حيثما واجهته
قد تبسماً » وقبلته ، « فقبلتُ دراً في العقود منظماً » وقمتُ له ، « فكنتُ بمفروض

(١) عبارة الأصول : « في ملاحظة وجهه غائباً ، وفي توقُّع لقائه آثماً » ؛ وظاهر أن في نهايتي
هاتين الجملتين تقديمًا وتأخيرًا ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٢) استجرتنا : انقادتنا ؛ يريد أنهما وافقتاه على دعواه ؛ والذي في كلا الأصلين : « استجرتنا »
بالحاء المهملة والنون ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٣) في كلا الأصلين : « نفسه » بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف ؛ والتعسف بالكسر المداد .

(٤) في كلا الأصلين : « أصاب » بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وأصوات :
نادى ؛ وهو من الصوت .

(٥) هذه اللام ساقطة من (١) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما في (ب) .

المحبة قيما» وأخلصت لكتابه، «وليس على حكم الحوادث محكما» ولم أصدفه،^(٢)
«ولكنه قد خالط اللحم والدم» وأزحت وصوله، «فكان لأيام المواسم موسما»
وداويت غليل «حشا ضرت ما فيه من النار ضرما» وشفيت غليل «فؤاد أمنيته»
وقد بلغ الظما «فأما تلك الأيام التي «حماها من اللوم المتقاسم على الحمى» والليالي^(٣)
العذاب التي «ملأن نحر الليل بيضا وأنجما» [فأني لأذكرها، «بصبر كما قد صرمت»^(٤)
قد تصرما] وأرسل الزفرة «فلو صاحفت رضوى لرض وهدما» وأرسل العبرة،^(٥)
«كما أنشأ الأفق السحاب المديما» وأخطب السلوه، «نأسأل معدوما وأقفل معدما»^(٦)
«كذا في كلا الأصلين وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ وارتباط هذا الشطر بما قبله من النثر غير ظاهر؛
ولعله: «ولست» بزيادة تاء الضمير يقول: إني لا أملك رد الحوادث التي تعوقني عن أن اكتب إليه
بما عندي له من الشوق. وإذن يكون الارتباط واضحاً.

(٢) ولم أصدفه، أي لم أغشه بالصدف بفتح الصاد والdal، كما يغشى الدر. والذي في صبح الأعشى
ج ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالفتح المثناة وهو تصحيف.

(٣) والذي في كلا الأصلين وصبح الأعشى: «حماها على اللوم» الخ. ولم نقف فيما لدينا من كتب
اللغة على تعدية هذا الفعل ب «على».

(٤) البيض: جمع أبيض، ومن معانيه الرجل النقي العرض؛ والظاهر أن ذلك هو المراد هنا؛ يريد
وصف خلانه وجلسائه بنقاء أعراضهم من الدنس والعيوب؛ وانهم كالنجوم في عاق الشرف وبعد المنزلة.
(٥) هذه النكلة ساقطة من كلا الأصلين وصبح الأعشى؛ وقد نقلناها عن تذكرة الصفدي؛ إذ لا يستقيم
الكلام بدونها.

(٦) في كلا الأصلين: «وأرسلت» بصيغة الماضي وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ليوافق ما بعده
وما قبله.

(٧) في (١): «فما صاحفت» وهو غير مستقيم؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا كما في (ب) وتذكرة الصفدي.

(٨) رض: من الرض، وهو الدق والكسر.

(٩) أنشأ الأفق السحاب، أي رفعه.

(١٠) المديم بتشديد الياء: من ديم السحاب، أي دام مطره. ويقال: دؤم بتشديد الواو، وهو
الأصل كما يستفاد من اللسان.

(١١) أقفل: من القفل، وهو الرجوع.

فأما الشكرُ فإِنَّمَا « أَفْضَ بِهِ مَسْكَ عَلَيْكَ مَحْتَمًا » وَأَقُومُ مِنْهُ بِفَرْضٍ « أَرَانِي بِهِ دُونَ
الْبَرِيَّةِ أَقُومًا » وَأَوْفَى وَاجِبَ قَرْضٍ ، « وَكَيْفَ تُوفِّي الْأَرْضَ قَرْضًا مِنَ السَّمَاءِ » .

وَقَالَ أَيْضًا : ^(١) وَصَلَ كِتَابُ الْحَضْرَةِ بَعْدَ أَنْ عَدَدْتُ اللَّيَالِي لَطُلُوعِ صَدِيعِهِ ^(٢)

« وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أُعَدُّ اللَّيَالِي » ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْتَظَرْتُ الْقَيْظَ وَالشِّتَاءَ لِفَصْلِ رَبِيعِهِ

« فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلِي الْمَرَامِيَا » ! وَأَسْتَرْوَحْتُ إِلَى نَسِيمِ سَحَرِهِ ، « إِذَا الصَّيْفُ أَلْقَى

فِي الدِّيَارِ الْمَرَاسِيَا » وَمَدَدْتُ يَدِي لِاقْتِطَافِ ثَمَرِهِ ، « فَلِلَّهِ مَا أَحَلَّى وَأَحْمَى الْمَجَانِيَا ! » ^(٣)

وَوَقَفْتُ عَلَى شَكْوَاهِ مِنْ زَمَانِهِ ، « فَبِتُّ لَشَكْوَاهِ مِنَ الدَّهْرِ شَاكِيًا » وَعَجِبْتُ لِعَمَى الْحَظِّ

عَنْ مَكَانِهِ « وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا » وَتَوَقَّعْتُ لَهُ دَوْلَةً يعلُوبُهَا الْفَضْلُ

« إِذَا هَزَّتْ مِنْ تِلْكَ الْيَرَاعِ عَوَالِيَا » وَرَتَبَةً يَرْتَقِي صَهْوَتَهَا بِحُكْمِ الْعَدْلِ « فَرُبَّ مَرَاقٍ

يُعْتَدُّنَ مَهَاوِيَا » وَإِلَى اللَّهِ أَرْغَبُ فِي إِطْلَاعِ سَعُودِهِ ، « زَوَاهِرٌ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي زَوَاهِيَا »

وَفِي إِنْهَاضِ عَثَرَاتٍ جَدُودِهِ ، « فَقَدْ أَعَثَرْتُ بَعْدَ النُّهُوضِ الْمَعَالِيَا » .

وَقَالَ أَيْضًا :

وَصَلَ مِنَ الْحَضْرَةِ

كِتَابُ بِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ وَنَقْعَةُ الْـ * حَيَا فَكَأَنِّي إِذْ ظَفِرْتُ بِهِ الْحِضْرُ

وَوَقَفْتُ عَبْدُهَا مِنْهُ عَلَى

عَقُودٍ هِيَ الدَّرُّ الَّذِي أَنْتَ بِحَرِّهِ * وَذَلِكَ مَا لَا يَدَّعِي مِثْلَهُ الْبَحْرُ

(١) كَذَا فِي (ب) ؛ وَلَمْ يَرِدْ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي (أ) غَيْرَ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ الْوَاوُ .

(٢) الصَّدِيعُ : الصَّبْحُ .

(٣) فِي (أ) : « الْحَامِيَا » وَفِي (ب) « الْحَامِيَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا أَنْظَرْتَ ذِكْرَ

الْصَفْدَى وَصَبَحَ الْأَعَشَى ج ١ ص ٢٧٩ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « وَأَحْمَى الْمَجَانِيَا » وَصَفَ مَجَانِيَهَا بِالصِّيَانَةِ وَأَنَّهَا

مَمْنَعَةٌ غَيْرُ مَبْتَدَلَةٍ .

ورَتَعْتُ مِنْهُ فِي

رِيَاضٍ [يَدٍ] تُجَنِّي وَعَيْنٍ وَخَاطِرٍ * تَسَابِقُ فِيهَا النُّورُ وَالزَّهْرُ^(٢) وَالثَّمَرُ^(١)

وَكَرَعْتُ مِنْهُ فِي حِيَاضٍ

تَسْرُ مَجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّمَا * وَتُرَوَّى مَجَارِيهَا إِذَا بَجَلِ الْقَطْرُ

وَمَا زِلْتُ مِنْهُ أَنْشُدُ

كَأَنِّي سَارٍ فِي سَرِيرَةٍ لَيْلَةٍ * فَلَمَّا بَدَأَ كَبَّرْتُ إِذْ طَلَعَ الْفَجْرُ

وَوَافَى عَلَى مَا كُنْتُ أَعْهَدُ

نَخَلْتُ بِأَنَّ الْعَيْنَ مِنْ سُحْبٍ كَفَّهَ * فَمِنْ ذِي وَمِنْ ذِي [فِيهِ] يَنْتَثِرُ الدَّرُّ^(٣)

وَأَسْتَرْجِعُ فَائِتَ الدُّنْيَا مِنْ مَوْرِدِهِ

وَمَا كَانَ عِنْدِي بَعْدَ ذَنْبٍ فِرَاقُهُ * بِأَنِّي أَرَى يَوْمًا بِهِ يَعْبُدُ الدَّهْرُ

وَنَفْسٍ عَنِ النَّفْسِ بِأَبْيَضٍ ثِمَادِهِ^(٤)، وَعَنِ الْعَيْنِ بِأَسْوَدٍ إِثْمَدِهِ

بِهِ لَهَا سَبْحٌ طَوِيلٌ فَهَذِهِ * عَلَى خَاطِرٍ بَرْدٌ وَفِي خَطَرٍ بَدْرٌ^(٥)

وَجَدَّدَ إِلَيْهِ أَشْوَاقًا جَدِيدُهَا

يَمْتَرُّ بِهِ ثَوْبُ الْحَدِيدِ دَائِمًا * فَيَبْلِي وَلَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَى الدَّهْرُ

وَذَكَرَ أَيَّامًا لَا يَزَالُ يَسْتَعِيدُهَا

وَهِيَّاتُ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الدَّهْرِ فَائِتٌ * فَدَعِ عَنْكَ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدي وصبح الأعشى ج ١

ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) التمر بضم الاء والميم جمع ثمار بالكسر كما في المصباح ؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ واستقامة الوزن تقتضيها ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدي .

(٤) كذا في كلا الأصلين . والذي وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن الثماد بكسر أوله : الماء القليل

كالتمد بالتجريك ، فكأنه يريد تشبيه الكتاب بالماء في أنه يشفي الظما وينقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

(١) وكلامُ القاضي الفاضل — رحمه الله — كثيرٌ، بأيدي الناس منه عدّة مجلّات، أخبرني من أثق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلداً قد جُمعت، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جداً، وقد نقل بعض من أرخ، أنه وجد للقاضي الفاضل مسودات كتب صدرت عنه وأجوبة تزيد إذا جُمعت على مائة مجلد، ولا يحتمل الحال أن نورد له أكثر مما أوردناه، ورسائله المختارة كثيرة قد يكون فيها أجود مما اخترناه ونحوه، وإنما أوردنا له ما حضر في هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والاستقصاء، وإن كان كل رسائله مختارة رحمه الله.

ذكر شيء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم الأنصاري القرطبي رحمه الله، — وكانت وفاته بقنا من أعمال قوص في سنة اثنتين وسبعين وستمائة —

كتب إلى شيخنا الإمام العلامة تقي الدين محمد ابن الشيخ الإمام الحبر مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى : تخدم المجلس العالي صفات يقف الفضل عندها، ويقفوا الشرف مجدها، وتلتزم المعالي حمدها، وسمات يتسم ثغر الرياسة منها، وتروى أحاديث السيادة عنها، الصدرى الرئيسى المفيدى، معانٍ استحقها بالتميز، واستوجبها بالتبريز، وسبكتها الإمامة لها فألفته خالص الإبريز، ومعالٍ أقرته في سويدائها، وأطلعت في سمائها،

(١٢٩)

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « ومن كلام » وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) كذا في كلا الأصلين ؛ وقد ورد هذا النسب في بعض المصادر ساقطاً منه هذا الجدل الثالث وهو عمر انظر كتاب الطالع السعيد لجمال الدين الإدقوى ص ٤٥ طبع الجمالية في ترجمة محيي الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبي العباس ابن القرطبي .

- وألبسته أفضل صفاتها وأشرف أسمائها ؛ العلامى الفاضلى التقوى ؛ نسب أختص
 به اختصاص التشرىف ، لا تعريفه له فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ لا زالت
 إمامته كافلة بصون الشرائع ، واردة من دين الله وكفالة أمة رسول الله أشرف
 الموارد وأعذب الشرائع ، أخذة بآفاق سماء الشرف فلها قمرها والنجوم الطوالع ،
 قاطعة أطماع الآمال عن إدراك فضله وما زالت تقطع أعناق الرجال المطامع ، صارفة
 عن جلاله مكاره الأيام صرفا لا تعتورده القواطع ، ولا تعترضه الموانع ؛ وينهى ورود
 عذرته التى « لها الشمس خدت » والنجوم ولائد « وحسنائه التى « لها الدر لفظ
 والدرارى قلائد » ومشرفته التى « لها من براهين البيان شواهد » وكريمته التى « لها
 الفضل ورد والمعالي موائد » ووديعته التى « لها بين أحشائى وقلبي معاهد »
 وآيته الكبرى التى دل فضلها * على أن من لم يشهد الفضل جاحد
 وأنت سيف سله الله للهدى * وليس لسيف سله الله غمد

- (١) فى (١) : « لا تشرىفا » وفى (ب) : « تشرىفا » بسقوط « لا » ؛ وما أثبتناه هو المناسب
 لسياق الكلام .
 (٢) الشرائع جمع شريعة ؛ وهى مورد الشاربه التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، والعرب
 لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عذلا لا انقطاع له ، ويكون ظاهرا معينا لا يسقى بالرشاء . ولا تكرارين
 ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .
 (٣) أشار بهذه العبارة إلى قول جرير :
 أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمرها والنجوم الطوالع
 (٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البعيث المجاشعى :
 طمعت بليلى أن ترىع وإنما * تقطع أعناق الرجال المطامع
 (٥) فى (١) : « حدث » وفى (ب) « هذب » ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .
 (٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماءها ، قاله الفراء .
 (٧) فى كلا الأصلين وكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجمالية : « موارد » ؛ وهو تحريف لحصول
 التكرار به مع قوله : « ورد » .

فلمثلها يحسن صوغ السوار ، ولفضلها يقال : «أناة أيها الفلك المدار» وإنها
 في العلم أصل فرع ثابت ، والأصل علّة النشأة والقرار ، وفرع أصل ثابت ^(١) ، والفرع
 فيه الورق والثمار ، هذه التي وقفت قرائح الفضلاء على استحسانها ، وأوقفتني ^(٢) على
 قدم التعبد لإحسانها ، وأيقنت أن مفترق الفضائل مجتمع في إنسانها ، وكنت أعلم
 علمها بالأحكام الشرعية فإذا هي في النثر آبن مقفّعها ، وفي القصائد أخو حسناتها ،
 هذه وأبيك أم الرسائل المبتكرة ، وبنت الأفكار التي هدبتها الآداب فهي في سهل
 الإيجاز البرزة ^(٣) وفي صون الإعجاز المخدّره ، والمائلة ببدايع البدائه ، فتى تقاضها
 متقاض لم تقل : « فنظرة إلى ميسرة » ، والبدية التي لم توجه إليها الآمال فكرها
 لأستحالة غير مسبوق بالشعور ، ولم تسم إليها مقل الخواطر لعدم الإحاطة بغيب
 الصدور قبل الصدور ، والبدية التي فصل البيان كلماتها تفصيل الدرر بالشذور ،
 إن كلمها ليمس في صدورها وإعجازها ، ويختال في سطورها وإعجازها ، وتنثال عليها ^(٤)
 أغراض المعاني بين إسهابها وإيجازها ، فهي فرائد آتتفت من أفكار الوائلي
 والإيادي ، وقلائد انتظمت انتظام الدراري ، ولطائم فضت عن العنبر الشحري ^(٥)
 والمسك الداري ، لا جرم أن غواصي الفضائل ظلوا في غمراتها خائضين ، وفرسان ^(٦)

(١) كذا في (ب) ، والذي في (أ) « وأصل فرع » وهو مكرر مع ما قبله .

(٢) كذا في كلا الأصلين ، وأوقفه بالهمز لغة ردئية كما في اللسان ؛ وقد نقلها ابن السكيت عن الكسائي

وقيل : وقفه وأوقفه سواء .

(٣) البرزة : البارزة المحاسن . وفي (أ) : « البررة » براءين مهملتين ؛ وهو تصحيف .

(٤) تنثال : تتابع .

(٥) اللطائم : أوعية المسك ، الواحد لطيمة .

(٦) الشحري : نسبة إلى الشجر ، وهو صقع بساحل بحر الهند من ناحية اليمن قال الأصمعي :

هو بين عدن وعمان ، راليه ينسب العنبر الشحري « يا قوت » . والداري : نسبة إلى دارين ، وهي فرضة

بالبحرين فيها سوق كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند « اللسان » مادة « دور » .

الكلام أضحوها في حَلَبَاتِهَا رَاكِضِينَ ، وَأَبْنَاءَ الْبَيَانِ تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهَا «فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» .

ما إن لها في الفضل مثل كائن * وبيانها أحلى البيان وأمثل

فالعجز عنها معجز متيقن * ونبيها بالفضل فينا مرسل

ما ذاك إلا أنت ما يأتي به * وحي الكلام على اليراعة ينزل

بزغت شمساً لا ترضى غير صدره فلما ، وانقادت معانيها طاعة لا تختار سواه ملكاً ،

وانتبدت بالعراء فلا تخشى إدراك الإنكار ولا تخاف دركا ، وندت شواردها

فلا تقتنصها الخواطر ولو نصبت هذب الجفون شركاً

فللأصائل في عليائها سمر * إن الحديث عن العلياء أسمار^(٣)

وللبصائر هاد من فضائلها * يهدي أولى الفضل إن ضلوا وإن جاروا

بإدى الإبانة لا يخفى على أحد * «كأنه علم في رأسه نار»

أنجب بها من كلم جاءت كغمام الظلال على سماء الأنهار ! وسرت كعليل النسيم

عن أندية الأسحار ، وجلت محاسنها كلؤلؤ الطل على خدود الأزهار ، وتجلت كوجنة

الحسنة في فلك الأزرار ، وأهدت نفحة الروض متأود الغصن بليل الإزار ، فأحيتنا

بذلك النفس المعطار ، وحيثنا بأحسن [من] كآسى لمى وعقار ، وآسى ريجان وعذار ،

(١٣٠)

(١) المعجز بكسر الجيم وفتحها مصدر ميمي بمعنى العجز .

(٢) الأصائل ، جمع أصيل ، وهو المحكم الرأي . وفي كتاب الطالع السعيد ص ٥٩ : « فللأفضل » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر بفتح السين والميم ، وهو معروف ؛ ويجوز أن يقرأ : « إسمار » بكسر الهمزة على احتمال أن أسمر فلان بالهمز لغة في سمر كما في اللسان عند قول عبيد بن الأبرص :

فهن كنبراس النبط أو ال * فمرض بكف اللاعب المسمر

(٤) كذا في (ب) والطالع السعيد ؛ ومكان هذه الكلمة في (١) باء موحدة بعدها ألف ؛ ولا يفهم لها معنى .

ولؤلؤى حبيبٍ وثغرى، وعقيقى شفةٍ ونحرى، وربيعى زهيرٍ ونهرى، وبديعى نظمٍ ونثرى؛
ولم أدر ما هى أثغورٌ ولائند؟ أم شذورٌ قلائد؛ أم توريدٌ خدود، أم هيئٌ قدود؛
أم نهودٌ صدور، أم عقودٌ نحور؛ أم بدورٌ اتلفتٌ فى أضواءها، أم شمسٌ أشرقت
فى سمائها؟

٥ جَمَعَن شَتِيَتَ الحَسَنِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ * فَيَرِنَ أَفْكَارِي وَشَيْنَ مَفْرِقِي
وغازلها قلبى بودٌ محققٍ * وواصلها ذكرى بحمدٍ مصدقٍ
وما كنتُ عَشَّاقًا لِذَاتِ مُحَاسِنٍ * وَلَكِنْ مِنْ يَبْصُرِ جَفَوْنِكَ يَعْشَقُ
ولم أدر والألفاظُ منها شريفةٌ * الى البدر تسمو أم الى الشمس ترتقى
إنما هى جملةٌ إحسانٍ يُلْقَى اللهُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى قَائِمِهَا، أَوْ رَوْضَةً بَيَانٍ «تُؤْتِي أَكْلَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»؛ أَوْ ذَاتُ فَضْلٍ آسَمَّتْ عَلَى ذَوَاتِ الْفَضَائِلِ، وَجَنَّتْ ثَمَرَ
١٠ الْعُلُومِ فَأَجَنَّتْهَا بِالضَّحَى وَالْأَصَائِلِ؛ أَوْ نَفْسٌ زَكَتْ فِي صَنِيعِهَا، وَنَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ
فِي رُوعِهَا؛ فَسَلَكْتَ سُبُلَ الْبَيَانِ ذُلًّا، وَعَدَمْتَ مَمَائِلًا فَأَضَحْتَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعَالَى مَثَلًا؛
وَسَرَتْ إِلَى حَوْزِ الْأَمَانِي وَالْأَنَامُ نِيَامٍ، فَوَهَبَ لَهَا وَاهِبُ النِّعَمِ أَشْرَفَ الْأَقْسَامِ؛
بِخَادَتِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَمْ تُمَسِّكْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ، وَقِيدَتْ نَفْسَهَا فِي طَلْقِ الطَّاعَةِ بِخَاءِهَا
١٥ تَوْقِيعُ التَّفْضِيلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ

أَيْنَ لِي مَعْزَاهَا أَخَا الْفَهْمِ إِنَّمَا * إِلَى الْفَضْلِ تُعْزَى أُمُّ إِلَى الْمَجْدِ تُنْسَبُ
هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنْ فَكَّرَكَ مَشْرِقُ * لِإِبْدَائِهَا عِنْدِي وَصَدْرِي مَغْرِبُ
وَقَدْ أَبْدَعَتْ فِي فَضْلِهَا وَبَدِيعِهَا * بِخَاءَتِ الْبِنَا وَهِيَ عِنْقَاءُ مَغْرِبِ^(٢)

(١) فى طلق الطاعة « اى فى قيدها ؛ وأصل الطلق بالتحريك ، القيد من جلود .

(٢) شبه هذه الرسالة بالعنقاء المغرب ، وهى التى أغربت فى البلاد ونأت ولم تحس ولم تر؛ والمراد أن
٢٠ هذه الرسالة غريبة فى بلاغتها وحسن بيانها ، ولا عهد للكاتب بأمثالها .

- فَأَعْرَبَ عَنْ كُلِّ الْمَعَانِي فِصِيحُهَا * بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ نَزَارُ وَيَعْرُبُ
 وَمَذْ أَسْرَقَتْ قَبْلَ التَّنَاهِي بِأَوْجِهَا * عَفَا فِي سَنَاهَا بَدْرُتَمَّ وَكُوكَبُ
 تَنَاهَتْ عِلَاءً وَالشَّابَابُ رَدَاؤُهَا * فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالرَّأْسِ أَشْيَبُ
 لَئِنْ كَانَ تُغْرَى بِالْفَصَاحَةِ بِاسْمَا * فَتُغْرِكُ بِسَامِ الْفَصَاحَةِ أَشْنَبُ
 وَإِنْ نَاسَبَتْنِي بِالْمَجَازِ بِلَاغَةً * فَأَنْتِ إِلَيَّ بِالْحَقِيقَةِ أَنْسَبُ
 وَمَذْ وَرَدَتْ سَمْعِي وَقَلْبِي فَإِنَّهَا * لَتُؤَكِّلُ حُسْنَنَا بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ
 وَإِنِّي لِأَشْدُو فِي الْوَرَى بِثَنَائِهَا * كَمَا نَاحَ فِي الْغَصْنِ الْحَمَامُ الْمَطْرَبُ
 وَتَشْهَدُ أَبْنَاءُ الْبَيَانِ إِذَا آتَدَوْا * بَأَنِّي مِنْ قَسِّ الْإِيَادِي أَخْطَبُ
 وَإِنِّي لَتَتَدَنِينِي إِلَى الْمَجْدِ عَصَبَةً * كَرَامُ حَوْتِهِمْ أَقُولُ الدَّهْرُ يَثْرِبُ
 وَإِنِّي إِذَا خَانَ الزَّمَانُ وَفَاءَهُ * وَفِيَّ عَلَى الضَّرَاءِ حَرٌّْ مَجْرَبُ
 إِبَاءُ أَبَتْ نَفْسِي سَوَادَ وَشِمَةِ * قَضَى لِي بِهَا فِي الْمَجْدِ أَصْلٌ مَهْدَبُ
 وَنَفْسٌ أَبَتْ إِلَّا اهْتَرَاذَا إِلَى الْعِلَا * كَمَا أَهْتَرَّ يَوْمَ الرَّوْعِ رَحٌّ وَمِقْضَبُ
 وَلِي نَسَبٌ فِي الْأَكْرَمِينَ تَعَرَّفْتُ * إِلَيْهِ الْمَعَالَى فَهُوَ رِيَانُ مَخْصَبُ
 نَمَّتْهُ أَصُولُ فِي الْعِلَاءِ أَصِيلَةً * لَهَا الْمَجْدُ خَدْنٌ وَالسِّيَادَةُ مَرَكَبُ
 تَلَاقَ عَلَيْهِ الْمَطْعَمُونَ تَكْرَمًا * إِذَا أَحْمَرَّ أَفَقٌ بِالْمَجْرَةِ مَجْدِبُ
 مِنَ الْيَمِينِ الَّذِينَ سَمَاءُ بِهِمْ * إِلَى الْعَزِّ بَيْتٌ فِي الْمَعَالَى مَطْنَبُ

(١) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ : « حَوْلَهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْمَقْضَبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .

(٣) فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ « عَرِيَانٌ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا بَعْدَهُ مِنَ الْوَصْفِ .

(٤) الْمُرَادُ بِوَصْفِ هَذَا النَّسَبِ بِالْإِخْصَابِ ، كَثْرَةُ مَا يَعْدُ فِيهِ مِنَ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِ الْمَفَاخِرِ .

(٥) احْمَرَّارُ الْأَفَقِ كَتَايَةً عَنِ الْجَدْبِ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : سَنَةٌ حُمْرَاءُ إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ آفَاقَ

السَّمَاءِ تَحْمَرُّ فِيهَا . وَالْمَجْرَةُ : الْبَيَاضُ الْمَعْرُضُ فِي السَّمَاءِ ، وَالنَّسْرَانِ عَنْ جَانِبَيْهَا .

قَرَوَا تَبَعًا بِيضَ الْمَوَاضِي ضَحَاءَهُ ^(١) * وَكُومَ عِشَارٍ بِالْعَشِيَّاتِ تَضَهَبُ ^(٢)
فَرَحَلَهُ الْجُودُ الْعَمِيمَ وَمَنْصَلُ ^(٣) * لَهُ الْغَمْدُ شَرْقٌ وَالذَّوَابُ مَغْرِبُ
وَهُمْ نَصَرُوا وَالِدِينَ عَزَّ نَصِيرُهُ ^(٤) * وَأَوَّوْا وَقَدْ كَادَتْ يَدُ الدِّينِ تُقْضِبُ ^(٥)
وَخَاضُوا غَمَارَ الْمَوْتِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ * فَعَادَ نَهَارًا بِالْهَدَى وَهُوَ غَيْبُ

(١٤١)

أَوْلَيْكَ قَوْمِي حَسْبِيَ اللَّهُ مَثْنِيَا * عَلَيْهِمْ وَأَيُّ اللَّهِ تُتْلَى وَتُكْتَبُ

هذه اليتيمة أيدك الله ملحتها الإحماض ، وتحليتها الألفاظ في أبعاض الاعتراض
لِتَسْرَحَ مَقْلُ الْخَوَاطِرِ فِي مَخْتَلَفَاتِ الْأَنْوَاعِ ، وَتَتَنَوَّعَ الْوَارِدُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ ،
وَالَا فَلَا تَمَاطِلُ فِي الْأَدْوَاتِ ، وَإِنْ وَقَعَ التَّمَاثُلُ فِي الذَّوَاتِ ، كَالْجَمْعِ بَيْنَ النُّورِيَّةِ فِي

(١) ضحاه ، أى فى وقت ضحائه ، والضحاء : إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف . وفى كلا الأصلين .
« ضحاة » وهو تحريف .

(٢) الكوم : النياق العظيمة الأسنة ؛ واحده كوما ، بفتح الكاف .

(٣) فى كلا الأصلين وغيرهما من المصادر : « تَهْضِبُ » بتقديم الهاء على الضاد ، ولم نجد من معانيه
ما يناسب السياق . « وتضهب » بالبناء للجهول : من قولهم ضهبه بالنار كمنعه ، إذا لوجه وغيره . كما فى القاموس
وشرحه ، وهم يمدحون الشواء الذى لم يتم نضجه لما فى ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابى
خير الشواء الطيب الملهوج * قد هم بالنضج ولما ينضج

أولعله من ضهب اللحم بتشديد الهاء ، أى قطعه ، واذن يكون صواب البيت : « بالعشى تَضَهَبُ » بإفراد
العشى لِيَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ .

(٤) المنصل : انسيف .

(٥) فى كلا الأصلين : « بهم » بالباء ؛ وهو تحريف .

(٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته إذا نسبت إلى رسالة ابن دقيق العيد بإحماض الابل بعد أن
تسأم الحلو من النبات ؛ كما يرشد إلى ذلك سياق الكلام الآتى ؛ والاحماض مصدر أحضت الابل إذا
أكلت الحمض وهو ما ملح وأمر من النبات ؛ وهو كفا كهة الابل تأكله عند سأمها من الخللة .

(٧) فى (١) « تجاهم » ، وفى (ب) « وتحكيم » ، وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٨) كذا فى الطالع السعيد ؛ والذى فى كلا الأصلين : « بنقل » الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٩) فى كلا الأصلين : « وينبوع » ؛ وهو تصحيف .

- (١) السراج والشمس ، وأشتمال الإنسانية على القلامة والنفس ، والتوارد الإدراكي بين كلٍّ بالعقل ، وجزئيٍّ بالحس^(٢) ، وكالعناصر في افتتار الذوات اليها ، وإن تميزت الحرارة عليها ، وكالمشاركة الحيوانية في البضعة اللسانية ، واختصاص الناطقية بالذات الإنسانية ؛ فسيّدنا ثمر الروض ونسيمه ، وسواه ثراه وهشيمه ، وزهره وأندائه ، وغيره شوكة وغثائه ، والبدر وإشراقه ، وسواه هلاليته ومحاقه ؛ اشتراك في الأشخاص ، وامتياز في الخواص ؛ ومشابهة في الأنواع والأجناس ، ومغايرة في العقول والحواس ؛ كالورد والشقيق^(٣) ، والقهرمان والعقيق ؛ تماثلاً في الجواهر والأعراض ، وتغايراً في تمييز الأغراض ؛ فسيّدنا من كلّ جنس رئيسه ، ومن كلّ جوهر نفيسه ؛ وأما حسناء المملوك على مذهبهم في تسمية القبيح بالحسن ، والحسن بالقبيح ، والضرير بالبصير والأخرس بالفصيح ؛ فما صدّت ولا صدّت يميني كاسها . ولا شدّت في مذهب
- ولائه عن أطراد قياسها ، ولا زوت عن وجه جلالته وجه إيناسها ، ولا جهلت أنه في العلوم الشرعية ابن أنسها ، وفي المعاني الأدبية أبو نواسها ؛ ولا خفي عنها أن سيّدنا مجرى انمين^(٤) ، وفي وجه السيادة إنسان المقلّة وغرة الجبين ، والدرّة في تاج الجلالة

- (١) كذا في الطالع السعيد ؛ والذي في كلا الأصلين : « في » ؛ وهو غير مستقيم .
- (٢) أشار بهذه العبارة إلى ما هو معروف في كتب المعقول من أن الماهيات الكلية إنما يدركها العقل دون غيره ؛ وذلك لأنها ليس لها وجود في الخارج ، وأما جزئيات هذه الماهيات وأفرادها فإنها تدرك بالحس لوجودها الخارجي .
- (٣) يقال فيه أيضاً « الكهرمان » بالكاف ؛ والكهرم بكحفر . انظر تاج العروس مستدرك مادة « كهم » .
- (٤) أشار بهذه العبارة إلى قول عمرو بن كلثوم في معلقته :
- صدّت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمين
- (٥) أشار بهذه العبارة إلى قول عمرو بن كلثوم في البيت السابق في الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة « وكان الكأس مجراها اليمين » ؛ والمعنى أنه أولى من سواه بالتقديم .

والشُّدْرَةُ في العقد الثمين ؛ وأنه الصدر الذي يَأْرُزُ الْعِلْمُ إلى صدره ، وتَقْتَرِحُ عَقَائِلُ ^(٢)
 المعاني من فكره ، وتَأْتِمُّ الهداةُ ببدره ، وتَنْتَمِي الهدايةُ إلى سرّه ، وأنها في الإيمان ^(٣)
 بمحمدٍ أمِّ عَمَارَةٍ لا أمِّ عَمْرٍه ؛ وأنه غايةُ نَخَارِها ؛ ونهايةُ إِثَارِها ، [وآيةُ نِهَارِها] ^(٤)
 ومستوطنُ إفادتها بين شمس فضائله وأقمارها ؛ فكيف تُصَدِّ وفيه كَلِيَّةٌ أغراضها ،
 ومنه عَلِيَّةٌ جملتها وأبعاضها ، وفي محلّه قامت حقائق جواهرها وأعراضها ؛ لكنها
 توارت بالحجاب ، ولأذت بالاحتجاب ؛ وقُربٌ بالمجلس الكمال ليكمل ما بها من
 نقص كمالٍ وكمال عيب ، وتَجَمَّع بين حقيقتي إيمان الشهادة والغيب ، وتُعَرَّضُ على الرأي
 التقويّ سليمة الصدر نقيّة الحبيب ، وأشهدُ أنها جاءت تمشي على استحياءٍ وليست ^(٥)
 كَبُنت شعيب ؛ هذا ولم تشاهد وجهَ حسنائه ، ولا عاينت سُكِينَةَ حسينه وهند ^(٦)
^(٧)

١٠ (١) يَأْرُزُ : يَأْوِي وَيُلْجَأُ ؛ وفي كلا الأصلين : « بارد » ؛ وفي الطالع السعيد : « يَأْزُر » وهو
 تصحيف في جميعها .

(٢) تَقْتَرِحُ : تستنبط أو أنها تبتدع من غير سبق مثال ؛ وفي الطالع السعيد « تَفْتَرَعُ » والمعنى يستقيم
 على كلتا الروايتين .

(٣) تَنْتَمِي : تنسب ؛ وفي الطالع السعيد : « وتَنْتَهِي » ، أي ؛ والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .
 ١٥ (٤) أم عَمَارَةٍ : هي نسيبة بنت كعب إحدى نساء بني مازن بن النجار ؛ وكانت ممن شهدوا بيعة العقبة
 الثانية هي وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع إحدى نساء بني سلمة ، انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥
 ط بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أم عمار .
 (٥) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية .

(٦) أشار بهذه العبارة إلى قوله تعالى في سورة القصص : « فجاءته إحداهما تمشي على استحياء »
 الآية انظر تفصيل هذه القصة في كتب التفسير . ٢٠

(٧) يريد السيدة سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم ؛ وكان قد تزوجها مصعب بن
 الزبير ثم مات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ؛ وآخر من تزوجها زيد
 ابن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان) . أما هند فهي بنت أسماء
 ابن خارجة وكان قد تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي بعد بشر بن مروان ؛ وكانت سكينة وهند من أجمل
 نساء العرب وأظرفهن . ٢٥

- أسمائه ، ولا قابلت نير فضله وبدر سمائه ، أقسم لقد كان يصرفها الوجمل ، ويقيدها
 الخجل ، عالمه أن البحر لا يساجل ، والشمس لا تُمائل ، والسيف لا يُخاشن ، والبدر
 لا يحاسن ، والأسد لا يُكحَم ، والطود لا يُزحم ، والسحاب لا يبارى ، والسيل لا يُجَارى ،
 وأنى تبلغ الفلك دامة المتطاول ، "وأين الثريا من يد المتناول" ، تلك عوارف
 استوات على المعالي استيلاءها على المعالم ، وشهدت لها الفضائل بالسيادة شهادة النبوة
 بسيادة قيس بن عاصم ، ولا خفاء بواضح هذا الصواب ، عند مقابلة البداية بالجواب ،

- فالشمس أَوْضَحُ مِنْ ضِيَاءِ الْأَنْجَمِ * مَا الْبَيْتُ الْأَعْلَى كَدَاجٍ مَظْلَمٍ
 يَا مُثْرِيَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ * أَيْقَاسُ مَثَرٍ فِي الْعُلُومِ بِمَعْدَمٍ
 أَوْ كَفْتُ فَضْلَكَ فِي رِذَاذِ غَمَائِي * مَا لِلرِّذَاذِ يَدُ بَنَوُءِ الْمُرْزَمِ^(٤)
 وَانصَبَّ بِحُرْكَ فِي ربيعِ خَوَاطِرِي * مَا لِلرِّبْعِ وَفَيْضُ بَحْرِ أَعْظَمِ^(٦)
 وَسَلَّمَتِ سَيْفَ الْعِلْمِ أَبْيَضَ مَخْذَمًا * كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي غَمَامٍ مُتَجَمِّمٍ^(٨)
 فَلَمَّتْ حَدَى مِعْصَدٍ فِي رَاحَتِي * مَا لِلْكَهَامِ وَحَدَّ أَبْيَضَ مَخْذَمٍ

١٣٢

- (١) يكعم : يشهد على فيه ، وهو من كعم البعير أى شذاه عند هياجه لئلا يعض أو يأكل . أو هو
 من كعمه الخوف : إذا أمسك بفيه ، وهو على المثل .
- (٢) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم المنقري : "هذا سيد أهل
 الوبر" (الأغانى) ج ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .
- (٣) كذا ورد هذا الفعل في كلا الأصلين بالألف ، والذي وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أنه
 يتعدى بنفسه لا بالهمز ، يقال : وكفت العين الدمع أى أسالته قاله اللحياني . أما أو كف بالألف فلم
 نقف عليه إلا لازما يقال : أو كف البيت والسطح بالمطر ، أى هطل وفطر .
- (٤) المرزم : من أرزم الرعد إذا اشتد صوته .
- (٥) الربيع : النهر الصغير .
- (٦) المنجم : السريع المطر ، وفي (١) : «متخم» بناء مشاة بعدها خاء فوقية ، وهو تصحيف .
- (٧) المعصد : السيف الذى يمتن فى قطع الشجر .
- (٨) المخدم بكسر أوله من السيوف : القاطع .

يا سابقا جُهدى مصلى عفوهِ * ما للسكيت^(٢) يدُ بعفو مطهم^(٣)
 بذ السوابق في العلوم وحازها * بالكسب منه والتراث الأعظم
 العلم علم محمد وكفى به * وعلى الباب المبلغ فاعلم
 ما كنت أول مُحجِم عن موريد * عذبت بموارده لقَرْنٍ مُحجِم^(٤)
 سابت سباقا شأوت^(٥) بيانهم * ببديع نثر أو بليغ منظم
 وسقيت بالكأس الكبيرة منهما * لما سقوا بالأصغر المتشلم
 حتى اذا سابقته وهو ابن^(٦) بحر أو أبو بحر إليه ينتهي
 طارت فضائله إلى عليائها * بجناح فتخاء ونسِر قشع^(٧)
 وسم به العلم الأجل محله * حتى توقل^(٨) في المحال الأعظم
 ومشى حضارا فأنثيت مقصرا * أتجول خيلى في مقعر الهيثم^(٩)
 ومشى حضارا فأنثيت مقصرا * أتجول خيلى في مقعر الهيثم^(١٠)

٥

١٠

(١) في (١) : « عهدى » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والمصلى من الخيل ، الذى يجبى . بعد السابق ؛ سمي بذلك لأن رأسه يلى صلا المتقدم . والصلا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شئ منه على حدته ، فهو بارع الجمال .

(٤) القرن من القوم : سيدهم . والمجهم اسم فاعل من الإجمام وهو التقدم ؛ ويستعمل في التأخر أيضا فهو من الأضداد ؛ ومثله الاجام بتقديم الحاء فانه يستعمل في المعنيين أيضا . مستدرك التاج مادة (جيم) .

١٥

(٥) في كلا الأصلين : « شادت » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : غلبت .

(٦) في كلا الأصلين : « فهو » بالفاء . والسياق يقتضى الواو ، فان الجملة بعدها في موضع الحال .

(٧) الفتخاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحها وغمزتها وذلك لا يكون إلا من اللين .

٢٠

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل في الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة في العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة في التفضل

والذى في (١) « خطارا » وهو تحريف ؛ وفي (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر ميمى بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قبل : « ومشى » .

(١٠) الهيثم : فرخ النسر .

٢٥

- (١) لا عار إن عِضات بدائهُ فكرتى * بابتِ المققع أو بنجل الأهم
يا أعلم الفضلاء لستُ مقاولاً * فصَحى بناتك باللسان الأعجم^(٢)
أو حاولتُ فكركى مساواةً لها * يوماً لجاءت بالغراب الأعصم^(٣)
أقتصرُ فالبيان في بحر فضائله سَبَحٌ طويل ، وللسعى في غاياته مُعرَسٌ ومَقِيل ،
ولجامد بُشينة محاسنه صِباةٌ جميلة ، وإِنى وإن كنتُ كثيرَ عزّةٍ ودّه ، إلا أنى
في حلبة الفضل لستُ من فُرسان ذلك الرّعل ، لا سِماً وقد وردتُ مَشَرعَ ألفاظه
التي راقّت معانيها ، ورقّت حواشيها ، وأدنت ثمرات الفضل من يمين جانبيها ،
بجاءت كالنسيم العليل ، والشذا من نفحة الأصيل ، والشراب البارد والظلّ الظليل
طبعٌ تدفّق رقةً وسلاسةً * كالماء عن متن الصفاة يسيلُ
كالقلمة الحسناء زان جفونها * كحلٍّ وأخرى زانها التكحيلُ
والروضة الغناء يحسن عرْفها * وتزاد حُسناً والنسيمُ عليلُ
والخاطرُ التقوى كحلّ ذاته * علماً وليس لكامل تكميلُ
والله تعالى يبقيه جامعاً للعلوم جمع الراحة بنائها ، رافعا له رفع القناة سنانها ، حافظا
له حفظ العقائد أديانها ، والقلوب إيمانها

١٥ (١) نجل الأهم ، هو عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر ، والأهم هذا لقب لقب به أبوه
لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوسه فهتم فاه وقد وفد عمرو بن الأهم هو والبرقان بن بدر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحرا » وبنو
الأهم : أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام ، وكان يقال : « الخطابة في آل عمرو (زهر الآداب
ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية .

٢٠ (٢) أراد يدياته ، رسائله ؛ وفي كلا الأصلين : « بيانك » ؛ وهو غير مطابق لما قبله من الوصف .

(٣) الغراب الأعصم : الذي في جناحيه ريشة بيضاء ويقال هذا للشئ الذي يعز وجوده .

(١) لِيُضِجِي نَدِيمًا لِلْعَالِي كَأَنَّهُ * نَدِيمًا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلٌ
وَيَصْبِحُ ظِلُّ الْفَضْلِ مِنْ فَيْءِ ظِلِّهِ * عَلَى كَنْفِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ ظَلِيلٌ
وَيَنْشَأُ أَبْنَاءُ الْعَالَمِ وَكُلُّهُمْ * بِحَسَنَاتِهِ فِي الْعَاشِقِينَ جَمِيلٌ
دَلَالَتُهُ فِي الْفَضْلِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ * وَلَيْسَ عَلَى شَمْسِ النَّهَارِ دَلِيلٌ

وكتب — رحمه الله تعالى — رسالة إلى صاحب شرف الدين الفائزى (٢)
عند ما ورد عليه كتابٌ يذكر أن رسول الخليفة وصل يلتمس إجابة الملك المعز (٣)
أول ملوك الترك إلى صلاح الملك الناصر صلاح الدين يوسف — وقد كان الناس (٤)
يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يهجم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجيب
إلى الصلح، [فلما] جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلاف ما ظنوه — (٥)

(١) مالك وعقيل، هما نديما جذيمة الأبرش، وكان بضرب بهما المثل في طول الاجتماع؛ وهما اللذان عناهما مقيم بن نويرة بقوله في رثاء أخيه مالك :
وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةً حَقْبَةً * مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفائزى، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير ابنه الملك المنصور بعده؛ والفائزى نسبة إلى الملك الفائز إبراهيم بن العادل لأنه كان في خدمته أولا، وكان في صباه نصرانيا ثم أسلم؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر ابن إياس في كتابه ج ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بالديار المصرية في عهد الملك المنصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله وصلبه على باب القلعة وولى مكانه في الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

(٣) هو عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية في سنة ثمان وأربعين وستائة، ولقب بالمعز؛ وقتل في سنة خمس وخمسين وستائة انظر تاريخ أبي الفدا (ج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠) طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وقد قتله هولاكو ملك التتر في سنة تسع وخمسين وستائة، انظر تفصيل ذلك في تاريخ أبي الفدا (ج ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من (١)؛ والسياق يقتضى إثباتها

- لَأَمْرِكَ أَمْرُ اللَّهِ بِالنَّجْحِ عَاضِدٌ * فَصُلِّ آمِرًا فَالدَّهْرُ سَيْفٌ وَسَاعِدٌ
 وَقُلْ مَا أَقْتَضَتْ عَلَيْكَ فَالْعَزَّ قَائِمٌ * بِأَمْرِكَ وَالْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ قَاعِدٌ^(١)
 وَنَمَّ وَاذَعَا فَالْحَدُّ يَقْظَانُ حَارِسٌ * لِمَجْدِكَ وَالْعَادِي لِبَأْسِكَ رَاقِدٌ
 فَمَا تُبْرِمُ الْأَيَّامُ مَا آتَى نَاقِضٌ * وَلَا تَنْقُضُ الْأَيَّامُ مَا آتَى عَاقِدٌ
 وَقَدْ بَرَزَتْ بِكَرِّ الْمَكَارِمِ وَالْعِلَالِ * وَفِي جِيدِهَا مِنْ رَاحَتِكَ قَلَائِدٌ
 خَفَّتْ بِهَا الْأَمْلاكُ وَهِيَ مُوَاهِبٌ * وَسَارَتْ بِهَا التَّرْكَانُ وَهِيَ مُحَامِدٌ
 وَزُفَّتْ لَهَا النِّعْمَاءُ وَهِيَ مُصَادِرٌ * رَفَعْنَا لَهَا الْأَمْدَاحَ وَهِيَ مُوَارِدٌ^(٢)
 فَتَثَّرَ الْإِحْسَانُ وَهِيَ لَائٍ * وَنَظَّمَهَا الْإِفْضَالُ وَهِيَ فَرَائِدٌ
 فَلَا زِلْتَ مُحْرُوسِ الْعِلَالِ يَا ابْنَ صَاعِدٍ * وَجَدُّكَ فِي أَفْقِ السِّيَادَةِ صَاعِدٌ
 تُسَرُّ بِكَ الدُّنْيَا وَيَتَهَجُّ الْوَرَى * وَتُسْتَوَكِّفُ النُّعْمَى وَتُحَوَّى الْمَقَاصِدُ
 وَرَدَّ كِتَابُ كَرِيمٍ ، وَنَبَأٌ عَظِيمٌ ، لَمْ تُجَرِّ يَنْبُوعَهُ جِيَادُ الْأَقْلَامِ ، وَلَمْ تَجِدْ بَنُوهُ عَهَادَ
 الْأَيَّامِ ، وَلَمْ تَظْفَرْ بِمِثْلِهِ أَعْيَادُ الْإِسْلَامِ ، فَتُلِيَّ عَلَى عَذَابَاتِ الْمَنَابِرِ ، وَجُلِيَّ عَلَى آمَاقِ
 الْأَبْصَارِ وَأَحْدَاقِ الْبَصَائِرِ ، وَكَانَتْ بِشْرَاهُ الْبِكْرِ الْعَوَانُ^(٣) ، لِمَا أَبْتَدَأَتْ بِهِ مِنَ الْبَشَارَةِ^(٤)

(١) في (١) : « الموشك » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في كلا الأصلين . ولم نقف على هذا الجمع للحدح فيما بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذي يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على « أفعال » أن هذه الصيغة لا تطرد جمعا « لفعل » بفتح أوله وسكون ثانيه إذا كان صحيح الفاء والعين .

(٣) المراد بعذابات المنابر ، أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شيء : طرفه .

(٤) العوان : النصف في سننها من النساء وغيرهن ؛ وفي كلا الأصلين : « القرآن » وهو تحريف

لا يظهر له معنى .

(٥) في كلا الأصلين : « ابتدلت » وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لأنها لم تسبق بمثلها ؛

وعوان ، لأنها تلد البشائر .

ولما تلده من البشائر، وطليعة المسار التي واجهت الآمال ووجه السعد سافر، ومقدمة
الآمن التي لا يسر بها إلا مؤمن ولا يساء بها إلا كافر، وتحية الله التي أحيت قلوب
العباد، ومنة الله التي سكنت لها السيوف في الأغمار، ونعمة الله التي عمت كل
حاضر وباد، ورحمة الله التي رحم بها هذه الأمة وما زال بالمؤمنين رحماً، وفضل
الله على هذه الأمة وكان فضل الله عليها عظيماً وسعادة سارت بها الأيام إلى المقام
المعزى بين الحبيب والتقريب، ومركب عز قدمته عناية الله مقدمة الحبيب، وكتاباً
عنايته هذا عطاء الله، وعنوانه «نصر من الله وفتح قريب»^(١)، وسلم جلال وجه
الإسلام برّد لباسه القشيب، وسلامة جنت يمين الإيمان ثمر غصنها الرطيب،
وعزّ ألبس الملك خلع شبابه بعد ما خلع غبار الوقائع [عليه] رداء المشيب، وشمس
سعادة منذ طلعت في أفقها لم تجنح للغيب، ولطف خفي قعد له كل حمد وقام به
كل خطيب، ومملكة تسمعها الأيام: قفا نضحك بمسار الإنعام لا قفا نبك
من ذكرى حبيب، وغنيمة باردة حازتها يد الملك ولسان السنان غير ناطق وكف
السيف غير خضيب

بتسديد رأي لو رآته أمية * لما اختلفت يوماً بقتل شبيب^(٢)

- ١٥ (١) في كلا الأصلين: «وأمنية»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .
(٢) كذا في (ب)؛ والذي في (أ) «الأمة» وهو وإن صح به المعنى إلا أن فيه تكراراً مع ما سبق
في الجملة التي قبلها . (٣) عنايته: أى مقصده . (٤) سلم بالرفع معطوف على قوله: «نصر» .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها .
(٦) في كلا الأصلين: «بنشيد»؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على معنى له يناسب السياق؛
ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الوزن والمعنى .
(٧) في كلا الأصلين: «اختلفت»؛ وهو تحريف .
(٨) شبيب: هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الخارجي؛ وكان خروجه في زمن الحجاج
مع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس؛ وقد بايعته الخوارج بعد قتل صالح؛ وكان يلقب بأمر المؤمنين
وكان موته غرقاً في نهر دجيل، وهو دجيل الأهواز لا دجيل بغداد في سنة ١٧٧ أو ٧٨ على اختلاف
في الرواية؛ وكانت ولادته في سنة ٢٥ أو ٢٦ انظر كتاب المخص تاريخ الخوارج وغيره من كتب التاريخ .

الى غير ذلك من فكرة صاحبة شرفية سَكَنَ المُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها
وقام ، وتحركت لها العزائم ، وسكنت لها الصوارم ، وأسُنِزِلَت العُصم ودُعِرَت
العواصم ، رهمم إذا سمّت سامت السماء وإذا هَمَّتْ أَهَمَّتْ الغائم ، وعزّت تحت ظلّ ظلاله
الشرف مقيم وفي خدمته المجد قائم ، وعزيم استيقظ له جفن النصر والسيف في جفنه نائم ،
وسيف حزم على عاتق المُلْك منه نجاد وفي يد جبار السموات منه قائم ، وآراء استفتح
عقائلها فَأَنْجَبَتْ^(١) ، ورَمَى غرض إصابتها فَأَكْثَبَتْ^(٢) ، وأَعْمَلَ رائدَها
فاستيقظت له ألهمم والأنام نيام ، وجلس في صدور رياستها والعالمون قيام ، وتدير
أَحْكِم بِإِبْرَام النقص ونقض الإبرام ، ودُعِرَ به رابض الأسد وأنس به نافر الآرام ؛
وأجال به خيله في مساري الأرقم ، ومَقَرَّ الهيثم ، وأمضاه في مضايق خطبه فأغناه
عن سنّ السنان وشفة اللهدم ؛ هذا ولما صدقت عزائم المملكة التي نظم الله قلادة
مُلكِها فليس لها انتشار ، ولمعت كواكب أسلها في ليل الرّجّ وسماء الغبار ،
وبنت حوافر خيلها سورا من متراكم النّقع المثار ، وحصنتها يد الله بما أظهرته من

(١) في كلا الأصلين : « فَأَنْجَبَتْ » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذي التزمه

الكاتب في جميع رسالته .

(٢) الذي وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أن الإكثاب هو المقاربة والمدانة ، وهو من الكشب

بالتحريك بمعنى القرب فلعل تفسيره هنا بالإصابة منظور فيه الى مراد الكاتب .

(٣) لم يرد في هذه الرسالة كلها ما يصح جعله جوابا (لآ) هذه ، والظاهر أن بعض عباراتها قد سقط

من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من المظان .

(٤) الأسل : الرماح ؛ وانما سميت الرماح أسلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأغلات

يخرج قضبانها دقاقا ليس لها ورق ولا شوك الا أن أطرافها محددة وليس لها شعب ولا خشب ؛ وشبهت

الرماح به في طوله واعتداله واستوائه ودقة أطرافه .

(١٣٤)

كامن الغيب وأخفته^(١) من طلائع الأقدار، وحضنتها^(٢) رعاية الله وله من القدر أعوان^(٣)
ومن الملائكة أنصار

فعمّت عموم الليل والليل مظلم * وجاءت مجىء الصبح والصبح مشرق
ومدت غمما من سنايك خيلها * بسأل المواضي المشرفيات يبرق

٥ في كئيب إذا سارت سوابقها ملأت عرض الغبراء، وإذا نُشرت خوافقها
سترت وجه الحضراء؛ وكادت تدعّر الآساد بمواضي حتوفها، وتسكن المنايا تحت
ظلال سيوفها؛ لاسيما إذا أنجمت^(٣) أنجم عواليها، ولمعت بروق مواضيها؛ وجاءت
خيلها كالصخر الأصم والطود الأشم أعجازها وهواديها؛ من كل كميت^(٤) حاو في الإزار،
بين الشقرة والأحمرار، كأنه وردية العقار

١٠ يُحسّ وقع الرزايا وهي نازلة * فينب الجوى نفس الحادث المكير^(٥)
وكل أشقر كأنما قد أديمه من لهب النار، معار رداء الحسن، وأحق الخليل^(٦)

(١) في (١) «وأخفته» ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين : «وحصنته» بالصاد ؛ وهو مكرّر مع ما قبله في أول الجملة السابقة . وحضنتها
بالضاد المعجمة : أى حفظتها وكفلتها وهو مستعار من حضانة المرأة للصبي ، أى تربيته وحفظه .

(٣) أنجمت : ظهرت . ١٥

(٤) قال ابن الأعرابي : الكمة كمتان : كمة صفرة ، وكمة حمرة ؛ والكميت من الخليل يستوى
فيه المذكور والمؤنث ؛ ولونه الكمة ، وهى حمرة يدخلها قنوء . وقال سيبويه : سألت الخليل عن كميت ، فقال :
هو بمنزلة جميل (بضم الجيم) ؛ وقال : إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص ، وإنما حقروها لأنها بين
السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال : أسود أو أحمر ، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب .

(٥) البيت لأبي العلاء المعرى انظر سقط الزند . ٢٠

(٦) الأشقر من الدواب : الأحمر في مغرة حمرة صافية يحمرّ منها السبب والمعرفة والناصية . وأما
في الإنسان : فهى الحمرة تعلو بياضا .

بالركض المَعَارُ، لا تَعَلِّقْ به المَذَا كِي يَوْمِ رِهَانٍ وَلَا تُشَقِّقْ لَهُ الحَوَادِثُ وَجَهَ غِبَارٍ
كَأَنَّمَا لَبَسَ ثَوْبًا مِنْ خَالِصِ النُّضَارِ

عِتَاقٌ لَوْ جَرَتْ وَالرَّيْحُ شَاوَا * لِفَاتَتِهِ وَأَوْتَقَتْهُ إِسَارُ^(٣)
غَدَتْ وَلَهَا حُجُولٌ مِنَ الْجُحَيْنِ * وَرَاحَتْ وَهِيَ مِنْ عَلَقٍ نُضَارُ

وَكُلُّ أَدْهَمٍ كَرِيمِ النَّجَارِ، غَذَى اللَّبَانِ الْغِزَارِ،^(٤) كَأَنَّمَا فُصِّلَتْ ثِيَابُهُ مِنْ سِوَادِ اللَّيْلِ
وَصِيغَتْ حُجُولُهُ مِنْ بَيَاضِ النَّهَارِ

بَأَغْرَ يَبْتَسِمُ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ * حُسْنًا وَيَسْفِرُ عَنْ مُحْيَا مُسْفِرِ
خَلَعَ الظَّلَامُ عَلَيْهِ فَضْلَ رَدَائِهِ * وَثْنَى مِنَ التَّحْجِيلِ ثَوْبَ مَقْصَرِ

وَكُلُّ أَشْهَبَ أَفْرِغَ فِي قَالِبِ الْكَمَالِ، وَجِيهِي^(٥) الْأَبْ أَعُوجِي^(٥) الْحَالِ، إِنْ مَشَى ضَاقَ
بِزُهوهِ فَسِيحُ الْمَجَالِ، وَإِنْ سَعَى رَأَيْتَ الْبَرْقَ مَلْجَأًا بِالْثَرِيَّا مَسْرَجًا بِالْهَلَالِ، كَأَنَّمَا
أَنْتَعَلَ خَدَّ الْجَنُوبِ وَأَشْتَمَلَ^(٦) بِثَوْبِ الشَّمَالِ

(١) المَعَارُ : «المسمن» بتشديد الميم المفتوحة ، يقال : أعمرت الفرس : أى أسمنته . أشار بهذه
العبارة الى قول الشاعر :

أَعِيرُوا خَيْلَكُمْ ثُمَّ ارْكُضُوهَا * أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارِ

(٢) المَذَا كِي مِنَ الْخَيْلِ : الَّتِي تَمَّ سَنُهَا وَكَلَّتْ قُوَّتَهَا .

(٣) أَرَادَ بِالرَّيْحِ هُنَا مَعْنَى الْهَوَاءِ فَأَعَادَ عَلَيْهَا ضَمِيرَ الْمَذْكُورِ مَعَ أَنَّ التَّأْنِيثَ هُوَ الْأَكْثَرُ فِيهَا ، وَإِنَّمَا آثَرُ
التَّذْكِيرِ دَفْعًا لَلِاتِّبَاسِ ، فَإِنَّهُ لَوْ أَنَّتُ الْهَاءَ لَمْ يَعْلَمْ مَرْجِعُهَا أَهْوَ الْعِتَاقِ ، أَمْ الرِّيحِ .

(٤) كَذَا وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ فِي كَلَامِ الْأَصْلِيِّينَ ، وَالَّذِي وَقَفْنَا عَلَيْهِ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ أَنَّ جَمْعَ اللَّابَنِ
أَلْبَانٌ ، كَسَبَبٍ وَأَسْبَابٍ ، فَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِاللَّبَانِ هُنَا : ذَوَاتُ اللَّابَنِ ، وَوَاحِدُهُ لَبُونٌ (اللِّسَانُ نَقْلًا عَنْ الْمُحْكَمِ) .

(٥) الْوَجِيهِي : نِسْبَةٌ إِلَى الْوَجِيهِ ، وَهُوَ اسْمُ فَرَسٍ مِنْ خَيْلِ الْعَرَبِ نَجِيبٌ تَنْسَبُ إِلَيْهِ كِرَامُ الْخَيْلِ
وَكَانَ لُغْنَى بَنِ أَعْصَرَ . وَالْأَعُوجِي : نِسْبَةٌ إِلَى أَعُوجٍ ، وَهُوَ اسْمُ فَرَسٍ سَابِقٍ رَكِبَ صَغِيرًا فَأَعُوجَتْ قَوَائِمُهُ ،
وَالِيهِ تَنْسَبُ كِرَامُ الْخَيْلِ أَيْضًا فَيَذَالُ : الْأَعُوجِيَّاتُ وَبَنَاتُ أَعُوجٍ ، وَكَانَ هَذَا الْفَرَسُ لَهْلَالِ بْنِ عَامِرٍ .

(٦) هَذِهِ الْبَاءُ سَاقِطَةٌ مِنْ كَلَامِ الْأَصْلِيِّينَ ، وَاللُّغَةُ تَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا .

من الحيات التي لم تبد في رَهج * إلا أرتك بياض الصبح في غسق
ولا جرين مع النجاء في طلق^(١) * إلا احتقرت آتماغ البرق في الأفق^(١)

وكل مطهم إن ركض قلق السماط لركضه ، وخلت بعضه منفصلا عن بعضه
وإن مشى رأيت الطود في سمائه والرياح في أرضه ؛ وإن خطا ظننته يرتع في روض
المجرة ويكرع في حوض الغمام ، وخلته الأشم من أبني شمام^(٢) ، همهم جهة الأمام
وصوته حركة اللجام ، كأنه قطعة من سماء أو ظلة من غمام

جرى^(٣) والريح في طلق رهايا * فقامت دونه ومضى أماما

ومد من السنايك ثوب غيم * ولم أر قبلها ثوبا غماما

عليها كل كمي لابس الحرب ولا بسنه ، ومارسها ومارسته ؛ وكتبت عليه المواضي
في صدره كتابا أعجمته أطراف الأسل ، وجنى ثمر الحديد أحلى عنده من العسل
وسار إلى مهج الأبطال كسيف القضاء وحث^(٤) الأجل ؛ له حنكة^(٥) الأشيب ونجدة
الغلام ، وصنعة الضرب الفد والطعن التؤام ، والفتكات التي تطيع صبح الصوارم

(١) النجاء : ربح انحرفت ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . والطلق بفتحين : الشوط
الواحد في جرى الخيل .

(٢) شمام : اسم جبل لباهلة ، كما في ياقوت . وقال ابن بري : هو جبل بالعالية ، وهذا الجبل له
رأسان ، يقال لها : ابنا شمام قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما * على الأحداث إلا أبني شمام

(٣) في كلا الأصلين : « بفرى » ، والفاء زيادة من النسخ .

(٤) إلى هنا انتهت النسخة المشار إليها بحرف (ب) .

(٥) الحث : الإعجال ، وإضافته إلى الأجل من إضافة المصدر إلى مفعوله . أو لعله : « وحتم »
بفتح الحاء وسكون التاء .

في ليل القَتَام ، والفَعَلَاتُ التي لها فَتَكَاتُ الأَوْرُقُ^(١) في النَّقْدِ وَصَوَلَاتُ الأَسَدِ
في السَّوَامِ

يَمْشِي إلى الموتِ على الكَعْبِ مَعْتَقِلًا * أَظْمَى الكَعُوبُ كَمْشِي الكَاعِبِ^(٢) الْفُضْلِ^(٣)
يُحْسِنُ^(٤) في بحار الدروع سَبَحَ^(٥) الفَوَارِسَ ، بين بدور اليلب^(٦) وَنَجُومِ^(٧) القَوَانِسِ ؛ من
كُلِّ سَابِغَةٍ لا تَصِلُ إليها ألسنةُ الحِدادِ ، كأنها أثواب الأرقام خِيطتْ بأعين الجراد ؛
كفيلة بحماية الأنفُسِ وصيانةِ المَهْجِ ، تُنِيرُ مسالكَ لا يَسِيرُ فيها في دِياجِي الرَّهْجِ ، إنما هي
البحر ولا حرج^(٧)

إذا ما مشوا في السابغات حَسِبْتَهُمْ * سيولا وقد سالت بهنَّ الأباطحُ
وكلَّ أبيضَ هندیٍّ تَأَلَّفَتْ من المِلحِ أبعاضُهُ ، البَرْدُ جِسْمُهُ والبرقُ إِياضُهُ ؛ المَفَارِقُ
مِغَارِبُهُ والأَجْفَانُ مَطَالَعُهُ ، والْأَنْفُسُ مَوَارِدُهُ والمَنَايَا مَنَابِعُهُ ؛ لو أَثْمَرَ لَأُنْبِتَ رَعُوسًا
ولو تَفَجَّرَ لَسَالَ نَفُوسًا ، ولو تَكَشَّفَ صَافِي حديدِهِ لَرَأَيْتَ فِيهِ عُيُوسًا

(١) في الأصل : «الأوراق» ؛ والألف زيادة من النسخ. والمراد بالأوراق هنا : الذئب ، فإن
لونه الورقة ، ويقال للذئبة : الورقاء ؛ قال في اللسان مادة (ورق) مانصه : وكذلك شبهت العرب لون الذئب
بلون دخان الرمث ؛ لأن الذئب أورك قال رؤبة :

فلا تَكُونِي يَا ابْنَةَ الْأَثَمِ * ورقاً دمي ذئبها المدمي

١٥ اهـ وانقذ بفتحيتين : صغار الغنم . واحدته نقدة .

(٢) الأظمى من الرماح : الأسمر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهموز .

(٣) الفضل بضمين : المختالة التي تفضل من ذيلها ، كما في اللسان مادة (فضل) .

(٤) في الأصل : «تحت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) اليلب محرّكة : الترس ، أو هي جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة .

(٦) القوانس : جمع قونس ، وهي أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة إلى قولهم : «حدث عن البحر ولا حرج» والمراد أنه لا لوم على من يطيل

في وصف هذه الدروع مهما توسع في ذلك ، لشبهها بالبحر في بريقها واطراد منها .

(١) سَلِيلُ النَّارِ دَقَّ وَرَقَ حَتَّى * كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَهُ السَّلَالَا
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حَمْرُ الْمَنَايَا * وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نِمَالَا

وَكُلُّ أَسْمَرَ إِذَا انْتَحَى فَهُوَ صَاحٍ وَإِذَا أَنْثَى فَهُوَ نَشْوَانٌ ، وَإِذَا وَرَدَ دَمُ الْقَلْبِ فَهُوَ
ظِلْمَانُ الْقَنَاةِ رِيَانُ أَلْسِنَانٍ ؛ إِذَا خُطِبَ النَّوَاصِي وَخُطَّ ، وَإِذَا كَتَبَتْ أَلْمَوَاضِي نَقَطَ ؛
وَإِذَا قَصُرَتْ يَدُ الْقَرْنِ طَالَ ، وَإِذَا صَلَّيْتَ نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَالِي صَالَ
تَوَهَّمُ كُلِّ سَابِغَةٍ غَدِيرًا * فَرَقَّ يَشْرَبُ الْحَلَقُ الدِّخَالَا (٢) (٣) (٤)

وَكُلُّ صَفْرَاءَ رَقَشَاءٍ الْأَدِيمِ ، كَأَنَّهَا أَرْقَمُ الصَّرِيمِ ؛ لَهَا فَلَكٌ بِالرَّزِيَّةِ دَائِرٌ ، وَسَهْمٌ
بِالْمَنِيَّةِ طَائِرٌ ، إِنْ رَكِبَ فَهُوَ مُقِيمٌ وَإِنْ نَزَلَ فَهُوَ سَائِرٌ ؛ مَعَ عِزَائِمٍ بَنَتْ عَلَى الدَّوَلَةِ (٥) (٦) (٧)
سُورًا ، وَجَعَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالدَّوَلَةِ الْمَعَزِيَّةِ حِجَابًا مُسْتَوْرًا ؛ عَلَى أَنَّهَا
غَنِيمَةٌ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى الْإِيحَافِ وَالْإِيضَاعِ ، وَطَلَبَةُ أَلْفَاها عَلَى طَرَفِ الثَّمَامِ وَحَبْلُ الذَّرَاعِ ؛ (٨) (٨)
وَعَنَاءَةٌ جَاءَتْ عَلَى اخْتِيَارِ الْمَرَادِ وَمَرَادِ الْاِخْتِيَارِ ، وَنِعْمَةٌ كَرَّتْ هِيَ وَالتَّوْفِيقُ فِي قَرْنٍ

(١) "سَلِيلُ النَّارِ" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه ؛ وطبع سيفًا بواسطتها
والشعر لأبي العلاء المعري انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .
(٢) وخط : طعن طعنا نافذا ؛ وبابه وعد .

(٣) قال في شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق في تفسير هذه الكلمة : رنق الطائر :
إذا حام حول الماء يشرب اه والبيت لأبي العلاء المعري .

(٤) الدخال : المتداخل بعضه في بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والذي في الأصل :
«الخلق الدجالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة ؛ يريد القوس .

(٦) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٧) في الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضي حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول ، كما يقال : هو على حبل الذراع : إذا

كان ممكنا مستطاعا .

وَجَرَتْ وَالسَّعَادَةُ فِي مَضْمَارٍ ، وَمِنْجَةً رَكَضَتْ بِهَا إِلَى الْمَقَامِ الْمَعَزَى سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ
وَمَعْنَى خَفَىُّ مِنْ نَعْمِ اللَّهِ لَمْ تَلَجْهِ عَقَائِلُ الْأَفْكَارِ ، وَإِذَا سَبَقَتْ عَنَايَةَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِأَمْرِ
حَتْمِهِ اللَّهُ رَافِعٌ ، وَإِذَا لَحِظَتْ السَّعَادَةُ أَمْرًا وَقَفَتْ دُونَهُ آمَالُ الْمَطَالِبِ وَتَقَطَّعَتْ
خَلْقُهُ أَعْنَاقَ الْمَطَامِعِ ، وَاسْتَوْلَتْ يَمِينُهُ عَلَى آفَاقِ سَمَاءِ الشَّرَفِ فَلَهَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ
الطَّوَالِعُ ، وَهَذِهِ مَوَاحِبُ لَا تَدْرِكُهَا دَقَائِقُ الْأَسْطُرْلَابِ وَلَا دَرَجُ الشَّمْسِ وَلَا رَصْدُ
الطَّوَالِعِ

اعمر ك ما تدرى الضَّوَارِبُ بالحِصَا * وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا آلَهُ صَانِعُ .

وَيُنْهَى أَنْ حَامِلُهَا مَنْ عَقَدَتْ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ خَنَاصِرَهَا ، وَأَخْتَصَّ مِنْهَا بِالصَّحْبَةِ
نَاصِرَهَا ، وَلَهُ فَضْلٌ لَا يَزَادُ عَنْ مَنَهِلِ الْعِلْمِ سَوَامُهُ ، وَلَا تُجْهَلُ فِي مَسَالِكِ الشَّرَفِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَمِين » ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَالضَّوَابِ مَا أَثْبَتْنَا ، فَانْه يُشِيرُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ * لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ

(٢) الْأَسْطُرْلَابُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ الطَّاءِ : مِيزَانُ الشَّمْسِ ، وَبِهِ يَعْرِفُ مَقْدَارُ السَّاعَاتِ وَأَخَذَ
الْأَرْصَادَ وَمَطَالِعَ الْكَوَاكِبِ .

(٣) الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ قَوْلِهِ : « وَيُنْهَى » إِلَى قَوْلِهِ فِيمَا سَبَقَ : « مِنْ أَفْقِهَا صَبَحًا » ،

لَيْسَ مِنْ تَمَمَةِ الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بَعْضُ رِسَالَةٍ أُخْرَى سَقَطَ أَوَّلُهَا مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛
وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا ، أَنَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ بِالرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ هُوَ الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ الْفَائِزِ
وَزَيْرُ الْمَلِكِ الْمَعَزِ كَمَا تَقْدِمُ ، أَمَّا هَذِهِ الرِّسَالَةُ فَفِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ غَيْرُ الصَّاحِبِ شَرَفِ الدِّينِ ،
فَإِنَّهُ يَقُولُ فِيهَا : « وَقَدْ صَيَّرَ الْجَنَابُ الزَّيْنِيَّ لِمَا يَحَاوِلُهُ » الْخُ وَلَمْ يَقُلْ : الْجَنَابُ الصَّاحِبِيَّ أَوِ الشَّرَفِيَّ
أَوِ الْفَائِزِيَّ نَسْبَةً إِلَى أَحَدِ الْقَبَابِ شَرَفِ الدِّينِ ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الزَّيْنِيَّ نَسْبَةً إِلَى زَيْنِ الدِّينِ يَعْقُوبَ بْنِ الزَّيْرِ
وَزَيْرِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ نَوْرِ الدِّينِ عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ الْمَعَزِ أَيْبِكِ التُّرْكَمَانِيَّ ؛ وَزَيْنُ الدِّينِ هَذَا قَدْ تَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْمَلِكِ
الْمَنْصُورِ بَعْدَ الصَّاحِبِ شَرَفِ الدِّينِ الْفَائِزِيَّ كَمَا تَقْدِمُ بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٢ مِنْ صَفْحَةِ ٦٣ مِنْ هَذَا
الْجُزْءِ نَقْلًا عَنْ ابْنِ إِيَّاسٍ . الْأَمْرُ الثَّانِي ، اخْتِلَافُ الْغَرَضِ فِي كِلْتَا الرِّسَالَتَيْنِ فَإِنَّهُ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى يَهْنِءُ
الصَّاحِبَ شَرَفَ الدِّينِ بِالصَّلَاحِ بَيْنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَالْمَلِكِ الْمَعَزِ ؛ وَفِي الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ يَوْصِي بِخَيْرِ الْإِنْسَانِ .

أعلامه ؛ وله نفس سَمَت حتى أَخَذَتْ سماء السيادة يمينها ، وهمّة إذا رَأَيْت ذاتها
الكريمة تَوَسَّمت الرِّياسة في جبينها ، وأبوةٌ لا تُتَجَر من المعالي إلا في ثمينها ؛ وقد أَكَلَتْه
السنة بل السنوات ، وترادفت عليه الملمات بل المؤلمات ؛ وقد صَيَّر الجَناب الزينى
لما يحاوله ذريعه ، ووَرَد المنهل الرَّحْب وإنه لعذبُ الشريعة ، وقد أَصاب به
مولانا طريق المصنع فألبسه ثياب الصنّيعه ؛ ومولانا أولى من أولاه شرف جلاله
ونظر اليه بعين كريمة يقابل بها ما يقابله من كرم خلاله ؛ فالإبريز قد يَشْتَبِه إلا على
نقّاده ، والغيث قد يُخْلَف إلا على رُؤّاده ، والماء قد يَأْجُن إلا على وُزّاده ؛ وسيدنا
مصعبى الهيم وهذا ابن قيس رقيّاته ، ومهلبيّ الشيم وهذا حبيب أبنائه ، وواثقى
الإحسان وهذا فى الجلالة ابن [أبى] دُوادِه وفى الأدب ابنُ زِيّاته ؛ فليضعه حيث

(١) كذا فى الأصل ؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مرادا به الإحمال
وقلة المطر بهذا الحرف ؛ ولعله ضمن قوله : « يخلف » معنى « ينجل » فسوغ له هذا التضمن ذكر « على » .
(٢) يريد عبيد الله بن قيس الرقيات ، وهو شاعر من بنى عامر بن لؤى ؛ وذكر ابن سلام فى كتاب
طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع ليدن) أنه نسب الى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقية . وفى الأغاني
(ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق) : أنه لقب بالرقيات لأنه شبيب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية : فمن
رقية بنت عبد الواحد ، وابنة عم لها يقال لها : رقية ، وامرأة من بنى أمية يقال لها : رقية . وكان عبيد الله
منقطعا الى آل الزبير ، فدح مصعبا ، وهجا عبد الملك ؛ وهو القائل :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلمات

(٣) فى الأصل : « أبياته » ؛ وهو تصحيف ، فان الذى وقفنا عليه فى كتب التراجم أن حبيبا هذا
من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه .

(٤) ابن أبى دواد : هو القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد الإيادى ؛ وكان أصله من قرية بقنسرين
واتجر أبوه الى الشام ، وأخرجه معه وهو حدث ، فنشأ أحمد فى طلب العلم ، وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ
ما بلغ ؛ قال أبو العيّن : ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبى دواد ؛ وتولى القضاء فى زمن المعتصم
والواثق الى أن أصيب بالفالج فى زمن المتوكل ؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اه ملخصا من وفيات الأعيان .

(٥) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات ؛ وكان من
أهل الأدب والفضل ، عالما بالنحو واللغة كاتبا شاعرا ؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس ، وأقرّه
ابنه الواثق هارون على ما كان عليه فى أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه ؛ ولما قام المتوكل بالأمر
قبض على ابن الزيات ، واستصفى أمّاله ، وحجبه فى التنوير حتى مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اه
ملخصا من وفيات الأعيان . والذى فى الأصل : « ابن زياده » بالدال ؛ وهو تحريف .

وضَعَتْهُ السِّيَادَةُ صَدْرًا ، وَلِيُطَاعَهُ كَمَا أَطْلَعَتْهُ الْفَضَائِلُ بِدْرًا ، وَلِيَصْرِفَ إِلَيْهِ عَنَاءَهُ تَعَلُّقُ
بِهَا الْحَمْدُ عَلاَقَةُ غِيلَانَ^(١) بِمَيَّةَ ، وَالْحَكْمُ بِأَمِيَّةَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ — أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ — أَنَّ الْمَنَاصِبَ
عَرَائِسُ ، وَالصَّنَائِعَ قَلَائِدُهَا ، وَالْوَلَايَاتِ مَادِبُهَا ، وَالْمَكَارِمُ مَوَائِدُهَا ، وَاللَّيَالَى — كَمَا
عَلِمَتْ — حَبَالَى ، وَالسَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ وَلَائِدُهَا ، وَخَيْرٌ مَنْ لَيْسَ ثَوْبَ نِعْمَةٍ كَاهِلُ
هَذَا الْإِمَامِ ، وَإِنْ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ لَا شَرَفُ مَوَاهِبِ الْأَيَّامِ ، فَاعْتَنِمُهَا فَإِنَّهَا غَايَةُ الْاِغْتِنَامِ ،
وَأَعِزْ مَوْلَانَا بِاللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ نَظَرَهُ إِلَيْهِ لِمَحَا ، أَوْ يَضْرِبَ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا ، أَوْ يَكُونَ
مَوْلَانَا رَوْضَةً ثُمَّ لَا يَجِدُ هَذَا الصَّدْرُ مِنْهَا نَفْحًا ، وَمَطْلَعُ آفَاقِ الشَّرَفِ ثُمَّ لَا يَسْتَوِضِحُ
هَذَا الْمُلْتَمِسُ مِنْ أَفْقِهَا صَبْحًا .

ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتاب المتقدمين^(٣) :

١٠ الحمد لله مقلب القلوب ، وعالم الغيوب ، الجاعل بعد عسير يسرا ، وبعد عداوة
ودًا ، وبعد تحارب اجتماعا ، وبعد تباين اقترابا ، رأفةً منه بعباده ولطفًا ، وتحننًا
عليهم وعطفًا ، لئلا يستتمهم^(٤) التنايع ، في التدابر والتقاطع ، وليكونوا بررة إخوانا ،
وعلى الحق أعوانا ، لا يتنكبون منهاجًا ، ولا يركبون من الشبهة ثبجًا ، بغير دليل يهديهم

(١) غيلان : هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة ، وهو المعروف
بذى الرمة ، وكان من فحول الشعراء ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبته مية بنـة مقاتل
ابن طلحة بن قيس بن عاصم المنقرى ، وكان كثير التشبيب بها في شعره ، وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة هـ
ملخصًا من وفيات الأعيان ترجمة ذى الرمة .

(٢) يريد الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو والد مروان ثالث خلفاء بني أمية .
(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ، ولم يرد فيما سبق صدر رسالة تصح المماثلة بينه وبين ما أورده
هنا لبعض الكتاب المتقدمين . ولعله قد سقط من الأصل الذي بين أيدينا .

٢٠ (٤) في الأصل : « يستتم بهم » والباء زيادة من النسخ اذ لم نجد في لدينا من كتب اللغة أن هذا الفعل
تعدى بالحرف والتنايع بالياء المثناة : التهافت ، أو هو اللجاجة . ويريد بقوله : « لئلا يستتمهم » الخ أن
اللاجاجة في الخصومة تسأصلهم بتمامهم ولا تبقى على أحد منهم .

قصده المسالك ، ولا مرشد يذودهم عن درك المهالك ؛ أحمدده على نعمه التي لا يحصى
الواصفون إحصاءها ، ومننه التي لا تحمل الخلق أعباءها ؛ حمدا يتجدد على ممر الأزمان
والدهور ، ويزيد على فناء الأحقاب والعصور ؛ وإن أحق ما آستعمله العاملون
ولحق به التالون ، وآثره المؤمنون ، وتعاطى بينهم المسلمون ؛ فيما ساء وسر ، ونفع
وضر ؛ ما أصبح به الشمل ملتما ، والأمر منتظما ؛ والفتق مرتقبا ؛ والسيف مغمودا
ورواق الأمن ممدودا ؛ فحققت به الدماء ، وسكنت معه الدهماء ، وأنقمع به الأعداء ؛
وأتصل به السرور ، وأمنت معه الشرور ؛ وليس بذلك أولى ، وإلى إحراز الثواب
به أدنى من الصالح الذي أمر الله تبارك وتعالى به ، وخص وعم ورغب ^(١) .

ولنعد الى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبي

فمن ذلك ما كتب به أيضا الى صاحب شرف الدين الفائزى جوابا عن كتاب
شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين ، فأجابه الشيخ : يخدم الجنب الشرفى - رفع الله
قدره بين أوليائه ، وأطاب ذكره في مقام عليائه ؛ وأطال عمره مقتنا بعزه ، وأقره
في كنف سلامته وكهف حرزه - وردت الأوامر المطاعة ، والمقابلة بالسمع والطاعة ؛
في حق أخى المملوك مولانا نجم الدين ، فتلق راية طاعتها بيمينه ، وأقرها من تعظيمه
في أسرة جبينه ، وأحلها من شرف الأمثال في مستودع دينه ؛ وقابل حاملها بأوفر
ترحيه ، وأقرب تقريبه ؛ وواجهه بإجلال الأخوة ، وخلال البنوة ؛ وأحلّه كنف
قلبه ، وأودعه بين شغاف القلب وخلبه ^(٢) ، وأعادته الى معهود ولائه وحسبه ؛ وقتر له

(١) فى الأصل : « له » باللام ؛ وهو تحريف .

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذى بين أيدينا ؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه
من المظان . ٢٠

(٣) فى الأصل : « وجلال » بالجيم ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « البنوة » .

(٤) الشغاف : غشاء القلب وغلافه ، وهو جلدة ألبسها . والخب : حجاب الكبد .

في كل شهر عشرة دنائير وهي نهاية قدرته ، وأعلمه أنها أَعَوَدَ نفعا من ولايته وأقرب عوناً من امرته ؛ وعاهد الله ألا يتعترض لجنديّة أبداً ، ولا يمدّ لطلب ولاية يداً ، ولا يقف بين يدي الأمراء بعدها ، ولا يتجاوز بجلالة أبويه حدّها ، ولا يهمل شرف نسبته التي لم تُصاعِرْ^(١) [لها] الأيام^(٢) خدّها ؛ وأخذ عليه عهود الله والمملوك في الوفاء مهما عهدّها ؛ وقد توجّه الى المَشَارِعِ الصّاحبيّة التي استعذب وردها والمكارم الشرفيّة التي ألّف حمدّها ، والصنائع الإحسانيّة التي وجد في مرارة الفقر حلّوها وفي حرارة الغربة برّدّها ؛ وعادَ عُشَّ الفضل الذي منه درج ، وبيت الكرم الذي اليه دخل ومنه خرج^(٣) ، وسماء الإحسان التي أطلعت نجم إمامته فعرج عليها وإليها عرج ، وبحر المعروف الذي اذا أطنب لسانُ ثنائه قالت شواهد بيانه : « حدّث عن البحر ولا حرج » ؛ ومولانا يضعه تحت كنفه ، ويرفعه لله^{١٠} ولسلفه ، ويقابله الجنب الشرفي بما عرّفه من شرفه ؛ ويعينه على جاريه الذي هو مادّة رفقه ، وأقول ما أجراه الله على يد مولانا من رزقه ؛ بكتاب يُجزل له العزّات ويُميّها^(٤) ، ويُسكن رُوح الحياة في جسد فاقته ويُبقيها ؛ فهو ذو ضراء لا تسدّها إلا القناعة ، وذو فاقة لا ترفعها إلا السعة التي تمدّ باعه ؛ والله يجعل مولانا وقاية لمن لحا إليه ، وإعانة لمن أعتمد عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

١٥

(١) صاعر خدّه وصعره بتشديد العين المهملة : أماله كبرا ؛ وقرئ : (ولا تصاعر خدك للناس) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها . والضمير عائد الموصول وفي قوله : « خدّها »

يعود الى « الأيام » .

(٣) عبارة الأصل : « الذي منه دخل واليه خرج » والصواب العكس كما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « وبيعها » ؛ وهو تحريف .

٢٠

(١٢٧)

وكتب إليه أيضا شفاعاً في بعض الأعيان فقال :

وَيُنْهَى أَنْ اللَّهُ تَعَالَى مَتَوَلَّى سِرَائِرَ عِبَادِهِ ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَى مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِنْ كَانَ
عَلَى وَفْقٍ مَرَادِهِ ؛ أَعَدَّ دَارِي ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، وَحَذَّرَ أُولَى الْعُقُوبَةِ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ ؛ ثُمَّ
عَمَّتْ رَحْمَتُهُ فَشَفَّعَ فِي الْعَصَاةِ ، وَعَفَا عَنِ الْجَنَادِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ثُمَّ بَدَلَتْ عَوَارِفُ الْإِحْسَانِ ، وَعَوَاطِفُ الْحَنَانِ ؛
حَتَّى شَفَّعَ إِلَى خَلْقِهِ ، فِي الْعَفْوِ عَنْ حَقِّهِمْ وَحَقِّهِ ؛ صِفَةُ كَرِيمٍ رَحْمَانِيٍّ ، وَصِلَةُ عَفْوٍ
إِحْسَانِيٍّ ، وَصِنَائِعِ الطَّائِفِ رَبَانِيٍّ ، فَشَفَّعَ إِلَى الصَّدِيقِ فِي مِسْطَحٍ ، فَقَالَ :
﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ فَقَدِمَ مُوجِبَاتِ الْعُطْفِ بِمَا قَدِمَ مِنَ الْقَرَابَةِ
وَالْمَسْكِنَةِ وَالْمُهَاجِرَةِ ، ثُمَّ تَلَقَّاهَا مِنْ أَجْرِ الْآخِرَةِ بِكَرَمِ الْمُجَازَاةِ وَرَبْحِ الْمَعَامَلَةِ ، وَحُسْنِ
جَزَاءِ الْمَنْعَمِ ، تَعْرِيفًا بِمَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ ، وَتَكْرِيمًا لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ ؛ وَمَمْلُوكُ مَوْلَانَا فَلَانُ
الَّذِي أَنْزَلَ حَاجَتَهُ بَعْدَكَ ، وَقَصَدَهُ قَبْلَ قَصْدِكَ ؛ وَأَسْكَنَ حَرِيمَهُ مَجَاوِرًا لِحَرِيمِهِ
وَتَشَفَّعَ بِهِ إِلَى صَدْرِ الزَّمَنِ وَكَرِيمِهِ ، وَاسْتَوْهَبَهُ الذَّنْبُ وَإِنْ كَانَ مُعْتَرِفًا بِعَظِيمِهِ ؛ وَالصَّنْعُ
الْجَمِيلُ ثَمَرَةُ الْأَيَّامِ ، وَالْفَضْلُ أَثْبَتُهُ أَلْسِنُ الْأَقْلَامِ ؛ وَلِلَّهِ لِحَظَاتٌ تَلْحَظُ عِبَادَهُ وَيَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ، وَيَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ، وَلَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ ؛ وَإِنْ مَوْلَانَا عِقَالُ الشَّرَفِ
وَذُو الْفَضْلِ الْأَنْفُ^(٣) ، وَالْعَارِفُ فِي صِنَائِعِ الْإِحْسَانِ كَيْفَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ ؛ وَقَدْ أَحْلَتْهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَعْبَدُكَ » بِاللَّامِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي الْبَاءَ كَمَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَقَائِلُ » ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : « عِقَالُ الشَّرَفِ » أَنَّ الشَّرَفَ مُحْتَبَسٌ

عَلَيْهِ لَا يَفَارِقُهُ ؛ وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنْ عِقَالِ الْبَعِيرِ ؛ وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ عَنِ النَّهْوِضِ .

(٣) الْفَضْلُ الْأَنْفُ : أَيُّ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : « رَوْضَةُ أَنْفٍ » أَيُّ أَنَّهَا

لَمْ تَرَعْ ، « وَكَأَنَّ أَنْفَ » أَيُّ أَنَّهَا لَمْ يَشْرَبْ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

على ملاءة أياديك ، وألبسته ملاءة معاليك ، وأحللته بضمان الله كنف ناديك ؛ وأنت
 الكريم أخلاقا ونسبا ، والطيب أعراقا وأبا ، والصدر الذي إذا سامته الأيام خبطة
 ضيم أبي ، وإذا أوطأته مهانة^(٢) وخسفا نبا ؛ وأحق من قبل هذه الشفاعة كرمك^(٣)
 وأولى من رعاها شيمك ، والمعالي جنود الشرف وأحق علم^(٤) رُفِعَ عليها علمك ؛ والله
 تعالى يبقيه للأنام ملاذا ، وللأمل معادا ، ويهب عزمه مضاء وقلمه نفاذا ؛
 إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى قاضي القضاة تاج الدين بن خلف :

يخدم الجنب التاجي - أدام الله شرف الملة ببقائه ، وأعلى كلمة الأئمة بعلائه
 وأجرى السنة الأقلام بثنائه ، ورفع ألوية أوليائه بولائه - وينهى ورود مشرفته التي
 تجلت في سماء السيادة حسنا ، وسهلت لفظا وجزلت معنى ، وغدا لسان الإحسان
 عليها يثني ، وعنان الفضائل إليها يثني ؛ وقد أخذت برقاب المعاني ، وأطربت إطراب
 المثاني ، وبعثت روح الحياة إلى روح الأمان ، وثنت إلى فضلها الأقرل عنان الثاني
 حتى هلا بالمكرّمات وبالعلا * وحى هلا بالفضل والسؤدد المحض^(٦)

(١) الملاءة بفتح الميم : القدرة والغنى ، وهو مصدر ملأ الرجل فهو ملي : أي صار ثمة غنيا .

(٢) في الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « لومك » بلام بعدها واو ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « وقع » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « اليه » ؛ وهو غير مستقيم .

(٦) يقال : حى هلا بكذا بلا تنوين : أي عليك به ؛ ويقال فيه أيضا : حى هلا بالنوين وحى هل

بفتح الجزأين خمسة عشر ؛ وكلها يراد به الحث .

لا جَرَمَ أن المملوك سجد لله ثم لحالة ذلك الاستغفار ، وقبول كلمات الاعتذار ؛
وعلم أن مولانا لبس حلة التواضع لتمام شرف الأصطناع ، وليحوز أقسام السيادة
بالصدر الرحب والخلق الواسع^(٢)

سجية نفس شرف الله مجدها * بما شاء من فضل لديها ومن حلم^(٣)
وسؤدد آباء وكسب سيادة * تظم إلى عز العلاء شرف العلم
هذا مع إساءتنا التي تسود وجوه الأمل ، ويقضى كفرها — لولا إيمان مولانا —
بإحباط العمل ، على أنها ملازمة المعلولات للعلل

١٣٨

وما كنت جاني فتنة غير أنها . * إذا وقعت أردت مسيئاً ومحسناً
ولو رشقتني مضميات سهامها * لألفت لها حكاماً من الله بينا
وإن جلال الله يشهد أنني * بذلت من الوسع الذي كان ممكناً
وحذرت حتى لم أجِد متحرراً^(٤) * وأسمعت لكن لم أجِد ثم أذنا^(٥)
وكانت صعباً تقتضيها مشيئة^(٦) * وهل لقضاء الله ردُّ إذا دنا
وأما إشارة مولانا إلى الحاجب الذي هو لمولانا أشرف من حاجب بن زرارته
بما أودعه أثناء تلك الكلام من لطيف الإشارة وشريف العبارة ؛ فجزاء مولانا على
الله في جبره لقلب المملوك المنصدع ، وصلة أماله المنقطع .

- (١) لعله : « لإجابة » كما يدل عليه قوله بعد : « وقبول » الخ .
(٢) الواسع بفتح الواو : الواسع .
(٣) في الأصل : « تحية » بالناء المثناة والحاء المهملة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
(٤) في الأصل : « متحرراً » ؛ وهو تحريف إذ لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .
(٥) الأذن بضم الهمزة وتشديد الدال : جمع آذن ، وهو المستمع ؛ يقال : اذنت إليه وله : إذا
استمعت إليه معجباً بما يقول .
(٦) في الأصل : « طباعاً » ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى ؛ والفعل قبلها تام لا يحتاج إلى منصوب
إذ معنى الكون هنا : الوقوع والحصول .
(٧) هذه الباء ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

وكتب إلى الصاحب قاضي القضاة بدر الدين السنجاري —

وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضيء ببدره، والإيمان يارز إلى صدره، والشرف يتضاءل
عند قدر جلالته وجلالة قدره، والآمال والآجال مصرفة بين بسطة نعمته وسطوة
قهيره، هذه على ذكره وهذه على شكره، والمكارم والمحامد تتألق وتتألق هذه بنشره
وهذه ببشره، والعزم والرأي إذا قل أو قال استغاث واستضاء هذا بنصره وهذا بفكره
ولا غرو أن تثني الوزارة جيدها * إلى ناظم في جيدها عقد نخره
إلى أحوذى الرأي إن ناب معضل * أراك جلي الأمر إحياء سره
إذا استغزر الذهن الذكي تضاءلت * له فكرتا قيس ألكاء وعمره

- ١٠ (١) في الأصل : « بارز » ؛ وهو تحريف . و يارز : يأوى ويلجأ .
- (٢) قال الرأي يفيل كيبيع : ضعف وأخطأ . والذي في الأصل : « اذا قل أو قال » بالقاف
في كليهما ؛ وهو تصحيف .
- (٣) الأحوذى : هو الذى يسوق الأمور أحسن مساق لعله بها .
- (٤) في الأصل : « الدهر » ؛ وهو تحريف .
- ١٥ (٥) يريد : قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين :
داحس والغبراء ؛ وكان فارساً شاعراً داهية ، يضرب به المثل فيقال : « أدهى من قيس » اه ملخصاً
من شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون . وعمره : هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛
ويكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي ، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مهاجراً ؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ وبعثه أبو بكر رضى الله تعالى
عنه الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضى الله تعالى عنه فلسطين ، ثم كتب اليه أن يسير الى
مصر فسار اليها وفتحها ، وولاه عمر إياها ؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان ؛ وقد ولاه معاوية
مصر أيضاً فلم يزل بها والياً الى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر ؛
انظر طبقات ابن سعد فى القسم الثانى من الجزء السابع ص ١٨٨ طبع ليدن . وكان عمرو بن العاص
يضرب به المثل فى السياسة والدهاء .

- فِيُطْلِعُ رَأْيَا وَاضِحًا مِنْ سِدَادِهِ * كَمَا أَنْشَقَّ بُرْدُ اللَّيْلِ عَنْ ضَوْءِ بَخْرِهِ
إِلَى سَوْدُودٍ أَبْرَتْ مَعَالِيهِ خَيْلَهُ * سَوَابِقُ غُرًّا فِي بَهَيَاتِ دَهْرِهِ^(١)
وَكَمْ سَابِقٍ أَجْرَى إِلَى غَايَةِ الْعَمَلَا * وَلَكِنْ طَوَى سَبْقًا مُلَاءَةً حُضِرِهِ
بِحِلْمٍ تَجَلَّى فِي أَسْرَةٍ وَجْهِهِ * وَجُودٍ تَجَلَّى مِنْ طَلَاقَةِ بَشْرِهِ
يَمِينًا لَقَدْ أَضْحَتْ جَلَالَةُ قَدْرِهَا * عَلَى شَرَفِ الْمَقْدَارِ مِنْ دُونِ قَدْرِهِ ٥
- سَطَّرَهَا الْمَمْلُوكُ بَعْدَ مَا لَبَسَتْ الْوِزَارَةَ حَلَّةَ نَخْرِهَا ، وَسَحَبَتْ ذَيْلَ آفْتَاخِهَا ، وَبَدَأَ
مَعَصِمَ شَرْفِهَا فِي حَلِيَّةِ سَوَارِهَا ، وَتَجَلَّتْ مَعَانِيهَا بَيْنَ شَمْسٍ فَضْلُهَا وَأَقْمَارِهَا ، وَجَنَيْنَا
الْغَضَّ مِنْ زَهْرِهَا ، وَالطَّيِّبَ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَحَمَدْنَا جَمِيلَ تَأْثِيرِهَا وَحَمِيدَ آثَارِهَا
وَحَيَّتْ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى نَفَثَاتُهَا * بِأَطْيَبَ مِنْ رَنْدِ الرَّبَا وَعَرَارِهَا^(٢)
- وَأَجْتَلَى الْمَمْلُوكُ حَسَنَاءَ إِحْسَانِهَا فَمَا ضَارَعَتْهَا الْبَدُورُ مَذْفَارَقَتْ سَرَارَهَا ، وَلَا
الْأَنْجَمُ وَلَوْ نَظَّمَ الْفَلَكَ أَنْوَارَهَا ، وَلَا الرُّوضَةُ وَقَدْ عَقَدَتْ الْغَنَائِمُ إِزَارَهَا ، وَلَا أَطْلَالُ^(٣)
مِيَّةٍ وَقَدْ دَبَّجَتْ يَدُ الْأَنْوَاءِ أَزْهَارَهَا ، وَلَا أَرْدَانُ عِزَّةٍ^(٤) وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ^(٥)
- (١) فِي الْأَصْلِ : «عَزَّ» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَرُشِدُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : «فِي بَهَيَاتِ» .
(٢) الرَنْدُ : الْآسُ ؛ أَوْ دَوِ الْعُودِ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ شَجَرٌ مِنْ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ
يَسْتَاكُ بِهِ ، وَلَيْسَ بِالْكَبِيرِ ، وَلَهُ حَبٌّ يَسْمَى الْغَارُ . وَالْعَرَارُ : النَّرْجَسُ الْبَرِّي .
(٣) يَرِيدُ تَشْبِيهِ النَّبْتِ وَالْأَزْهَارِ حَوْلَ الرُّوضَةِ بِإِزَارِ عَقْدَتِهِ الْغَنَائِمِ عَلَيْهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :
حَتَّى نَعْمَ صُلَعُ هَامَاتِ الرَّبَا * مِنْ نَوْزِهِ وَتَأْزَرُ الْأَهْضَامُ
وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : «أَزْرَارَهَا» وَالرَّاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .
(٤) عِبَارَةٌ الْأَصْلُ : «ذَبَّجَتْ يَدُ النُّوَارِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٥) الْمَنْدَلُ وَالْمَنْدَلُ : الْعُودُ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهُوَ عِنْدِي رِبَاعِي لِأَنَّ الْمِيمَ أَصْلِيَّةٌ
وَقَدْ أَشَارَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ إِلَى قَوْلٍ كَثِيرٍ :
- بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانِ عِزَّةٍ مُوهِنًا * وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا
وَالرُّوْيُ فِي هَذَا الشَّعْرِ مَرْفُوعٌ ، وَقَوْلُهُ : «أَوْقَدَتْ» مَبْنِيٌّ لِلْجَهْلِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :
فَمَا رَوْضَةُ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى * يَمِجُّ النَّدَى جُثْجَاثُهَا وَعَرَارِهَا
الْأَغَانِي ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق وإنما خالف الكتاب هنا حركة الروي في شعر كثير لاقتضاء
السجع نصب الراء .

(١) نَارَهَا" ، صلة جاءت كبرد الشباب ، وبرد الشراب ، اقتضابا قبل السؤال ، وابتداء الآمال ، والمملوك يحضر عقيبتها ليحتل وجه المنعم قريبا ، ويحتنى غصن النعم رطيبا ومتى لم أقم بشرك لنا * س خطيبا فلا وقيت الخطوبا

وكتب الى صاحب تاج الدين محمد بن صاحب بهاء الدين (٢)

(١٣٩)

على بن محمد المعروف بابن حناء: (٣)

رفع الله قدر الجناب الصاحبى التاجى فى شرف الأقدار ، وأجرى بإرادته وسعادته سوابق الأقدار ، وألبسه حلية الشرف التى هى على رأس رياسته تاج وفى معصم سيادته سوار ، وحلة النعم التى ينكش لأجلها رذن المساء وينسحب يمثلها ذيل المسار ، وأمضى عزائم آرائه التى اذا سطت يوم البأس نفذت نفوذ

(١) فى الأصل : « الشناء » ؛ وهو تحريف .

١٠

(٢) كذا فى الأصل ؛ والذي وجدناه فى المصادر التى بين أيدينا أن صاحب بهاء الدين جدالصاحب تاج الدين ؛ وأما أبوه فهو نحر الدين بن صاحب بهاء الدين . فقد ورد فى آاب المنل الصافى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ فى ترجمة صاحب تاج الدين هذا : أنه محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم صاحب تاج الدين أبو عبد الله بن صاحب نحر الدين بن صاحب بهاء الدين بن حناء المصرى وزير الديار المصرية ؛ وكان مولده فى سنة أربعين وستمائة ؛ وتفقه وبرع ونظم ونثر ، وحدث بمصر ودمشق ، وانتهت اليه الرئاسة فى عصره بالقاهرة ؛ وتوفى فى سنة سبع وسبعائة . وفى كتاب أعيان العصر وأعوان النصر المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ : ان صاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين ؛ ورأى من العز والوجاهة ما لم يره جده صاحب بهاء الدين . وانظر (مستدرك التاج) مادة « سلم » فقد نص فيه على ان

١٥

تاج الدين حفيد صاحب بهاء الدين .

٢٠

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز فى مستدرك التاج مادة (سلم) .

(٤) الانكاش : التقلص .

(١) السهم ومضت مضاء الغرار ، وإذا سرت في ليل الخطب هدت هداية النجم
 ووضحت وضوح النهار ، وأرضى همته التي اذا همّت أغنت عن الأبيض المرهف
 والأسمر الخطار ، وإذا أمت شأت^(٢) ناصية^(٣) الحنفاء وبذت^(٤) قاصية^(٥) الخطار ؛ وأرهف
 أقلامه التي اذا أجراها أثبتت خال^(٦) النفس ، في وجنة الطرس ، وطرزت بالظماء
 أردية الشمس ؛ وإذا هزها أنست^(٧) هز^(٨) العوامل ، وأصاب من^(٩) الأمر الكلي
 والمفاصل ، وإذا أمضاها لنعمة أو لنقمة فللجاني لعب^(١٠) الأفاعي القواتل ، وللعاقي
 أرى^(١١) الجنى أشتارته أيد^(١٢) عواسل ؛ ولا زال ربه مربعا للجلال ومصيفا ، ومرتعا لسوام
 الآمال ونحيفا ، ومشرعا وارد الظلال وريفا ؛ وحرما آمنا^(١٣) تجي^(١٤) اليه ثمرات الحمد
 وتنجي^(١٥) منه ثمرات الرّفد ، وتقف المعالي عليه ”وقوف مطايا الشوق بالعلم^(١٦) الفرد“ ؛
 فإنه الربع الذي وقفت^(١٧) به الآمال وقوف غيلان^(١٨) بدارميّه ، وعكفت^(١٩) [عليه] المحامد

(١) الفرار بالكسر : حد السيف والرمح .

(٢) في الأصل : « شابت » ؛ وهو تحريف . وشأت : سبقت ؛ والمضارع يشأوكيدعو .

(٣) الحنفاء والخطار بتشديد الطاء المهملة : اسماء فرسين لحذيفة بن بدر الفزاري ؛ وفي الأصل :
 « الحيفا » بالياء المثناة ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولعله يريد بقاصية الخطار : الغاية التي ينتهي اليها في جريه .

(٥) في الأصل : « أرقى » بقاف مثناة بعدها ياء ؛ وهو تحريف . والأرى : عسل النحل . يشير
 بهذه العبارة الى قول أبي تمام في صفة القلم :

لعب الأفاعي القاتلات لعبه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

واشتارته : جنته واستخرجته من الوقبة .

(٦) العلم : الجبل ، والمراد بالعلم الفرد هنا : جبل فرد شرق الحاجر يقال له : أبان ، فيه عيون ونخيل ومياه .

(٧) غيلان : اسم ذى الرمة الشاعر . وفي الأصل : « غيلان » ؛ وهو تحريف . وانظر الحاشية

رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

(٨) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٩) في الأصل : ”التجافل“ ؛ وهو تحريف لا معنى له .

عكوف توبة على حب الأخيلية^(١) ، والحناب^(٢) [الذى] فاءت ظلاله وفاضت مواهبه
وجاءت مَذَانِبُهُ^(٣) ، وجادت سحائبه ، وجلت شيمه وتجلت غياهبه ، في روض
المعالى الذى فاحت نسائمه ، وناحت حمائمه ، ومنشأ المجد حيث شاب
فأرخت ذوائبه وشب فقطعت تمائم^(٤)ه ، وبيت الرياسة الذى اذا دنوت حباك
بإكرامه واذا نأيت حيتك مكارمه ، وصدر السيادة الذى خضعت له الأعناق
ه هبة "لأبلج لا تيجان إلا عمائم^(٥)ه"

ولا زال بدرا فى سماء سيادة * يشار إليه فى الورى بالأنامل
بسيط مساعى المجد يركب نجمده * من الشرف الأعلى وبذل الفواضل
إذا سئل أغنى السامعين جوابه^(٤) * وان قال لم يترك مقالا لقائل
محدد أيام الحياة فكأنها * لطالب علم أو لقاصد نائل
وينهى ولاء مخبوءا بسويداء قلبه ، موضوعا بين شغافه وخلبه ، وثناء مسموعا
فى محافل الأنام ، معلنا فى صحائف الحمد بالسنة الأقلام ، جديدا على ذهاب الليالى
واختلاف الأيام ، ودعاء سابق أراعى^(٦)ل الرياح ، ووضعت أنوار إجابته وضوح

- (١) الأخيلية : هى لىلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل : ابن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية ،
وهو الأخيل ؛ وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الإسلام ؛ وكان يهواها توبة بن الحمير بن
حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل الأغاني ج ١٠ ص ٦٧ طبع مطبعة بولاق . وقد أوردها
أبو الفرج أخبارا كثيرة فانظره .
(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل .
(٣) المذانب : مسايل الماء الى الأرض . أو هى الجداول تسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها ،
واحدة مذنب بكسر الميم وفتح النون .
(٤) فى الأصل : «سال» بالألف ؛ وهو تحريف .
(٥) فى الأصل : «مقلبا» بالقاف والباء الموحدة ؛ وهو تصحيف .
(٦) أراعىل الرياح : أوائلها .

الصباح، وطار الى ملاّ القبول بقادمة كقادمة الجناح، وتحية اذا واجهت وجه
 الجهمام أمطر، واذا هزّت أعطاف الكهمام^(١) أثرب، أرق من النسيم السحري، وأعطر
 من العنبر الشحري، وأصفى من ماء المناقع^(٢)، وأحلى من "جنى النحل ممزوجا بماء
 الوقائع"^(٣) يرى ذلك في شرع المروءة واضحا واجبا... تحية من أولى النعمة فشكرها
 وعرف العارفة وما أنكرها، وآمن بيده البيضاء من غير سوء ومذا آمن بها
 ما كفرها، كيف لا وقد أمتزج بحبها لحمه ودمه، وسبح بحمدها قلمه وفمه، ووجرت
 شيم حمده على أعرق جياها والخير من سبقت به إلى شكر المنعم شيمه، لا سيما
 وقد جنى الطيب من ثمارها، وورد العذب من أنهارها، فلا أعدم الله مولانا صنائع
 الإحسان الذي آنعقدت عايه كلمة الإجماع، وأنشده لسان المحامد عن شرف
 الأصطناع ١٠

فلو صوّرت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع^(٦)

ولا زال اللطف صدّى صوته إذا دعا، والنجح قرين مساعيه أنى سعى، وحاكم
 الفضل يصدق دعواه حوز كل فضيلة كيف ادّعى، حضر المملوك مهنتا نفسه
 بهنائه، ساعيا في خدمته سعى الأجدل في هوائه، والنجم في سمائه، من ملازمة^(٧)

(١) الكهمام من السيوف : الكليل الحد .

(٢) المناقع : مجامع الماء . وفي الأصل : « المناقع » وهو تحريف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقعة وهي مكان صلب يمسك الماء وكذلك النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء

وماؤها يضرب به المثل في الصفاء فيقال : « أصفى من ماء الوقائع » ؛ وقوله : « جنى النحل » الخ يحز بيت

لدى الرمة ، و صدره : ولننا سقاطا من حديث كانه * الخ كما في كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الظاهر أن هنا جملة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته هذه وغيرها

من رسالته وان كان المعنى يستقيم بدونها . ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٥) فى الأصل : "شهادها" وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب

فى رسالته . (٦) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى . (٧) الأجدل : الصقر .

وجهه الذى ألقى الله عليه محبةً منه فاستنار ، واكتسى حلة الحياة فلبسته حلة
الوقار ، واجتلت المقل فرأت رونق الحفر عليه باديا ، واثمت به الهداة فالفته نجما
فى سماء السيادة هاديا ، وقالت الأماني فى ظله فأنشأ جوده قائلا :

(١)
* نزلت على آل المهلب شاتيا *

- ورأيتُه والناس مومنون من ليث عليه مهابة فكانوا الكروان^(٣) أبصرن^(٤) بازيا ، أبهة^(٥)
الجلاله ، وجلالة الأصاله ، وأصاله الشرف ، وشرف الفضل الأنف ، ورياسة^(٦)
ورثها خير سلف خير خلف ، وشيم علمته فى المعالى كيف تؤكل الكتف ، فصادف
ركابه العالى قد استقل ، وحل من دارة العز حيث حل ، فأقام رجاء أن يعاين أسرة
جبينه ، ويقبله كتقيل الندى فى يمينه ، وحين جنحت الشمس الى مستقر الأنوار
وطوى الفلك بيد القدرة رداء النهار ، وأشرف^(٧) اليوم من خشية طيه على شفا جرف^(٨)
هارب ، وثوب داعى العصر وحيعل ، وعان نير الفلك فى وجه السماء كعين الأقبل^(٩) ؛

(١) تمام البيت : « غريبا عن الأوطان فى زمن المحل » الأما لأبي على القالى ج ١ ص ٤١
طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل ، والظاهر أن صواب العبارة : « من كشب اليه مهابة » كما يرشد اليه قوله : « من »
ولم يقل : « الى » . والكشب بفتح الحاء : القرب ، واذن فقوله : « مهابة » يقرأ بالنصب أى : « من مهابة » .

(٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الرجلين
أغبر دون الدجاجة فى الخلق ، وله صوت حسن ، يكون بمصر ، وهو من طيور الريف والقرى
ولا يكون فى البادية .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول ذى الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهم الكروان عاين بازيا

والبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عبارة الأصل : « من حاشية طيفه » ، وهو تحريف .

(٦) الثويب : ترديد الصوت .

(٧) الأقبل ، من القبل بفتح الحاء : وهو فى العين : إقبال سوادها على الأنف ، أو هو مثل الحول .

معين التارح
لأهل التارح

ثَنَى عِنَانَهُ إِلَى مَثْوَى قَرَارِهِ ، وَأَنْثَى يَسَاقِ أَدْهَمَ لَيْلِهِ بِأَشْهَبِ نَهَارِهِ ؛ وَعَلَى الرِّغْمِ
 أَخْفَقَ مَسْعَاهُ ، وَلَمْ يَقِلْ قَلْبُهُ الشُّوقَ الَّذِي دَعَاهُ ؛ لَكِنْ سَارَ وَأَقَامَ خَالِصٌ وَلَآئِهِ
 وَعَادَ بَعْدَ مَا أَوْدَعَ الْحَفَظَةَ مَرْفُوعَ دَعَائِهِ ؛ فَعَرَفَ اللَّهُ مُوَلَانَا بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي
 سَارَتْ بِهِ إِلَى إِحْسَانِهِ مَطَايَا أَيَّامِهِ ، وَجَعَلَهُ مَثَبًا لِحَسَنَاتِهِ مُمَجِّيًا لِآثَامِهِ ، وَحَلَّاهُ بِالْمَقْبُولِ
 مِنْ صِيَامِهِ وَالْمَشْهُورِ مِنْ قِيَامِهِ ؛ وَأَرَاهُ صَدْرَ بَرٍّ أَتْلَجَ ، وَوَجْهَ بَدْرٍ أَبْلَجَ ، وَثَغَرَ
 أَبْتَسَامِهِ عَنْ رِضْوَانِ الْقَبُولِ أَفْجَحَ ؛ وَرَقَّاهُ دَرَجَ تَضَاعُفٍ حَسَنَاتِهِ ، وَلَقَّاهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ
 مَذْخُورَ إِحْسَانِهِ وَمَوْعُودَ هَبَاتِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْأَمَلَ فِي بَنِيهِ ، وَأَرَانَا فِيهِمْ مَا رَأَيْنَا فِيهِ ؛ فَهُوَ
 غَابُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَغْصَانُهُ وَشَجَرُهُ ، وَمُطَهَّمُ السَّابِقِينَ وَهُمْ حُجُولُهُ وَغُرُرُهُ ؛ وَإِنِّي لِأَلْمَحُ مِنْ
 تَحَايِلِ شَرْفِهِمْ وَشَرَفِ تَحَايِلِهِمْ ، وَشَمَائِلِ شِيمِهِمْ وَشِيمِ شَمَائِلِهِمْ ؛ نَجَابَةٌ تَضَعُهُمْ مِنَ الرَّيَاسَةِ
 فِي أَنْفِهَا ، وَمِنْ السِّيَادَةِ بِمَكَانِ شَنْفِهَا ؛ فَهُمْ جَذْوَةٌ فَضْلٍ مُبْرِقَةٍ ، وَدُوحَةٌ عِلْمٍ مُورِقَةٍ
 وَنَبْعَةٌ سِيَادَةٍ مُعْرِقَةٍ ، وَشَمْسٌ مَعَالٍ فِي أَفْقٍ كُلِّ شَرْفٍ مُشْرِقَةٍ ؛ سَمَتْ بِهِمْ أَصَالَةُ
 النَّسَبِ ، وَفَضِيلَةُ الْأَدَبِ الْمَكْتَسَبِ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ شَرَفِ الْعُمُومَةِ وَالْخُؤُولَةِ فِي كَرَمِ
 الْمُنْتَسَبِ ؛ فَلِلْعَلَا أَلْسُنُ تَتَنَّى مُحَامِدَهَا عَلَى الْحَمِيدِ مِنْ فَعْلِهِمْ وَشِيمِهِمْ ، وَلِلنَّدَى مَوَاهِبُ
 عُزَيَّتٍ مَذَاهِبَهَا إِلَى الْعَلِيِّينَ مِنْ كَرَمِهِمْ وَهَمَمِهِمْ ؛ لَا زَالَتْ مُحَاسِنُهُمْ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
 وَأَيَّامُهُمْ مَوَاسِمَ الْأَعْيَادِ ، وَحَرَمُهُمْ الْمَخْصَبَ بِالْمَكَارِمِ سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ ؛
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَقْبَل » ؛ وَالْبَاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) مُمَجِّيًا بِتَشْدِيدِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ،
 مِنْ مُحَاهٍ تَحِيَّةٍ : أَيْ بِالْغِ فِي مُحَوِّهِ . (٣) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « بِالتَّغْبِيلِ فِي » الْخ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ
 صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَرُشِدُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : « وَالْمَشْهُورُ مِنْ » الْخ . (٤) فِي الْأَصْلِ : « بَاغ » ؛
 وَفِي حُرُوفِهِ قَلْبٌ لَا يَظْهَرُ بِهِ الْمَعْنَى . وَالْغَابُ : الْآجَامُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْيَاءِ ، وَقَدْ جَعَلَتْ جَمَاعَةُ الشُّجَرِ غَايَةً لِأَنَّهُ
 مَا خُودُ مِنَ الْغِيَابَةِ . (٥) فِي الْأَصْلِ : « لِأَتْلَجِ » ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ
 اللُّغَةِ . (٦) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « نَحَابَةٌ بَعْضُهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ فِي كَلَا الْفُظَيْنِ لَا يَظْهَرُ لَهُ
 مَعْنَى . (٧) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « عَذِبَتْ مَوَاهِبَهَا عَلَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ فِي الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ؛
 وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وكتب الى القاضي شمس الدين الأصفهاني الحاكم — وكان بالأعمال
القوصية — رحمهما الله تعالى — :

أوضح الله صنائع المجلس في بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديّه في أجياد الأيام
دررا ، وصنّى مشارع أمانيه إن كان مَشرَعُ الأمانى كدرا ، ولا زال الإسلام
يشدو بحمده مفتخرا ، والأيام نتلو مجده سُورا ، والشرعُ المحمديُّ يكون بمضائه
في ذات الله منتصرا

فقد نشرت يمينك أودية العلاء * تُحَلِّي بلادَ الله بالدين^(١) والعلم
وأَمْضَيْتَ أمر الله في شرع أحمد * وَقَيَّدْتَ شُكْرَ الله في مطلق الحكم
وَتُرِضِي كلاً الخصمين في السخط والرضا * كأنك تُعْطِي الخصم ما كان للخصم
الى غير ذلك من محاسن وضحت وضوح النجم في الليل البهيم ، وسرت الى الحمد
سُرى المجدِّ الى الشرف الصميم ، وحدثت عن مساعيه بخاءت بالنثر البديع والدر
النظيم ، وأثنت عليه ثناء وارف الروض على وَاكْفِ الوابل بالسنّة النسيم
وهزّت جناحي فضله وجلاله * الى دَرَكِ العلماء من غاية المجد
وقالت معاليه نى المجد كله * فما آبنة ذى البردين والفرس الورد^(٢)

(١) في الأصل : « في الدين » ؛ وهو تحريف .
(٢) ذو البردين : عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عند
عمرو بن المنذر بن ماء السماء فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ، فقال له :
أنت أعز العرب ؟ قال : نعم ، لأن العزلة في معد ، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ،
فن أنكر ذلك فليناظره فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا
أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ؛ فأخذ البردين وانصرف (شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون
لجمال الدين بن نباتة) وقد أشار بهذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المنقري لزوجه منقوسة بنت
زيد الفوارس الضبي — وكانت قد آتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : أين أكيلى ؟ فلم تفهم
ما يريد فأنشأ يقول :

أيا آبنة عبد الله وآبنة مالك * ويا آبنة ذى البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى لنا * أكيلا فإنى لست آكله وحسدى

الأغاني ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا ، وحكما فاضلا ، وساعيا الى غايات الفضائل
واصلا ، وفاعل حسنات صير الحاصل من ثنائه باقيا والباقي من عمله الصالح
حاصلا ؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مستنى بحدّ ثباتها ، ورمتنى عن
قوس أذاتها ، وجنتنى الحنظل من شجراتها ، والمر من ثمراتها ، وأضرمت من نار ألى
مالم تطفئه مقلتي بفيض عبراتها

كأنى لم أطع بأفق سنائها * ولم أتقلب فى ثياب ستماتها
ولم ألك منها فى سويداء قلبها * فحايلى من هدى العلا وهداتها

— أستغفر الله — فإنها أسترجعت ما لم يكن مستحقا ، وأبقت إن شاء الله
لمجلسه السامى ما كان حقا ، وأسكنته^(١) — أدام الله نعمته — وفلك السعادة شرقا
ومطلع الشمس أفقا ، وأحلته^(٢) من كنف السيادة قلبا ومن رأس الرياسة فرقا
وتطلعته آلاما خير غمامة * فتلتمع به برقا وتوصكه ودقا
وتبقيه للدين الحنيفى عصمة * وللهدى والإضلال إن أبهما فرقا
وتبرزه فى صدر كل فضيلة * كما بدّ شأوا الفاضلين بها سبقا
حضر مملوك مولانا الولد [وقد] رفع من المحامد الشمسية لواء ، والتزم العبودية^(٣)
والإخلاص ولواء ، وعمر الأفنية ودادا والأندية ثناء ؛ وقال : أحسن مولانا حين
أساءت الأيام ، وأولى نعمة حاتمة وإنها أشرف الإنعام

(١) فى الأصل : « وسفته » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « ومحله » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها لأن ذلك هو الأكثر فى كلامهم ؛ فان فى جملة
الماضى انثبت الواقعة حالا أربع صور مرتبة فى الكثرة ، وهى : جاء زيد وقد قام أبوه ، ثم جاء زيد قد قام
أبوه ، ثم جاء زيد وقام أبوه ، ثم جاء زيد قام أبوه وهذا خلاف مذهب البصريين ، فإن مذهبهم لزوم
« قد » لهذه الجملة مطلقا ظاهرة أو مقدرة انظر شرح الأشئوبى ج ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق .

ومالى لا أثنى عليه بصاح * وأشكره والشكر بعض حقوقه
وأملأ من حسن الثنا كل مسمع * وإنى لأخشى بعد إثم عقوقه

- ثم سار وقلبي يتبعه ، ودمعى يشيعه ، وإسأنى يستحفظه الله ويستودعه ، وعليه
من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلها ، والأعماد بمنصلها ^(١) ، لتوالى هذه
المغارم التى طم جدهاها ، والمظالم التى عم رداها ، والمحنة التى ملكتنى يداها ، من
خراج طمى بحر ظلمه ، وزاد على حد الجور رسمه وخصصت من بين هذا العالم ^(٢)
بوسمه ، للزوم قام بوصفى فتبعه لازمه ، ومعنى وجب لذاتى فاستحال عدمه ، وقد
كان المملوك وولده فيما سلف يجودان بما يجيدان لقناع ومعترا ، وغنى ومضطرا ^(٣) ،
صيانة للأعراض من أعراض اللوم ، ورغبة فى صلة حمد الأمس بفائد اليوم ،
وسجية نفس تأنف من علاقة الدم ، وإن كان هذا فيما لا يجب فالقياس فيما يجب ^(٤)
انبعاث النفس اليه من حتم المروءة أمضى ^(٥) ، والدین بأداء الواجب أقضى ، لانه

(١) المنصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : « ضم جدهاها » ، وفى كلا اللفظين تحريف لا يستقيم به المعنى . والجداء بضم الجيم
والمد : مبلغ حساب الضرب ، كقولك : ثلاثة فى ثلاثة جداؤها تسعة ، يريد بقوله : « طم جدهاها » أنه
قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

(٣) فى الأصل : « جدل » ، وفيه تصحيف وزيادة لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الوسم للوسم ، والوسم : أثر الكى . والذي فى الأصل :
« برسمه » بالراء ، وهو مكرر مع ما قبله .

(٥) الفائت : المستفاد ، يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصلت .

(٦) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : « فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم
المروءة والدين أمضى بأداء الواجب » الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهر بهما المعنى ، واستقامة الكلام تقتضى
اثباتها على هذا الوجه . وقوله : « انبعاث » فاعل « ليجب » ، وقوله : « من حتم » بيان لـ « بما » ،
وقوله : « أمضى » خبر المبتدأ فى أول الجملة .

(١) مؤيد بإبرام الشرع، وقد صح هذا القياس بجماعية الأصل والفرع؛ لكن ضاقت يد القدرة عن نفاذها، واعتاضت من وابل الثروة برذاذها؛ وإذا توافرت القرائن أفادت فوق ما تفيد غلباتُ الظنون من مدار الشرعيات عليها، وانتهاء غالب الأحكام إليها؛ وقد كان المملوك حرك عزائم سيدنا قاضي القضاة - شرف الله قدره، وأدام على الإسلام أمره - إلى تحزيبها العلوم الكريمة بما هي عالمه، وحكمها بما هي حاكمه؛ ليكون له مستند يدفع أقوال المتعترضين، ويصرف اعتراض المعتريين؛ وإلا لا يقف له واقف فيجري قلمه الشريف بأمرٍ جازم يجب الوقوف على مثاله، والمسارة إلى أمثاله؛ فيعز آستدراك الأمر بعد إحكامه، ويكون السعي في معارضته كالتقص لأحكامه؛ فكتب بما يقف مولانا عليه، وتشير مروءته وديانته إليه؛ ويقرر مع نائبه ما يقف عنده، لا يتجاوز حدّه؛ غير ذا كرى عن مولانا منعاً ينفر عنه الرواه، ولا مشنع بكتاب سيدنا قاضي القضاة؛ بل يكون كالشافع، إذا صمم الخصم اعتذر بما هو لهذه المصالح كالجامع؛ ليكون المملك في إرضائه بحسب الإمكان ويرى الخصم ما أخذه بعد اليأس نوعاً من الإحسان؛ فالنفوس إذا منعت كل المنع طابت كل الطلب، وتعلقت في درك أغراضها بكل سبب؛ وإذا أخذت بالكلام

(١٤٢)

(١) في الأصل : « صابت » بالصاد المهملة والباء الموحدة ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تحريك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٣) « لكون » أى ليحصل ويثبت ، فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب ، ويحتمل جعله ناقصاً ، واسمه ضمير يعود الى « تحزيبها » ، وخبره قوله : « مستندا » بالنصب .

(٤) في الأصل : « بما » والباء زيادة من النسخ ؛ إذ لم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن « قرر » يتعدى بالباء .

(٥) في الأصل : « الذوات » بالذال المعجمة ؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « مشيع » بالياء المشاة ؛ وهو تصحيف .

(٧) عبارة الأصل : « المالك في إرضائهم » ؛ وهو غير مستقيم ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(١) البين، وعممات بالسهمل اللين، بعد درء سورتها بالمنع، ودفع شهوتها بالدفع، اتسق
حكم الأشياء وانتظم، وانشعب صدع هذا الجرح والتأم، وجرى الأمر على سداد
بحفظ النظام وحفظ الحرمة والحفظ للشارع، ولذلك قال: "أقبلوا ذوى الهيئات
عثراتهم"، لا سيما مع شهادات ضروراتهم، بسط الله يمين سيدنا فى المعالى كما بسط
لسانه فى المعالم، وقيّد عليه لسان المحامد كما أطلق يده بالمكارم، وعليه تحية الله
التي توالى عليه نفحاتها، وتهدى إلى آماله العالى [من] مقترحاتها. (٥)

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سمهود من عمل قوص -

وكان بينهما مودة، فاستدعاه للسلام عليه - فكتب :

إلينا فإننا قد حاللنا بأرضكم * على فرط شوق لابن عثمان دائم

وزرناك محمودا كما زار أحنف * لنيل الأمانى ربع قيس بن عاصم

- (١) فى الأصل : « اللين » باللام، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده فى الجملة الآتية .
(٢) فى الأصل : « بالمهل » ؛ وهو تحريف . (٣) السورة : الحدة . (٤) عبارة الأصل :
« يد المكارم » بسقوط الهاء والباء ؛ والسياق يقتضى إثباتهما . (٥) هذه الكلمة ساقطة من
الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والهاء فى قوله : « مقترحاتها » تعود إلى « آماله » .
(٦) سمهود، ويقال سمهوط : قرية كبيرة على شاطئ غربى النيل بالصعيد دون فرشوط (ياقوت)
وقال فى تاج العروس : المشهور فى هذه القرية أنها بفتح السين وبالذال فى آخرها .
(٧) الأحنف : هو الضحاك، وقيل : صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد، ينتهى نسبه إلى سعد
ابن زيد مناة بن تميم ؛ ويكنى أبا بجر، وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم، وكان من سادات التابعين ؛ وأدرك
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وروى عنه الحسن
البصرى وأهل البصرة ؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين ؛ وخرج مع مصعب بن الزبير إلى
الكوفة، فمات بها سنة سبع وستين وقيل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس .
(٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، ينتهى نسبه إلى سعد بن زيد مناة
ابن تميم ؛ ويكنى أبا على ؛ وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مظفرا فى غزواته حليما ؛ أدرك الجاهلية
والإسلام فساد فيهما ؛ وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية ؛ وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صلى
الله عليه وسلم وصحبه فى حياته، وعمر بعده زمنا، وروى عنه عدة أحاديث، وهو الذى قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هذا سيد أهل الوبر " (الأنثى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق)
أخبار قيس بن عاصم .

ولسنا بغاةً للندى والتماسه * وان كنت معروف الندى والمكارم
وايكن وفاءً بالإخاء لمن وفى * وقد خان حتى حد سيفى وقائى
وجدتك ذخرى والزمان محاربى * كما كنت عونى والزمان مسالى
فلا غرو أن أثنى اليك أعنتى * كما قد ثنت يمانى خنصر خاتمى

يهدى الى المجلس السامى الشرفى تحية الله التى تحلها أنفاس النسيم معطرةً بعرف
الرياض ، مكللةً بأندية الكرم الفياض ؛ تغاديه فى السحر والمقييل ، وتراوحه
فى الطفل والأصيل ، وتشاهد محاسنه المقل أحسن من محاسن بثينة فى وجه جميل ؛
وأشيتته التى تنتظم فى الأجياد انتظام القلائد ، وترد على الأسماع ورود الهيم على
عذاب الموارد ؛ ويوليه من حبه مزية الاختصاص ، ومن مولاته السوانح التى
لا تمتد إليها يد الاقتناص ؛ فهو نسيم الأنس ، ومسرة النفس ، وذخر اليوم والأمس ؛
مصعبى الهمم ، مهلبى الشيم ، حاتمى الكرم ؛ فاق أخلاقا ، وراق أعراقا ؛ وسم
نفسا ، وطالع فى سماء الشرف شمسا

وألفيته فى نفسه وولائه * وحسن معانيه كما أنتظم الدر
وضاع شذا أنفاسه فانتشقه * على النأى منه مثلما أبتسم الزهر
ولاحت معاليه بأفاق مجده * كما لاح فى ليل التمام لنا بدر

(١) فى الأصل : « مجاشفه » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الظاهر أن هذه الجملة التى بعدها مقدمتان من تأخير ؛ واسبقتهما الكلام تقضى تأخيرهما
عن الجملتين اللتين بعدهما ، أى بعد قوله فيما سأتى : (يد الاقتناص) . والأثنية : جمع ثناء .

(٣) الهيم : الإبل العطاش . وفى الأصل : « الهم » بسقوط الياء .

(٤) عبارة الأصل : « وله لأولى » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ؛ وسياق الكلام يقضى
بأن أثبتنا .

(٥) فى الأصل : « النسيم » ؛ وهو تحريف .

(١) لا حُرْمَ إتياني إليه ، وإيثار تسليمي عليه ؛ مع أني كنت أعهد له خلوةً خلوةً مع الله ووقفَةً على بابهِ ، والتجاءهُ في جنح الليل إلى جنايهِ ، ودمعةً يرسلها إذا أسترسل في محرابهِ ، وضراعةً يتابعها خشوعُهُ ، وزفرةً يشتمل عليها قلبه وتفرق عنها ضلوعُهُ

فياليت شعري هل أقامت بثينة * على عهدِها أم قد ثنتها الشواغلُ

(٢) وهل ذلك الود الذي كان بيننا * بوادي الخزامى مثل ما كان أولُ

وكتب إليه — رحمهما الله — يستدعي منه ثلاثة أسهم ومليات (٣)

— وقد أوردنا بعض هذه الرسالة في الفن الأول في السواقى ، ونُوردها في هذا الموضع بجملة لتكون متتابعة يتلو بعضها بعضاً — :

والسيفُ يُندب في الوغى فيهِزّه * ندبُ الكميِّ إلى مضاء غراره

والحرُّ أولى بانتداب خلاله * لمؤمل فيه قضا أوطاره

فلذلك حرّكتُ العزائمَ العاليةَ المولويةَ الشرفيةَ — أدام الله علاها ، ورفع لواها وأودعَ أسمعَ الأنامِ ثناها ، ولا زالت مرقّهةَ السرائرِ ، منورةَ الضمائرِ ، سائرةً في قطب المعالي سيرَ الفلكِ الدائرِ ، آخذةً بحظها من شرف المفاخرِ ، جامعةً بين درك إحسان

(١) عبارة الأصل : « لا جرم إثنائي » ؛ وهو تصحيف في كلا اللفظين .

(٢) لم يلتزم هنا ألف التأسيس وهي التي يكون بينها وبين الروى حرف متحرك ، ويجب على الشاعر التزامها اتفاقاً . انظر الحاشية الكبرى للدمهوري على متن الكافي ص ١١٧ طبع بولاق .

(٣) كذا في الأصل والسفر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية ، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الياء ، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ « الملليات » بالمعنى الذي يريده الكاتب في هذه الرسالة ؛ فإنه يريد بالمليات : أوان من خزف يستخرج بها الماء من السواقى كما يفهم من وصفها الآتي وتسمى هذه الأواني بالقواديس ؛ كما في مستدرك التاج مادة « قدس » .

الله في اليوم الأول واليوم الآخر — تحريك الطَّشْمِيَّةِ عزائم الأسود بن عفار^(٢)
وبعثها إلى إنالة الأمل أنبغات الهمم العربيَّة يوم ذى قار^(٣)، وأستجشت عزائمها
استجاشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائم الأنصار، واستنجدتها استنجاد العثمانية^(٤)
بالهاشمية يوم الدار، واستحثتها سرعة الإجابة استحثاث أدهم الليل أشهب النهار، فإنها

(١) كذا في الأصل ؛ ولعله : « الجديسية » نسبة الى جديس ؛ فان الذى حرَّك الأسود بن عفار
للذود عن شرفه وشرف قومه ، هى عفيرة أخته ، وهما من جديس لا من طسم ؛ وقد بينا ذلك فى الحاشية
التى تليها .

(٢) كذا فى الأصل ومستدرک التاج والکامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة
والذى فى تاريخ الطبرى القسم الأول (ص ٧٧١ طبع أوربا) : « ابن عفار » بالعين المعجمة . وأشار بهذه
العبارة الى ما كان بين طسم وجديس — وهما قبيلتان من العرب البائدة — وذلك أن ملك طسم كان قد سام
جديس أنواع الذل ، وأمر ألا تزف فتاة من جديس الى زوجها حتى يفتض هو بكارتها ، فزفت فتاة من
جديس الى زوجها ، وقبل زفافها أتى بها الى ملك طسم ، فافتضاها ، وكانت اسمها عفيرة ، وهى الشموس أخت
الأسود بن عفار هذا ، فخرجت على قومها فى حالة تثير الحمية فى نفوسهم وتحرضهم على أن يقوموا فى وجه
هذا الظالم ليحفظوا شرفهم وأعراضهم ؛ فخطب الأسود بن عفار فى قومه وأتمروا بطسم وملكهم ليفنؤهم
عن آخرهم ويخلصوا من ظلمهم ، فصنعوا طعاما ، ودعوا اليه ملك طسم وقومه ودفنوا سيوفهم فى الرمل
فلما حضروا وجلسوا الى الطعام أخذتهم سيوف جديس فلم يبق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصة
فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ؛ وبه كانت الوقعة المشهورة بين
بكر بن وائل والفرس ، وهو أول يوم انتصف فيه العرب من العجم . وهذه الوقعة من مفاخر بكر بن وائل
(ياقوت) فى الكلام على ذى قار وانظر تفصيل هذه القصة فى كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه التى حوَّصر فيها وقتله الثوار بها فى الثامن عشر من
ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا فى كتب التاريخ . ويشير بقوله : « استنجاد العثمانية بالهاشمية »
الى كتاب قيل : ان عثمان بعث به الى على رضى الله تعالى عنهما يستنجده على من حاصره جاء منه : أما بعد
فقد بلغ السيل الزبى ، وتجاوز الحزام الطبيين . وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ؛ الى أن قال : فأقبل إلى على
أى أمر يك أحبيب

فان كنت مأكولا فكن خيرا أكل والا فأدركنى ولما أمزق

”تمام المتن شرح رسالة ابن زيدون للصفدى“ .

- لَلَّتِي ثَبَّتَ عَلَيْهَا خَنْصَرَ الْأَعْتَادِ ، وَصَرَفَتْ إِلَيْهَا عَقِيدَةَ الْأَعْتَادِ ، وَجَعَلَتْهَا مِنَ الْقَلْبِ
 فِي سَوِيدَائِهِ وَمِنَ الْمُقْلَةِ فِي السَّوَادِ ، وَأَعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا أَعْتَادَ بَكْرِ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ ؛
 لَا جَرَمَ أَنَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى سَاعِيَةٌ لِّأَمَالِي مَتَى اسْتَسَعَيْتُهَا ، وَصَدَى صَوْتِي مَتَى دَعَوْتُهَا
 وَفَاتِحَةُ كِتَابِ الْحَامِدِ مَتَى تَلَوْتُهَا ؛ وَأَعِيدُهَا بِاللَّهِ أَنْ تَنْكُبَ عَنْ قَضَائِهَا ، أَوْ تَقْفَ دُونَ غَايَةِ
 انْقِضَائِهَا ؛ وَإِنَّهَا لَأَوْرَقُ فُرْعَا مِنْ أَفْنَانِ السَّلَامَةِ ، وَأَعْرَقُ أَصْلًا فِي الْوَفَاءِ مِنْ أَصْلِ
 السَّلَامَةِ ، وَأَرْشَقُ سَهْمًا فِي كَنَانَةِ سَلِيمِهِ ، وَأَوْثِقُ فِي حِفَازِ الْمُوَدَّةِ مِنْ آبِنِ شَبْرَمَةَ ؛ يَقِينٌ

- (١) في الأصل : « الاعتذار » بالذال المعجمة والراء ؛ وهو تحريف .
- (٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطي بضم العين في إحدى نسخ القاموس مادة « نعم » وهذه النسخة
 محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش . وضبط كذلك بالنقل في شرح التبريزي على ديوان
 أبي تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥ . أدب ش عند قول أبي تمام :
 كم وقعة لك في الهوى مشهورة * ما كنت فيها الحارث بن عباد . والحارث بن عباد : هو أحد فرسان
 بني بكر بن وائل ورؤسائهم ؛ وكان قد اعتزل الحروب التي وقعت بينهم وبين بني تغلب ، وهي المسماة بحرب
 البسوس . ثم شهدا بعد ذلك لما قتل مهلهل بن ربيعة ابن أخيه بجيرا ، وقال مهلهل حين قتله : « بوبشيع
 نعل كليب » فغضب عند ذلك الحارث بن عباد وقال :
- قربا مربط النعامة مني * لقت حرب وائل عن حيال
- الآيات — والنعامة : فرسه — فأتوه بها ، فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم ، وكان أول يوم شهده
 يوم قضة ، وهو يوم تحلاق اللحم ، وإنما قيل له : تحلاق اللحم ، لأن بني بكر حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم
 بعضا ، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا ، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة ، وفي هذا اليوم أسر الحارث
 ابن عباد مهلهل بن ربيعة ثم أطلقه اه ملخصا من تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ طبع ليدن) .
- (٣) عبارة الأصل : « أن تكتم عن نصابها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه
 ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق .
- (٤) هو من ورق الشجر يرق كوعد يعد والأكثر في هذا الفعل « أورق » بالالف ، قاله الأصمعي .
- (٥) السلمة : شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها وورقها يسمى القرظ ، ولها زهرة صفراء فيها حبة
 خضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء وتخضر في الصيف . وقال أبو حنيفة : السلم سلب العيدان طولاً شبه
 القضبان وليس له خشب وإن عظم وله شوك دقاق طوال حاد . والكلام هنا على الاستعارة .
- (٦) السلمة بكسر اللام : الصخرة ؛ يريد أنه ثابت العهد على الأيام ثبوت الصخر . (٧) سلمة
 بكسر اللام : بطن من الأنصار . (٨) لعل المراد بابن شبرمة : سعيد بن النضر بن شبرمة الحارثي الكوفي ،
 من المحذئين انظر مستدرک الناج . وفي الأصل : « ابن أبي شبرمة » ؛ وقوله : « أبي » زيادة من النسخ .

أَحْطَتْ بِأَنْبَاءِهِ ، إِحَاطَةً رَسُولُ ابْنِ دَاوُدَ يَوْمَ إِنْبَاءِهِ ؛ فَلَا أَشْكَ فِي شَرَفِ نَفْسِهَا ^(٢)
 وَسَمَوَّ نَجْمِهَا وَوَضُوحِ شَمْسِهَا ، وَزِيَادَةِ يَوْمِهَا فِي الْوَفَاءِ عَلَى أَمْسِهَا ، كَمَا لَا تَشْكُ ^(٣)
 الْإِيَادِيَّةُ فِي فَصَاحَةِ قُصِّهَا ، وَلَا الْعَامِرِيَّةُ فِي عِلَاقَةِ قَيْسِهَا ؛ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَامِلُهَا
 لِلْحَمْلِ السَّهَامِ الَّتِي أَسْهَمَتْ لَهُ مِنَ الْمَوَالَاةِ ^(٤) أَوْفَرَ أَقْسَامِهَا ، وَنَشَرَتْ رِذَاءَ ذِكْرِهِ عَلَى أَفْعَدَةِ
 قُلُوبِهَا وَالسَّنَةِ أَقْلَامِهَا ؛ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَجَرَّ ثَقِيلَ السَّوَاقِ عَلَيْهَا ؛
 وَحَرَكَةَ الْحَزَنِ الَّتِي حَلَّتْ شَمْسُهُ بُرْجَ حَمَلِهَا ، وَتَوَالَتْ جِيُوشُ جَنُودِهِ بَيْنَ صُدُورِ ظُبَاهَا ^(٥)
 وَأَطْرَافِ أَسَاسِهَا ؛ تَجَفَّفَ أُنْدَاءُ الثَّرَى ، وَتُعِيدُ ^(٦) عَنَبَ الْأَرْضِ عَثِيرًا ، وَتُثْسِبُ مَفَارِقَ
 نَبَاتِهَا ، وَتُذِيقُ الْمَمَاتَ أَكْبَادَ حَبَاتِهَا ؛ فَاسْتَنْصَرَ الْعَزَائِمَ الْعَالِيَةَ الْمَوَالِيَّةَ الشَّرَفِيَّةَ فِي إِطْفَاءِ لَهَبِهِ ^(٧)
 وَأَقْتَضَيْنَا إِعَانَتَهُ قَبْلَ أَنْتِضَاءِ قُضْيِهِ ^(٨) ، وَبَعَثْنَا لِحَلِّ الْهَمَةِ الشَّرَفِيَّةِ قَبْلَ سَطُوتِهِ عَلَى قُضْيِهِ ^(٩)
 وَقَصَبِهِ ؛ لَتَجْرَى جَدَاوِلُهَا عَلَى صَفْحَةِ الثَّرَى مُسْتَفِيضِهِ ، وَتُجْنِي ثَمَرَاتُ رِيَاضِهَا مِنْ

(١) أَرَادَ رَسُولُ ابْنِ دَاوُدَ : الْهَدَّهِدَ ؛ وَقِصَّتُهُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ مَشْهُورَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَنْ فِي شَرَفٍ » وَقَوْلُهُ : « أَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « أَمْنَهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْمَوَالَاةُ ، مِنْ وَالِيَ فَلَانٌ فَلَانًا : إِذَا أَحَبَّهُ وَصَادَقَهُ .

(٥) الْحَمْلُ مِنْ بَرُوجِ السَّمَاءِ : أَوَّلُ الْبُرُوجِ ، وَأَوَّلُ هَذَا الْبُرْجِ الشَّرْطَانُ — وَهُمَا قَرْنَا الْحَمْلِ —
 ثُمَّ الْبَطِينُ ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ ، ثُمَّ الثَّرَيَا ، وَهِيَ أَلْيَةُ الْحَمْلِ ؛ هَذِهِ النُّجُومُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ تَسْمَى حَمَلًا . قَالَ فِي اللِّسَانِ :
 وَهَذِهِ الْمَنَازِلُ وَالْبُرُوجُ قَدْ انْتَقَلَتْ ؛ وَالْحَمْلُ فِي عَصْرِنَا هَذَا أَوَّلُهُ مِنْ أَثْنَاءِ الْفَرَعِ الْمُوَخَّرِ أَهْ كَلَامُهُ ؛ وَالْحَمْلُ
 مِنَ الْبُرُوجِ الرِّبْعِيَّةِ .

(٦) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « غَيْرِ الْأَرْضِ عَثِيرًا » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كَلَا اللَّفْظَيْنِ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى ؛

وَالْعَثِيرُ : الْغَبَارُ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « صَمَاتٍ » بِالْأَصَادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَظْهَرُ لَهُ مَعْنَى .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « انْقِضَاءٌ » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٩) الْقَضْبُ كُلُّ نَبَاتٍ يَقْتَضِبُ فَيُؤْكَلُ طَرِيًّا غَضًا .

- (١) أنداء همتته أريضة ؛ وتغازل مقل النفوس لحظات أزهارها ، وتفتن أفنان فنونها^(٢)
 بنوح بلبلها وهزارها ، ويبوح شذا الروض عن سرها وآثارها ؛ هذا مع أنها خطبت^(٣)
 حسن إحسانه ، وتقلدت جميل بره وجزيل أمتنانه ؛ والربيع منعم العذار ، موثى^(٤)
 الإزار ؛ قد لبس رداء شبابه ، وماس في خضير تراه وخضيل ربابه ؛ يهز أعطاف^(٥)
 سنائه ، ويخطر في برد هوائه وبرد مائه ، فكلل وجنات نوره يبرد أندائه ؛ والثرى^(٦)
 عنبري الأديم ، سحري النسيم ، رندى الشميم ؛ موثج بقلائد غدرانه ، مغازل بعيون^(٧)
 نرجسه بسام بثغر أخوانه ؛ لا يغرد ذبابه ولا يطرب ، ولا يصير بسجراته الجندب ؛
 تطالع شمس محتجبة في ضبابها ، مقنعة من سخاها ؛ جارية في أنشاء حبيكها^(٨) ، جائلة^(٩)
 في أدنى فلكيها ؛ تسعى فتسرع ، وتكاد أن تغرب حين تطلع ؛ والجو معقود الأزار ، فاخى^(١٠)
 في أدنى فلكيها ؛ تسعى فتسرع ، وتكاد أن تغرب حين تطلع ؛ والجو معقود الأزار ، فاخى^(١١)

- ١٠ (١) الأريضة : المعجبة للعين .
 (٢) الأفنان : الأغصان ؛ واحد فن ، كسب . ويريد بالقنون : ضروب النبات ، واحد فن .
 (٣) كذا في الأصل ؛ ولم تقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعدي « باح » بهذا الحرف ؛ ولعله
 ضمن يوح : معنى يكشف فسوغ له هذا التضمن ذكر « عن » .
 (٤) في الأصل : « وأسرارها » ؛ وهو تحريف نكره مع ما قبله .
 ١٥ (٥) في الأصل : « ذبابه » بالذال المعجمة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والرباب : السحاب .
 (٦) في الأصل : « شبابه » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية . إذ به يتم السجع
 الذى التزمه الكاتب فى رسالته .
 (٧) فى الأصل : « لا يفر » وفيه تصحيف ونقص .
 (٨) فى الأصل : « ولا يضر بشجراته » ؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين . والصرير والصرصرة :
 صوت الجندب .
 ٢٠ (٩) فى الأصل : « ضيائها » ؛ وهو تحريف .
 (١٠) حبك الشمس : طرائقها ، الواحد حبيكة .
 (١١) الفاخى : نسبة الى الفاخنة ، وهى ضرب من الجسم المطوق لأن لونها يشبه الفخت : وهو
 ضوء القمر .

الإزار؛ غيمه منسكب، ونوره منسحب؛ وليله يضم أطراف نهاره، ويلف وجهه
 في حاشية إزاره؛ ينفي القذاة عن مائه^(١)، ويجمع الحواس على جلوائه^(٢)، ويعشى المقل
 من ضوء سنائه

فلو أن ليلى زارني طيف أنسها * وماء شبابي قاطر في ذوائبي
 صممت عليها البرد ضمة آلف * وألصقت أحشائي بها وتراي
 ولكن أتتني بعد ما شاب مفريقي * وودعت أحبابي له وحبائي
 والحاجة داعية إلى ثلاثة أسهم، كأنها هقعة الأنجم؛ ممتدة امتداد الرمح، مقومة
 تقويم القدح؛ غير مشعثة الأطراف، ولا معقدة الأعطاف، ولا مسوسة الأجواف؛
 تحاسن الغصون بقوامها، والقودود بتمامها؛ وتخالف هيفها بامتلاء خصورها،
 وتساوي [بين] هوائها وصدورها؛ معتدلة القودود، ناعمة الحدود؛ مع مليات^(٥)
 أخذت النار فيها مأخذها فاسودت، وتناولت عليها مدة الحفاف فاشتدت؛ وترامت
 بها مدة القدم، كأنها في حيز العدم؛ صلاب المكاسر، غلاظ المآزر؛ تشبه أخلاقه
 في هيجاء السلم، وتحكي صلابه آرائه في نفاذ الرأي ومضاء العزم؛ تكظم على الماء^(٦)
 بقبضها، فتجود على الأرض بفيضها؛ تمتد يدايها في اقتضاء إرادتها، وتطلع^(٧)
 بقبضها، فتجود على الأرض بفيضها؛ تمتد يدايها في اقتضاء إرادتها، وتطلع^(٨)

- ١٥ (١) في الأصل : « ينفر الدوات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه سياق الكلام .
 (٢) في الأصل : « ملوايه » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .
 (٣) الهقعة : ثلاثة كواكب فوق منكب الجوزاء ، كالأنثى إذا طلعت مع الفجر أشد حر الصيف .
 (٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن السفر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩
 الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .
 ٢٠ (٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء .
 (٦) في الأصل : « وتجلي » ؛ وهو تحريف .
 (٧) في الأصل : « لغيظها » وفي السفر الأول من هذا الكتاب : « بغيظها » ؛ وهو تصحيف في كليهما .
 (٨) الأيد : القوة .

طلوع الأنجم في فلك إدارتها ، وتعايق أخواتها معانقة التشيع ، فأخر التسليم أول التوديع ، على أنها تؤذن بحقائق الاعتبار ، وتجري جرى الفلك المدار في فناء الأعمار

تمتر كأنفاس الفتى في حياته * وتسعى كسعى المرء أثناء عمره

يفارق خلّ خلّه وهو سائر * على مثل حال الخلّ في إثر سيره

ويُعلمه التدوّار لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمره

فمن أدركت أفكاره سرّ أمرها * فقد أدركت أفكاره سرّ أمره

ومن فاته الإدراك أدركه الردى * إذا جرعت أنفاسه كأس مره

هذه آخر خطوات القلم ، ومنتهى خطرات الكلام ، فقم في سرعة وصولها

وتعجيل رسولها

بعزم [غدا] ينسى لمروان عزمه * براهط^(١) إذ جاشت عليه القبائل

غير معتمد عليه ، ولا مفوض أمرا إليه ، فلم أعتمد عليه آعتاد الصوفه^(٢) ، وإنما هو العباد عند أهل الكوفة^(٣) ، وإنما هو حمار سير ، وذنب طير ، يحمل ورقة مطوية عن

(١) راهط : موضع في الغوطة من دمشق . (ياقوت) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة . وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد خلفاء بني أمية وأتباع عبد الله بن الزبير ، وهم القيسية ، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة : " اعتماد آل صوفة " ، وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة ويتسكعون ؛ قال في الأساس : ولعل الصوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم في النسك والتعباد ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول اعتماد المفوض اليه في كل أمر ، كاعتماد أهل التنسك والعبادة على خالقهم وتسليمهم اليه في جميع الأمور .

(٣) العباد عند أهل الكوفة : هو المسمى بضمير الفصل عند البصريين مثل « هو » في قولك : « زيد هو القائم » ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ ما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية كالعماد في البيت الحافظ للسقف من السقوط كما نص على ذلك في كتب القواعد ؛ وكأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله ، ولا يصلح لأن يفوض اليه أمر آخر يحتاج الى فطنة ودقة نظر ، فهو كضمير العماد الذي ليس له فائدة في الجملة لا كونه عمادا لما يليه .

عليه، مزويةً عن فهمه؛ "كما يحمل الزند الشرار إلى العظم" والله تعالى يحلّه من
السعادة أشرف آفاقها، ويحرسه في طفل الشمس وإشراقها
ويجريه من ألطافه نحو غاية * تبّغسه الألفاظ حلوم مذاقها
ويُلبّسه نحر السيادة والعلا * كما لبست أسماء^(١) نحر نطاقها
إن شاء الله تعالى .



ذكر شيء من إنشاء المولى [القاضي الفاضل البارع الأصيل]

الأجل محي الدين عبد الله [بن عبد الظاهر] رحمه الله تعالى

كان رحمه الله من أجل كتاب العصر، وفضلاء مصر، وأكابر أعيان الدول
والذي افتخر بوجوده أبناء عصره على الأول؛ له من النظم الفائق ما راق صناعة
وحسنا، ومن النثر الرائق ما فاق بلاغة ومعنى؛ فقصاصه مدونة مشهورة، ورسائله
بأيدي الفضلاء ودفاترهم مسطورة؛ وكلامه كاد يكون لأهل هذه الصناعة وعالمهم

(١) أسماء : هي بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما؛ وكانت تلقب بذات النطاقين، وأصح
الأقوال في تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل في الآخر الزاد إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار. وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الغار، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخرى عصا ما لقربته؛ وروى عن
عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أبي بكر مهاجرين صنعنا لهما سفرة في جراب
فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فلذلك كانت تسمى ذات النطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء
بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خات من جمادى الأولى سنة
ثلاث وسبعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن .

(٢) هاتان العبارتان لم تردا في (١) وقد أثبتناهما عن (ج) .

(٣) في (١) : "مبينة" .

(٤) كذا في (ج) والذي في (١) «كاد أن يكون» بزيادة «أن» والذي اخترناه هو الأكثر
في خبر «كاد» فإن افتراان خبرها «بأن» قليل؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر؛ ومنه قول الشاعر :
* كادت النفس أن تفيض عليه * انخ البيت .

حجّه ، وطريقه في البلاغة أسهل طريق وفي الفصاحة أوضح محجّه ، وهو رحمه الله
 ممن عاصرتُه ولسوء الحظ لم أشاهد محياه الوسيم ، ولم أفز بالنظر إلى طلاقة وجهه
 الكريم ، والذي أوردته من كلامه هو ممّا نقلته من خطّه ، وتلقّيته ممن سمعه من
 لفظه ، فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملك الظاهر ركن الدين
 بيبرس الصالحى — رحمه الله — إلى ملك الغرب ، كتب :

تحياتُ الله التى تتابع وفودها وتتوالى ، وتشرق نجومها وتتلاّلا ، وتنفق إسرافا
 ولا تخاف من ذى العرش إقلا لا ، تخصّ الحضرة السنية السريّة ، العالمية العادية
 المستنصرية ، ذخيرة أمير المؤمنين ، وعصمة الدنيا والدين ، وعدة الموحدين ،
 لا زالت سماءها بالعدل مغدقة الأنواء مشرقة الأنوار ، ورياضها بالفضل موروقة
 الأغصان مونة الثمار ، ولا برحت ضوأل الأمانى فى أبوابها تُنشد ، وقصائد القُصود^(٢)
 فى انصافها تُنشد ، وسرى الآمال عند صباح أمرها يُحمد ، وأحاديث الكرم عن جودها
 تُرسل والى وجودها تُسند ، وسلامه الذى يكثر نسيم الروض الأنيق ، ويفاخر جديده^(٣)
 عتيق المسك وأين الحديد من العتيق ، يغادبان تلك الأنداء المباركة مغادة الغوادى^(٤)

(١) فى (١) : «عاجزته» بالجيم والزاي ؛ وهو تحريف .

(٢) القصود : جمع قصد ؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وإنما جمع القصد مع أنه مصدر —
 والمصدر لا يثنى ولا يجمع — نظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على
 السماع ، فإن سمع الجمع عللوا باختلاف الأنواع ، وإن لم يسمع عللوا بأنه مصدر أى باق على مصدرية
 وعلى هذا يجمع القصد موقوف على السماع اه ملخصا من المصباح .

(٣) عتيق المسك : قديمه ؛ وفى كلا الأصلين : «عتيق» بالفاء وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أن
 مقابله فى العبارة بالجديد مرتين يرجح ما أثبتنا . وعتيق المسك بالفاء : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من فتق
 المسك بغيره : إذا أخرج رائحته بشئ يدخله عليه .

(٤) الأنداء : جمع النادى ، وهو القوم المجتمعون ؛ وفى حديث أبى سعيد : «نكا أنداء فخرج علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

(١) من وابل المطر ، ويراوحانها مُراوَحَة الرِّقَّة للأُصْل والبُكَرْ، حيث العزّة القعساءُ يمتدّ رواقُها، والنعمةُ الغرَاءُ تُخَصِّفُ^(٢) أوراقُها، والدَّيْمَةُ الوَطْفَاءُ^(٣) يتوالى إغداقُها، ويتتالى إغراقُها، وحيث العدل منشور الجناح، والحق مشهور السلاح، والإنصاف مبرور الأقسام إطالبه باقٍ لا يزاح، سَجِيَّةٌ تتوارث توارث الفخار، ومزِيَّةٌ تستأثر بالهداية أستئثار النجوم بالأنوار، وشيمٌ تستصحب استصحاب الأهلة للإبدار، فلذلك يتلفت الأمل إليها تلتفت السارى الى تبليج الصباح، ويرتاح الى تلقى إحسانها آرتياح الظامى إلى ارتشاف الماء القراح، ويحتمى بها فى المطالب آحتماء الليث بالغابه، ويستمدد إسعافها استمداد الحديقة من السحابة، ويهز عذها كما هز الكفى المرهف، وينبّه فضلها تنبيه النسيم جفن الزهر الأوطف^(٤)، فيناجى بالجؤور^(٥)، ويتلمس لها حسن الصنع الذى لا يزال مبتسم الثغور، فما قصّ عليه من مناجاته، وطوى عليه طوية مفاوضاته، أن القاضى زين الدين بن حباسة من بيت أسلف سلفه جميلا، وغدا هو على مكارمه دليلا، وكان له غلام قد سير معه جملة... والاحتفال الحفى^(٦) مسئول^(٧)

(١) لعله : «بوابل» فإن السياق يقتضى الباء .

(٢) تخصف أوراقها : أى تنصل أجزاءها اتصالا لا انقطاع فيه ، وخصف الورق : هو أن يوصل

بعضه ببعض للاستتار به . ١٥

(٣) الوطفاء من السحب : المسترخية لكثرة ماؤها ؛ أو هى الدائمة السحج الخفيفة .

(٤) الأوطف : المسترخى . والمصدر الوطف بالتحريك ؛ يريد تشبيه الزهر فى سكونه بالجنف الذى

غشيته سنة من الذكرى فاسترخى .

(٥) فى كلتا النسختين : « بالأجور » بتقديم الهمزة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والجؤور :

جمع (جأر) بسكون الهمزة مصدر جأر يجأر : اذا دعا وتضرع ؛ وانما جمع المصدر هنا نظرا لاختلاف ٢٠

أنواعه ؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السفر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ وهى غير واضحة المعنى ، والظاهر أنها بقية تتم معناها

سقطت من الأصول التى بين أيدينا ؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٧) الحفى بتشديد الباء : المبالغ فى البر والإكرام . وفى (ج) « الحفى » بالخاء المعجمة ؛ وهو تصحيف .

في تقدّم يجيب النجاح داعيه ، ويغدو الفلاحُ مُراوِحه ومُغاديه ؛ وأعتناء يستخلص
 حقه من عليه أعتدى ، ويرى من قبسه نورا يجد به هدى ؛ فببارقة يضيء لديه
 الخالك ، وبلمحة يهتدى "بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك" ^(١) ؛ وما هو إلا رسم
 يرسم به وقد قرب البعيد ، وآب الشريد ؛ وخاف الخائف ، وكفّ الجائف ؛ وجمعت ^(٢)
 الضوأل ، وضاق على المختزل واسع المجال ؛ مهابة قد سكنت القلوب ، وسياسة قوى
 الطاب بها وضعف المطلوب ، وعزّة لا يزال الرجاء يُنبئ إليها فيما ينوب ؛ وأى
 مطلب تُناجى فيه الآلاء المباركة فلا يُصحب قياده ، ويُستسقى له مُزن ولا تُعاهد ^(٣)
 عهاده ؛ وأى ذاهب لا يُسترجع به ولو أنه عشيّات الحمى ، وأى فائت لا يُردّ ولو أنه ^(٤)
 زمن الشبيبة المعسول اللئى ؛ وحسب العانى أن يحطّ برحابها رحاله ، أو أن يوفد إلى
 أبوابها آماله ؛ وقد تبادرت إليه المناجح متسابقه ، وانتظمت لديه المصالح متناسقه ؛
 فحينئذ يفعم إناء تأميله ، ويستوعب الإحسان لجملة قصده وتفصيله ؛ ويناديه

(١) الشوابك : من شبكت النجوم اذا دخل بعضها في بعض واختلطت ، وكذلك اشتبكت وتشابكت .
 وأم النجوم : المجرة وهذا عجز بيت لتأبط شرا ، صدره : « يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى »
 بحيث اهتدت الخ انظر ديوان الحماسة . ومعنى الشطر الثاني من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل في أسفاره كما
 تستغنى المجرة ؛ والعرب تقول : هو أهدي من النجم .

(٢) الجائف ، من الجنف بفتح الجيم والنون : وهو الميل والجور .
 (٣) المختزل : الخائن ؛ يقال : اختزل الوديعة : إذا خان فيها . والاختزال في الأصل : الاقتطاع .
 (٤) تعاهد بالبناء للجهول ، من المعاهدة : وهى المعاقدة والمخالفة . والعهاد ، جمع عهد : وهو
 المطربعد المطر ؛ أو هو أول مطر الوسمي .

(٥) يشير بهذه العبارة الى قول الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيري :

ولست عشيّات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ديوان الحماسة (باب النسب) .

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناها ليصبح الإعراب بالكسر في قوله : « وتفصيله » ؛

كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .

السعد من تلك البقعة المباركة ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملها الملائكة ؛
أمتع الله ببركاتها التي أمتد رواقها ، وأنار آحالك إشراقها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمٌ
عطرُ النفحة ، وتصافحها تحياتٌ جميلة الصفحة ؛ بمنه وكرمه .

وكتب رسالة صَيْدِيَّة ^(١) عن السلطان الملك الظاهر
إلى الأمير عز الدين الحلِّي ^(٢) نائب السلطنة بالقلعة :

هذه المكتبة إلى المجلس لا توارت شمسُ أنسه ، ولا أذبلت ثمار غرسه
ولا برح غده في السعد مُربيا على يومه ويومه على أمسه ؛ لتضمن إعلامه بأنا
خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحي الشمس منها فتستر
في سحابها من كثرة الحجل ؛ تسير على الأرض منها جبال ، وتأوى الرمال منها إلى
أورف ظلال ؛ وتوجهنا إلى جهة الطرانة ^(٣) وإذا بحشود الوحوش قد توافدت ، وعلى
مناهل المناهج قد تواردت ؛ والأجل يسوقهم ، والبيد تعقبهم ^(٤) ، والمنايا تعوقهم ؛
مناهل المناهج قد تواردت ؛ والأجل يسوقهم ، والبيد تعقبهم ^(٥) ، والمنايا تعوقهم ؛

(١) في (أ) : « إلى » ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيمن بن عبد الله الحلبي الصالح النجفي ؛ كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند
الملوك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، وكان يستنبيه في غيبته ؛ وكانت وفاته في سنة سبع وستين وستمائة
تاريخ العيني المسمى بعقد الجمان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ١٥٨٤ تاريخ والنجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطرانة مشددة الراء : اسم لوادي هيب ، وهي كورة من خوف رمسيس ، وتعرف بـرية
شهاب ، و بـرية الأسقط ، وميزان القلوب ، وبها قبر أبي معاذ الكبير (مستدرك التاج) .

(٤) الحشود : الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين .

(٥) تعقبهم : أي تنبؤهم ، وتنجافي عنهم .

ولم تزل أيدي الخيل تجمعهم في صعيد، وتطوى بهم سطورا في طروس اليد؛ حتى أحاطت بهم إحاطة الفلك بالنجوم الزواهر، والأجفان بالعيون النواظر؛ وجردت السيوف فظنتها غدرا، ورُميت النبال فحسبتها شررا؛ وعزلت^(١) الرماح بالسهم وحيثها السلام^(٢) بالسلام، وسكنت نهارا من العجاج في ظلام؛ وضافت عليها الأرض بما رحبت، وأدركت المنية منها ما طلبت؛ ورأسلتها المنايا، وأهدت إليها رياحين تحايا؛ فمن صريع وصديع وطريح وطريد، وجريح ومقبل وشريد، وقائم وحصيد؛ ولم تسلم في هذا اليوم غير غزالة السماء فإنها استترت بانغيوم، وخافت أن يكون الهلال قد نصب فخا لصيدها وصيد غيرها من النجوم؛ والموت^(٣) أسر كل مهابة مهابة، ونال الحتف من كل طلاء^(٤) طلابه؛ وفتكت الطبأ بالطبي، وقالت السهام لأجيادها : مرحبا؛ وثني الأعتة والشفار قد أنزلت، والظهور قد أثقلت؛ والكنس^(٥) خاوية على عروشها، والبيد قد أوحشت من وحوشها؛ وما نشتمل عليه من محبة المجلس وإيثاره، ونجده من الوحشة له مع دنو داره؛ وسروره بما عساه لنا يتجدد، وحبوره بما يرد من جهتنا وهذا لا نشك فيه ولا نتردد؛ أوجب أن نخصه به ونُخِفَه، ونصفه له على جليته إذ كنا بالتخصيص به لن نصفه؛ وقد بعثنا إليه منه قسما، ولم ننس عند ذكرنا أنفسنا له أسما .

١٥

(١) لعله : «وعززت» بالبناء للجهول من التعزيز : وهو التقوية والإعانة . أو لعل المراد بقوله :

«وعزلت الرماح» الخ : أن العمل في الصيد كان بالسهم دون الرماح فشبه ترك العمل بها بالعزل .

(٢) السلام : الخجارة ، واحد سلمة بكسر اللام .

(٣) في كلا الأصلين : «والوقت» ؛ وهو تحريف .

(٤) الطلا بالفتح : من أولاد الوحش من حين يولد إلى أن يتشدد .

٢٠

(٥) الكنس : جمع كناس بكسر الكاف ، وهو مولى الوحش من الطباء والبقر تكتن فيه من الحر .

وفي كلا الأصلين : «والكناس» بصيغة المفرد ؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق .



وكتب عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون
إلى صاحب اليمن جواب كتاب عزى فيه السلطان عن ولده الملك الصالح
علاء الدين علي^(١) - وكان الكتاب الذي ورد في ورق أزرق ، وسيّره في كيس
اطلس أزرق ، والعادة أن يكون في كيس اطلس أصفر - :

أعز الله نصرته وأحسن بتسلية الصبر على كل فادح ، والأجر على كل مصاب
قرح القـراح ، وجرح الجوارح ، وأوفد من تعازيه كل مسكين طاحت به من تلقاء
صـنعاء اليمن الطوائح ، وكتب له جزاء المصبر عن جار من دمع طاح ، على جار
لسويداء القلب صالح ، المملوك يخدم خدمة لا يذود المواصلتها بها حادث ، ولا يؤخرها
عن وقتها أمر كـارث ، ولا تنقصها عن تحسينها وترتيبها بواعث الاختلاف^(٢)
ولا اختلاف البواعث ، ويطلع العلم الكريم على ورود مثال كريم لولا زرقة طرسه ،
وزرقة لبسه ، لقال : « وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » ، يتضمّن ما كان
حدث من رزء تلافاه الله بناسيه ، وتوافى هو والصبر فتولى التسليم تبين عـاسيه^(٣)

(١) كذا في كلا الأصلين وتاريخ العيني المعروف بعقد الجمان ؛ والذي في ابن إياس (ج ١ ص ١١٧)
(نور الدين) مكان (علاء الدين) فلعله لقب آخر له . وكانت وفاة الملك الصالح هذا في سنة سبع وثمانين وستمائة
بعد أن مرض بالدوسنطارية الكبدية ؛ وكان أبوه قد عهد إليه في الأمر من بعده ، وخطب له معه على المنابر
فلما مات جعل أبوه الولاية من بعده إلى ابنه الملك الأشرف خليل انظر تاريخ العيني المأخوذ منه نسخة
بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) طاحت به : أي أسرعته به ، وهو مستعار من قولهم : « طاح به فرسه » إذا أسرع به كالسهم .
(٣) كذا في صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧ . وفي كلا الأصلين : « صائح » ؛ وهو تحريف .
(٤) في كلا الأصلين : « تحيتها » ؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى .
(٥) العاسي : الشديد الظلمة ، يقال : عسا الليل : إذا اشتدت ظلمته ؛ قال في شرح القاموس :
« والغين أعرف » .

وتمرين قاسيه ؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحمدناه على ما أخذ ، وما قلنا : هذا جَزَعٌ
 قد آتَبَهُ إِلَّا وقلنا : هذا تَثَبُّتٌ ^(١) قد آتَبَذَ ، ولا توهمنا أن فلذة كبدٍ قد آخِطِطَتْ
 إِلَّا وشاهدنا حولنا من ذريتنا — والحمد لله — فلذ ؛ وأحسننا الاحتساب ، ودخلت
 الملائكة علينا من كل باب ، ووفانا الله أجر الصابرين بغير حساب ؛ ولنا — والشكر
 لله — صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسى على مفقود ، وإذا علم الله حُسنَ
 الاستئانة إلى قضائه والاستكانة إلى عطائه عوض كل يوم ما يقول المبشر به :
 هذا مولى مولود ؛ وليست الإبل بأغلظ أعبادا ممن له قلبٌ لا يبالي بالصدمات
 كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حُقِرَتْ أو جَلَّتْ ، ولا بالأزمات إن هي توالى
 أو تولت ، ولا بالحفون إن أُلقت ما فيها من الدموع والهيجوع وتخلت ؛ ويخاف
 من الدهر من لم يحلب أشطره ، ويأسف على الفائت من لا تتابيه الخطوب الخطره ؛
 على أن الفادح بموت الولد الملك الصالح — رضى الله عنه — وإن كان مُنْكِياً ^(٢)
 والناجح بشجوه وإن كان مُبْكِياً ، والناجح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسي مذكياً ؛
 فإن وراء ذلك من تثبت الله ما ينسفه نسفا ، ومن إلهامه الصبر ما يجدد لتمزيق
 القلوب أحسن ما به يُرفأ ؛ وبكتاب الله وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عندنا حُسنٌ
 اقتداء نضرب به عن كل رثاء صفحا ، وما كنا مع الله — والمنة لله — نعطى لمن يؤنب ^(٣)
 ويؤنب أذنا ولا نُعيرها لمن يَنَحَى ؛ إذ الولد الذاهب مَرَفَى رضوان الله تعالى سالكا

(١) انتبذ : أى ترك الحزن والجزع ؛ من النبذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد فى لدينا من كتب اللغة أنه يقال : « أنكاه » من « نكأ » المهموز
 ولا « أنكاه » من « نكى » الممثل للام ؛ والظاهر أن الكاتب أراد المجانسة بين قوله : « منكيا »
 وقوله بعده : « مبكيا » . ونكأ الجرح بالهمز : أى قرفه وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) النأج بالجميم : الصالح ؛ يقال : نأج يَنَاج : إذا صاح .

(٤) أبه : أثنى عليه بعد موته .

طريقا لا عوجَ فيها ولا أمتا^(١)، وانتقل سارا بازرا صالحا وما هكذا كلُّ الموتى نعيًا
ولا نعتا^(٢)، وإن كان نفعنا في الدنيا فيها نحن بالصدقات والترحم عليه نفعه، وإن
كان الولد عمل أبيه - وقد رفع الله روح ولدنا في أعلى عليين تحقّق أنه العمل الصالح
«وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»^(٣)، وفيما نحن بصدد دن اشتغال بالحروب، [ما]^(٣) يهون ما يهول
من الكروب، وفيما نحن عاكفون عليه من مكاشفات الأعداء [ما]^(٣) بين المرء وبين قلبه
يحول، ومُله عن تخيل أسف في الخاطر يحول

إذا أعتاد الفتي خوض المنايا * فأهون ما يمتز به الوحول^(٤)

ولنا بحمد الله ذرية ذرية^(٥)، وعقود والشكر لله كلُّها ذرية

إذا سيد منهم خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول^(٦)

١٠ (١) الأمت : ما ارتفع من الأرض ؛ وقوله : « لا عوج فيها ولا أمتا » أى لا انخفاض فيها
ولا ارتفاع (اللسان) .

(٢) كذا في صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٨ . والذي في كلا الأصلين : « نفعه » بالهاء .

(٣) هاتان الكلمتان لم تردا في كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناهما عن صبح الأعشى إذ لا يستقيم الكلام
بدونهما .

١٥ (٤) الوحول بالحاء المهملة ؛ جمع وحل بسكون الحاء : كفلس وفلوس ؛ وأما بالتحريك فجمعه أحوال
كما في المصباح ؛ والوحل بالتسكين لغة رديئة كما ذكره الجوهري والصاغاني ، واقتصرا على ذكر الوحل
بالتحريك (الناج) وفي (ج) «الوجول» بالجميم ، وهو تصحيف ؛ والبيت لأبي الطيب المتنبي .

(٥) ذرية بفتح الدال وتشديد الراء : نسبة إلى الذر ، وهو اللبن . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها
من معنى الانتساب ومشابهة الذرية لأبينا وأمهات في الأخلاق والصفات .

٢٠ (٦) البيت للسوءل بن عاديا من قصيدته المشهورة ؛ وفي بيت السموءل : « منا » فغيرها الكاتب
بقوله : « منهم » تبعا لسياق الكلام .

- ما منهم الا من نظر سعدده ومن سعدده ينتظر، ومن يحسن أن يكون المبتدأ وأن تسد حاله بكفاليته وكفاليته مسد الخبر^(١) «والشمس طالعة إن غيب القمر» لا سيما من الدين به إذ هو صلاحه أعرف، ومن إذا قيل لبناء ملك هذا عليه قد وهى قيل : هذا خير منه من أعلى بناء سعيد أشرف^(٢)، وعلى كل حال لا عدم إحسان المولى الذى يتنوع في بره، ويعاجل قضاء الحقوق فتساعف مرسومه في توصيله طاعة بحره وبره، وله الشكر على مساهمة المولى في الترح والترح، ومشاركته في الهناء إذا سنع، وفي الدمع إذا سفح، وما مثل مكارم المولى من يعزب مثل ذلك عن علمها، ولا يعزى الى غير حكمها وحلمها، وهو — أعزده الله — ذو التجارب التى مخضت له من هذه وهذه الزبد، وعرضت عليه منهما المصيبة والوهده، والرغبة الى الله تعالى فى أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمه ١٠ وكما لم يجعلها للظهور قاصمة فلا يجعلها لعرى الشكر فاصمه^(٣)، وان يجعلها بعد حمل هذا الهم وفصاليه على عليه فاطمه، وأن يحبب الينا كل ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزو وجهاد، وأن يجعلنا ليس يحمى لدينا على مفقود تأدبا مع الله غير السيوف فإنها تعرف بالحديد، وألا تقصف رماحنا إلا في فود أو في فؤاد، ولا تحول

- ١٥ (١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسد الحال مسد، وذلك اذا كان المبتدأ مصدرا بعده حال لا تصالح ان تكون خبرا كقولك : ضربني العبد مسينا ؛ انظر تفصيل ذلك فى كتب النحاة والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تغنى عن الإخبار بها .
- (٢) أشرف على الشئ : أى أطل عليه . وقوله : «من أعلى» متعلق به ، وفى هذا اللفظ تورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح على المتقدم ذكره ؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمئة بعد وفاة أبيه قلاوون ؛ والملك الأشرف هو الثامن من ملوك الترك على الديار المصرية (تاريخ ابن ياس) ج ١ ص ١١٩ ، ١٢١ .
- (٣) فى (١) : «فاحه» ؛ وهو تحريف .
- ٢٠

سروج^(١) خيلنا^(٢) من ظهر جواد^(٣) في السرايا^(٤) إلا إلى ظهر جواد ، وألا تُشَقَّ لدينا إلا
أكباد^(٥) أكباد ، ولا تُجَزَّ غير شعور ملوك التار^(٦) تُتَوَّج^(٧) بها رءوس^(٨) الرماح ويصعد بها
على قيم^(٩) الصعادات^(١٠) ، والله يشكر للمولى سعى^(١١) مرثية التي لولا لطف الله بما صبرنا به لأقامت
الحنائر^(١٢) ، وأستخفت^(١٣) النحائر^(١٤) ، وهوت^(١٥) بالنفوس في استعمال^(١٦) الجائر^(١٧) من الأسف وغير
الجائر ، ولا شغل الله لب^(١٨) المولى [بفادحه] ، ولا خاطره بسانحة من الحزن ولا بارحه
ولا أسمع^(١٩)ه بغير المسرات من هواتف الإبهاج صادحه ، بمنه وكرمه .



ومن إنشائه رحمه الله تعالى^(٢٠) السلطان الملك الأشرف صلاح الدين
خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملك المنصور — سقى الله
عهدهما صوب الرحمة — وهو :



الحمد لله الذي لم يزل له السمع^(٢١) والطاعة^(٢٢) فيما أمر ، والرضا^(٢٣) والشكر^(٢٤) فيما هدم^(٢٥)
من الأعمار وما عمّر ، والتفويض^(٢٦) في التعويض^(٢٧) إن غابت الشمس وبقى القمر

(١) أراد بالأكباد : الجاحدين ، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، كما أننا لم نجد
في كتب القواعد ما يسوغه ، فإن صيغة أفعال مطردة في جمع الأسماء الثلاثية دون الصفات ، وأما غير ذلك
فسماعى . ولعل الكاتب أراد المجانسة بين «أكباد» و «أكاد» .

(٢) في كلا الأصلين : «تجر» بالراء المهملة ؛ وهو تصحيف .
(٣) في إحدى النسختين : (تنوج) وفي الأخرى : «تنوج» وهو تصحيف في كليهما .

(٤) الصعادات : جمع صعدة ، وهى القنادة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيب .

(٥) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ؛ والذي فى (أ) «بها ميزنا» ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى .

(٦) فى كلتا النسختين : «واستخفت» ؛ وهو تصحيف . والنحائر : جمع نحيزة وهى الطبيعة ، يريد
هنا : طبيعة الصبر والاحتمال .

(٧) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٦ ؛ والذي فى (١) : «اخمد» مكان «السمع» .

(٨) فى كلتا النسختين : «فى التفويض» بالفاء ؛ وهو تحريف .

- نحمده على أن جعل سلطاننا ثابت الأركان ، نابت الأغصان ، كل روضة من رياضه ذات أفنان ؛ لا تُزعزعه ريحٌ عقيم^(١) ، ولا يُخرجه رزءٌ عظيم عن الرضا والتسليم ، ولا يُعَبِّط^(٢) من جملة كريمة إلا ويُعَبِّط من أسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلها لله تفويضا ، وتُجْزِل له تعويضا وتحسِّن له على الصبر الجميل في كل خطبٍ جليل تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبده الذي أنزل في التسلية به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والنبي الذي أوضح الله به المنهج وبين السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى آله ما تجاوبت المحابر والمنابر في البكر والأصل ؛ وما بددت عقود ونظمت ، ونسخت آيات وأحكمت ونقضت أمور وأبرمت ، وما عزمت آراء فتوكلت وتوكلت فعزمت ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يدرك أحد في تسويد النفس الحَصيفة ولا في تبييض الحَصيفة مدَّة ولا نصيفه ، ومنهم من يسره الله

- (١) الريح العقيم : هي غير اللاح ، أي لا تأذ ، بظرائفها هي ريح الإهلاك ، كما قاله أبو اسحاق الزجاج . وقيل : لا تلقح الشجر ولا تنشئ سحابا ، عادلوا بها ضدها وهو قولهم : ريح لاقح : أي أنها تلقح الشجر وتنشئ السحاب .
- (٢) اعتبط الموت فلانا : أخذه شابا صحيحا من غير علة ، كأعبطه .
- (٣) في إحدى النسختين : « عن » ؛ وفي الأخرى : « عز » ؛ وهو تحريف في كليهما .
- (٤) في كلتا النسختين : « والبكر » بالواو مكان « في » ؛ وهو تحريف .
- (٥) يقال : عزم الرأي بالبناء للفاعل : أي عزم عليه ، وهو من قبيل القلب للبالغة ، كما يقولون : هلك الرجل ، وإنما هو أهلك بالبناء للجهول ؛ ويدل على أن الفعل هنا مبنى للفاعل قوله : « فتوكلت » بالبناء للفاعل أيضا وفي قوله « توكلت » إسناد مجازي وهو المسمى بالمجاز العقلي .
- (٦) يقال : حصف الرجل وزان « كرم » حصافة فهو حصيف : إذا كان جيد الرأي محكم العقل .
- (٧) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق ما في الأرض جميعا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » ، والنصيف كأمير : نصف الشيء ، كالعشير والثنين في العشر والثلثين .
- قال في التاج : « ومنه الحديث » وأورد الحديث السابق .

لتجهيز جيش العُسرة^(١) فعرف الله ورسوله معروفة ، ومنهم من عمل صالحا أرضى ربه فأصلح في ذريته الشريفه ، وبعد ، فإن من الطاف الله بعباده ، وأكتنّف عواطفه ببلاده^(٢) ، أن جعلنا كلّما وهى للملك ركنٌ شديدٌ شيدنا ركنًا عوضه ، وكلّما آتت رست للمقادير جملةٌ بدلنا آيةً مكان آيةٍ وتناسينا تجلداً تلك الجملة المعترضه ، فلم تُحوج اليوم لأُمسه وإن كان حميدا ، ولا الغارس لغرسه وإن كان ثمره يانعا وظله مديدا ، فأطاعنا في أفق الساطنة كوكب سعاد^(٣) كان لحسن الاستخلاف مُعدّا ، ومن لِقَبيل المسلمين خيرٌ ثوابا وخيرٌ مرّدا ، ومن يبشّر الله به الأولياء المتقين ويُنذر به من الأعداء قوما لدا ، ومن لم يبق [إلّا به]^(٤) أنسنا بعد ذهاب الذين نحبهـم [وبقى] كالسيف^(٥)

(١) جيش العسرة : هو الجيش الذى سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . قال ابن عرفة : سمي بذلك لأنهم ندبوا اليها في حارة القيظ فعسر ذلك عليهم وغلظ ، وكان إبان إيناع الثمرة الخ (تاج العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا ، وكان من جهز هذا الجيش عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه أنفق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، ونحسين فرسا ، وجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله ، وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذى أراد قتاله . انظر تفصيل ذلك في كتب السيرة ، وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام .

(٢) كذا في كلا الأصلين ، ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة تعديّة « اكنف » بالباء ، والذى وقفنا عليه انه يقال « اكنفه » بلا واسطة حرف ، ولعله ضمنه معنى الإحاطة ، فسوّغ له هذا التضمين تعديته بهذا الحرف ، أولعله : « لبلاده » باللام .

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من النسخة المشار اليها ب (ج) .

(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ، فإنه يشير بها الى قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

ذهب الذين نحبهـم * وبقيت مثل السيف فردا

كما في ديوان الحماسة ، وفاعل « بقى » ضمير يعود على « من » .

فَرْدًا ، والذي ما أَمْضَى حَذَّه ^(١) [فَيَ] ضَرْبِيَّة ^(٢) إِلَّا قَدْ الْبَيْضَ ^(٣) وَالْأَبْدَانِ قَدًا ، وَلَا جَهْزَ رَايَةَ كَتِيْبَةٍ إِلَّا

أَغْنَى ^(٤) غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ ^(٥) وَعُدَّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا

وَلَا بَعَثَهُ جَزَعُ فَقَالَ : « كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ » إِلَّا لِقِيَّهِ وَرَعُ فَقَالَ : « وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا » ، وَهُوَ الَّذِي بِقَوَاعِدِ السَّاطِنَةِ الْأَدْرَى وَقَوَانِينِهَا الْأَعْرَفِ ، وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْأَعْطَفُ وَبِالرَّعَايَا الْأَرْأَفُ ، وَالَّذِي مَا قِيلَ لِبِنَاءٍ مُلْكٍ : هَذَا عَلَيْهِ قَدْ وَهَى إِلَّا وَقِيلَ : هَذَا بِنَاءٌ مِثْلُهُ مِنْهُ أَسْمَى مُلْكًا وَأَشْرَفَ ، وَالَّذِي مَا بَرِحَ النَّصْرُ يُتَنَسَّمُ مِنْ مَهَابٍّ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الاعشى ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والضربية : ما ضربته بالسيف . وإنما دخلته التاء وان كان بمعنى مفعول لأنه صار في عداد الأسماء .

(٢) البيض بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى من الحديد ما يلبس على الرأس فى الحرب ، وقيل لها البيضة تشبها لها بيضة النعام . قاله أبو عبيدة فى كتاب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لما فيها من الأسماء والصفات التى من غير لفظها ، ولها قبائل وصفائح كتبائل الرأس تجمع أطراف بعضها الى بعض بمسامير يشد بها طرفى كل قبيلتين ؛ قال : ور بما لم تكن من قبائل وكانت مصممة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .

(٣) فى الأصل : « جهر » بالراء ؛ وهو تصحيف .

(٤) البيت لعمر بن معد يكرب من القصيدة التى سبقت الإشارة إليها فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣

من هذا السفر وروايته فى ديوان الحماسة : « أغنى » بضم الهمزة وكسر النون مسندا الى ضمير المتكلم ، وإنما أسند هنا الى ضمير الغائب تبعا لسياق الكلام .

(٥) روايته فى الحماسة : « أعد » بضم الهمزة والداال المشددة وفتح العين مسندا الى ضمير المتكلم وأسند الكاتب هنا الى ضمير الغائب لما قدمنا فى الحاشية التى قبل هذه . ويريد بقوله : « وعد للأعداء »

الخ أن الأعداء يقولون فيه : خذوا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة (ج ١ ص ٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التى سبقت الإشارة إليها فى الحاشيتين رقم ٤ ، ٥ من هذه الصفحة لعمر بن معد يكرب ، أولها صدر بيت ، والثانى عجز بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ * بَوَاتِهِ بِيَدِي لِحَدَا

الْبَسْتِهِ أَثْوَابِهِ * وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا

تأمله والفلاح ، ويتبسم ثغره فتتوسم الثغور من تبسمه النجاح ، وينقسم نوره على
البيضة فلا مصر من الأمصار إلا وهو يشرب إلى ملاحظة جبين عهده الوضاح
ويتفق اشتقاق النعوت فيقول التسلي للتملي سواء الصالح والصلاح ؛ والذي ما برح
لشعار السلطنة إلى توقله وتنقله أتم حنين ، وكأنا كوشفت الإمامة العباسية بشرف
مسماه فيما تقدم من زمن من سلف من حين ، فسمت ووسمت باسمه أكابر الملوك
[وأخير السلاطين] فخطب كل منهم مجازا لا كهذه الحقيقة بـ «خليل» أمير المؤمنين ؛
والذي كم جلا بهاء جبينه من بهيم ، وكم غدا الملك بحسن رأيه ويمين آرائه يهيم
وكم أبرأ مورده العذب هيم عطاش ولا ينكر الخليل اذا قيل عنه : إنه إبراهيم ؛
ومن تشخص الأبصار ليكمله يوم ركوبه حسيده ، وتلقي البنان سلاحها ذهلا
وهي لا تدري لكثرة الإيماء إلى جلاله إذا يبدو مسيره ؛ والذي ألهم الله الأمة
بجوده ووجوده صبرا جميلا ، وآتاهم من نفاسة كرمه وحراسة سيفه وقلمه تأمينا
وتأميلا ، وعظم في القلوب والعيون ، بما من بره سيكون ، فسمته الأبوّة الشريفة
ولدا وسماه الله : خيلا ؛ ولما تحتم من تفويض أمر الملك إليه ما كان إلى

- (١) تقول فلان في مصاعد الشرف : اذا صعد فيها ، وهو مستعار من التوقل في الجبل : أي التصعيد فيه .
- (٢) عبارة صبح الأعشى : « من زمن سلف ومن حين » ؛ والمعنى يستقيم بها أيضا .
- (٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ؛ وأخير : جمع أخير ، وهذه لغة
بنى عامر ؛ يقولون : هذا أخير من هذا وأشر منه بالألف فيهما ؛ وسائر العرب تسقطها منهما فتقول : هذا
خير من هذا وأشر منه (المصباح) .
- (٤) الرأي هنا بمعنى المرأى والمنظر ؛ فلا تكرار بينه وبين قوله بعد : « آرائه » ، والذي في صبح الأعشى :
« رواه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ والرواء : حسن المنظر .
- (٥) إبراهيم : أي إبراهيم ؛ والإبراء من البرء : وهو الشفاء . والهم بكسر الهاء : العطاش ؛ ولا يخفى
ما في قوله : « إبراهيم » من التورية .
- (٦) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والذي في الأصل : « أبا » ؛ وهو غير مستقيم .

- وقته المعلوم قد تأخر، وتُحِينُ حِينُهُ فَكَلَّ بِزِيَادَةِ كَزِيَادَةِ الْهَلَالِ حِينَ بَادَرْتَمَامَهُ فَأَبْدَرَ،
 اقْتَضَى حُسْنَ الْمُنَاسِبَةِ لِنَصَائِحِ الْجُمْهُورِ، وَالْمُرَاقَبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ، وَالْمُصَاقَبَةِ لِمَنَاجِحِ^(٣)
 الْبِلَادِ وَالثَّغُورِ، وَالْمُقَارَبَةِ مِنْ فَوَاتِحِ كُلِّ أَمْرٍ مَيَسُورٍ، أَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ وَلَايَةَ الْعَهْدِ^(٤)
 الشَّرِيفِ بِالسُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُعْظَمَةِ، الْمَكْرَمَةِ الْمُفْتَخِمَةِ الْمُنْظَّمَةِ، وَأَنْ تُبَسِّطَ يَدُهُ
 الْمُنِيفَةُ لِمَصَاحِفِهَا بِالْعُهُودِ، وَتَحْكُمَ فِي الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَفِي الْبَحُورِ وَالثَّغُورِ
 وَفِي التَّهَائِمِ وَالنَّجُودِ، وَأَنْ يُعْقَدَ بِسَيْفِهَا وَقَلَمِهَا كُلُّ قَطْعٍ وَوَصْلٍ، وَكُلُّ فَرْعٍ وَأَصْلٍ
 وَكُلُّ نَصْرٍ وَنُصْلٍ، وَكُلُّ مَا يَحْمِي سِرْحَانًا، وَيَهْمِي مَنَاجِحًا، وَفِي الْمُثِيرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ^(٥)
 عَلَى الْأَعْدَاءِ تَقَعًا وَفِي الْمُغِيرَاتِ صَبْحًا، وَفِي الْمَنَعِ وَالْإِطْلَاقِ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ^(٦)
 وَفِي الْخَمِيسِ إِذَا سَاقَ، وَفِي الْخُمْسِ إِذَا آنَسَاقَ، وَفِي السِّيُوفِ "إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي وَقِيلَ:
 مَنْ رَاقَ"، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَلْتَفَتَ أَلْسَاقُ مِنْهَا بِالسَّاقِ، وَفِي الْمَعَاهِدَاتِ وَالْهُدُنِ ١٠

- (١) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والتحين : الانتظار والطلب ؛ والذي في الأصل :
 «وتحور» ؛ وهو تحريف إذ لم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة بالمعنى المناسب لسياق ما هنا .
- (٢) عبارة صبح الأعشى : « فكل زيادة » بدون باء .
- (٣) المصاقبة : المقاربة والمواجهة .
- (٤) في الأصل : « والمقارنة » بالنون ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بقريضة ذكر « من » بعده . ١٥
- (٥) الإعداء بكسر الهمزة : مصدر أعداء إذا حمله على العدو بخفيف الواو ، وهو الجرى .
- (٦) الإرفاد بكسر الهمزة : الإعطاء ، والاسم الرفد بكسر الراء . والإرفاق بالكسر أيضا : النفع ، يقال :
 أرفق فلان فلانا ورفقه : أي نفعه .
- (٧) إذا ساق : أي إذا ساقه ، فالمفعول محذوف ، وهو ضمير يعود إلى « الخميس » .
- (٨) أراد بالخميس : خمس ما يغنمه الجيش في الحرب ، وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنفال :
 (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) . ٢٠

وفي الفداء بما عَرِضَ من عَرَضٍ وبالبدن للبدن^(١) ، وفيما ظهر من أمور الملك
وما بطن ، وفي جميع ما تستدعيه بواعثه في السر والعلن ، وتستدعيه نوافثه من كبت^(٢)
وكتب متفرقين أو في قرن ؛ عهدا مباركة عودته وتماثله ، وفواتحه وخواتمه ، ومواسمه^(٣)
ومواسمه ، وشروطه ولوازمه

[على عاتق الملك الأغر نجاده * وفي يد جبار السموات قائمه^(٤)]

لاراد لحكمه ، ولا ناقض لبرمه^(٥) ، ولا داحض لما أثبتته الأقلام من مكنون علمه .
ويزيده مر الليلي جتة^(٦) * وتقادم الأيام حسن شباب^(٧)

(١) « وبالبدن للبدن » أى أنه متحكم في الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عاداتهم في تبادل
الأسرى ؛ والذي في الأصل وصبح الأعشى : « بالبدن » بالباء مكان اللام ؛ وهو غير ظاهر ، اذ ليس فيما
سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تستدعيه : تستحفظه ، والمراد بالنوافث هنا : الحوافظ ، والنوافث في الأصل : الرواقى جمع
نافثة من نفث الراقى في العقدة نفثا وهو دون النفل . والكبت : مصدر كبت عدوه يكبته : أى رده بغيظه
وأذله ؛ والظاهر ان المراد بالكبت والكبت في هذه العبارة : الحرب والكتابة ، إذ هما من أسباب
حفظ الملك .

(٣) العود بضم العين وفتح الواو ، جمع عود بضم العين : وهى الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون
لأنه يعاذ بها وهى التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين ونحوها . وأصلها : الرقية بما فيه « أعوذ »
ثم عمت .

(٤) المناسم جمع منسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .
(٥) لم يرد هذا البيت في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن صبح الأعشى ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من
النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ؛ وهو من قصيدة
لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن بردويه .

(٦) برم الأمر وإبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويستعطفه على قومه ،
ورواية البيت : « ويزيدها » بضمير المؤنث ، مراداه القصيدة .

- وَتَلَزَمَ السَّنُونُ وَالْأَحْقَابُ ، إِسْتِدَاعَهُ حَتَّى الذَّرَارَى وَالْأَعْقَابُ ؛ فَلَا سَاطَانَ
 ذَا قَدْرٍ وَقَدْرَهُ ، وَذَا أَمْرٍ وَإِمْرَهُ ؛ وَلَا نَائِبَ فِي مَمْلَكَةٍ قَرَبَتْ أَوْ بَعَدَتْ ، وَلَا مَقْدَمَ
 جِيوشٍ أَتَمَّتْ أَوْ أَنْجَدَتْ ؛ وَلَا رَاعِي وَلَا رَعِيَّةَ ، وَلَا ذَا حَكْمٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ ؛
 وَلَا قَلَمَ إِنِّشَاءٍ وَلَا قَلَمَ حِسَابٍ ، وَلَا ذَوِي أَنْسَابٍ وَلَا ذَوِي أَسْبَابٍ ؛ إِلَّا وَكُلُّ
 دَاخِلٌ فِي قَبُولِ عَقْدِ هَذَا الْعَهْدِ الْمِيْمُونِ ، وَمَتَمَّسِكٌ بِحَكْمِ آيَاتِ كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ
 وَالتَّسْلِيمِ لِنَصِّهِ الَّذِي شَهِدَتْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبُونَ ؛ وَأَمَسَتْ بَيْعَتُهُ بِالرِّضْوَانِ
 مُحْفُوفَةٍ ، وَالْأَعْدَاءُ يَدْعُونَهَا تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، فَلْيَشْكُرُوا الصَّنْعَ الَّذِي بَعْدَ أَنْ كَانَتْ
 الْخُلَفَاءُ تُسَلِّطْنَ الْمُلُوكَ قَدْ صَارَ سُلْطَانُهُمْ يَقِيمُ لَهُمْ مِنْ وُلَاةِ الْعَهْدِ خَلِيفَةً بَعْدَ خَالِفِهِ ؛
 وَأَمَّا الْوَصَايَا فَأَنْتَ يَا وَلَدَنَا الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — بِهَا الدَّرَبُ
 وَلِسَمَاعِ شِدْوِهَا وَحَدْوِهَا الطَّرِبُ ، الَّذِي لِلْغَوْلِ لَا يَضْطَرِبُ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا
 مَلَاكُ سَدَادِكَ ، وَهَلَاكُ أَضْدَادِكَ ؛ وَبِهَا يُرَاشُ جَنَاحُ نَجَاحِكَ ، وَيَحْسُنُ اقْتِدَادُ
 اقْتِدَادِكَ ؛ فَاجْعَلْهَا دَفِينَ جَوَانِحِ تَأَمَّلِكَ وَوَعْيِكَ ، وَنُصَبَ عَيْنِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ .
 وَالشَّرِيعَ الشَّرِيفَ فَهُوَ قَانُونُ الْحَقِّ الْمَتَّبِعِ ، وَنَامُوسُ الْأَمْرِ الْمُسْتَمَعَ ؛ وَعَلَيْهِ مَدَارُ
 إِيْعَازٍ كُلِّ إِيْعَازٍ ، وَبِهِ يَتَمَسَّكُ مِنْ أَشَارٍ وَأَمْتَازٍ ، وَهُوَ جَنَّةٌ وَالْبَاطِلُ نَارٌ ﴿فَمَنْ زُحْزَحَ
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

- ١٥ (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَالَّذِي فِي صَبْحِ الْأَعْشَى : « لِلذَّرَارَى » بِاللَّامِ مَكَانَ « حَتَّى » ؛ وَالْمَعْنَى
 يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلَا الرِّوَايَتَيْنِ .
 (٢) كَذَا فِي صَبْحِ الْأَعْشَى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « وَاحِدٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
 لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .
 (٣) النَّامُوسُ : الْوَحْيُ .
 ٢٠ (٤) فِي الْأَصْلِ : « إِيْعَازٌ » بِالرَّاءِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَالْإِيْعَازُ مَصْدَرٌ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِي الشَّيْءِ : أَيْ
 تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِيهِ وَأَشَارَ بِهِ .
 (٥) فِي الْأَصْلِ : « أَمْتَازُ وَأَمْتَازٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا الْمَكَانَيْنِ ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ صَبْحِ الْأَعْشَى .

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) ؛ فلا تخرج في كلِّ حال عن اوازمه وشروطه
ولا تتكَبَّ عن معلقه ومنوطه ؛ والعدل ، فهو مُثَمَّر غروس الأموال ، ومُعَمَّر بيوت
الرجاء والرجال ، وبه تزكو الأعمار والأعمال ؛ فاجعله جامعَ أطرافِ مَراسمِك ، وأفضلَ
أيامِ مواسمِك ؛ وسمِّ به فعلَك ، وسمِّ به فرضَك ونفلَك ؛ ولا تُفَرِّدْ به فلانا دون فلان
ولا مكانا دون مكان ، وأقرِّنه ^(١) بالفضل ، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ؛ وأحسن
التخويل ، وأجملَ التنويل ، وكثِّر لمن حولك التموينَ والتمويلَ ؛ وضاعِفَ التحير
في كلِّ مُضَافٍ لمَقَامِك ، ومستَضِيفٍ بِإِنْعَامِك ، حتى لا تَعَدَمَ في كلِّ مكان وكلِّ
زمان من النعماء ضيافةَ الخليل ؛ والثغور ، فهي للممالك مباسمُها فاجعل نواجذها تَفْتَرِ
عن أحسن ثنایا الصَّون ، ومَراشِفها شَنِبةُ الشِّفاهِ بِحُسْنِ العَوْنِ ؛ ومنها بما يحى
السَّرحَ منها ، وأعِنها بما يدفع المَكارهَ عنها ؛ فإنها للنصر مَقاعد ، وبها حفظ البلاد
من كلِّ مَارٍّ من الأعداء مارد ؛ وأمراء الجيوش ، فهم السُّور الواقى بين يَدَي كلِّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل في اللسان بكسر الراء وضمة . وفي الأصل : «واقضه» بالضاد ؛ وهو

تحريف .

(٢) يقال : أجمل الصنعة ، أى حسنها وكثرها .

(٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل ... صلوات الله عليه — مع ضيوفه من الملائكة ؛
وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في غير موضع ، فقال تعالى في سورة الذاريات : (هل أتاك حديث
ضيف إبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشنبه بفتح فكسر من الشنب بفتحين : وهو برد الأسنان كما قاله التبريزى في شرح ديوان
أبي تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدب ش) عند قول أبي تمام
في قصيدته في فتح عمورية :

كم نيل تحت سناها من سنا قر * وتحت عارضها من عارض شنب

والكلام هنا على الاستعارة والتثيل .

(٦) في الأصل : «السقاة» بالسين والقاف ؛ وهو تصحيف .

- سور ، وما منهم إلا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سيفه مشهور ، وهم ذخائر الملوك وجواهر السلوك ، وأخير الأكار الذين خَاصُوا من الشكوك ؛ وما منهم إلا من له حُرْمَاتٌ سَلَفَتْ ، وحقوقٌ عُرِفَتْ ، ومَوَاتٌ على استلزام الرعاية للعهود وَقَفَتْ ؛ فكن لجنودهم متحبيبا ، ولمرابِعهم مُحْصِبا ، ولمصالحهم مرتببا ، ولآرائهم مستصوبا والاعتضاد بهم مستصحبا ، وفي حمدهم مُطْنِبا ، وفي شكرهم مُسَهِّبا ؛ والأولياء المنصوريين الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابقُ أَمَتْ من سوابق الإيجاد ؛ وهم من علمتْ أَسْتَكَانَةٌ من قَرِينَا ، ومكانَةٌ من قَلِينَا ، وهم المساهمون فيآنا ، وما برحوا للدولة الظفر والذاب ؛ فأسهم لكل منهم من احترامك نصيبا ، وأدم لهم أرتياحك ، وألن جماحك وقوهم سلاحك ، تجد منهم ضروبا ، وتركلا منهم في أعدائك ضروبا ؛ وكأنا نوصيك بجيوش الإسلام ، كذلك نوصيك بالجيش الذي له المنشآت في البحر كالأعلام ؛ فهو جيش الأمواه والأمواج ، المضاف إلى الأفواج من جيش الفجاج ؛ وهو الجيش السليمانى فى إسرار السير ، وما سُمِّيَتْ شَوَانِيهِ غِرْبَانَا إِلَّا لِيُجْمَعَ بِهَا لَنَا

(١) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٠ : «خدمات» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لخوهم» ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالأسكانة هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل «استكن» على افتعل من السكون ،

فزيدت الألف بعد الكاف فقبل : «استكان» وفى المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك

كثير فى كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين فى الشعر ، كقوله : «ينباع من

ذفرى غضوب» انخ أى ينبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه فى اللسان مادة «سكن» .

(٦) لعله «إلى» كما تقتضيه تعدية «استكان» .

(٧) عبارة الأصل : «وألن لهم أرتياحك وأدم جماحك» ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٨) الشوانى جمع شونة بفتح الشين : وهى مركب يعد للجهاد فى البحر ، لغة مصرية .

٦

ما اجتمع اسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح والطير، وهى من الديار المصرية على شاطئ البحر الأسوار، فإن قذفت قذفت الرعب في قلوب الأعداء وإن أقلعت^(١) قلعت منهم الآثار، فلا تخله من تجهيز جيشه، وسكن طيش البحر بطيشه، فيصبح لك جيشان كل منهما ذو كرم وفتر، هذا في بر بحر وهذا يجر بر، وبيوت العبادات فهى التى الى مصلى سميك خليل الله تنتهى محاريبها، وبها لنا ولك وللمسلمين سرى الدعوات وتأويبها، فوقها نصيبها المفروض غير منقوص، وممر برفعها وذكر اسم الله فيها حسب الأمر المنصوص، وأخواتها من بيوت الأموال الواجدات^(٢) الواجبات من حيث أنها كلها بيوت لله هذه للصلاة وهذه للصلاة، وهذه كهذه فى رفع المنار، وجمع المبار، وإذا كانت تلك مما أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهذه ترفع ويذكر فيها اسمه حتى على الدرهم والدينار، فاصرف اليها آجتهدك فيما يعود [عليها] بالثمن، كما يعود على تلك بالتنوير، وعلى هذه بإشحنها بأنواع الصروف، كإشحن^(٣) تلك باستواء الصفوف، فإنها إذا أصبحت مصونة، احتملت بحمد الله المعونة

٥

١٠

(١) أقلعت : أى سارت الى الأعداء، والذي يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإقلاع بالسير تفسير مجازى، فقد ذكر ابن برى أنه ليس فى قولهم «مقلعة» ما يدل على السير من جهة اللفظ، إنما يفهم ذلك من نحوى الكلام، لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رفع قلعها فإنها سائرة، فهذا شئ حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الخ (اللسان) وأيضاً فإسناد الإقلاع الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى، فقد ذكر ابن برى أيضاً أن الإقلاع ليس فعلها، وإنما هو فعل أصحابها يقال أقلع القوم سفنهم : إذا رفعوا قلعها عند المسير .

١٥

(٢) التأويب : السير بالنهار، وعكسه الإسآد والسرى : وهما السير عامة الليل .
(٣) الواجدات : الغنيات، وهو من قولهم : وجد المال يجده وجداً بثلاث الواو : إذا صار غنياً .
(٤) الإشحن بالهمز : الملء، كالشحن، وفى القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالخليل :

٢٠

أى ملأها .

(٥) فى الأصل : « كامتحن »، وهو تحريف .

- وَكَفَلَتْ بِالْمُؤْنَةِ وَالزَّيَادَةِ عَلَى الْمُؤْنَةِ ، فَتَكَلَّ هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ دُنْيَاهُ كَمَا كَلَّتْ تِلْكَ لِكُلِّ وَلِيٍّ دِينَهُ ؛ وَحُدُودُ اللَّهِ ، فَلَا يَتَعَدَّاهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَرَأْفُ فِيهَا وَلَدٌ بِوَالِدٍ وَلَا وَالِدٌ بِوَلَدٍ ، فَأَقَمَّهَا وَقَمَّ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أَتَمَّ الضَّبْطِ ، وَلَا تَجْعَلَ يَدَ الْقَتْلِ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِهَا وَلَا تَبْسُطَهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَائِيَّاتِ وَالْقَصَاصِ شَرْطٌ شَرَطَهُ اللَّهُ وَحْدَهُ حَدَّهُ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الشَّرْطِ ؛ وَالْجِهَادُ
- فَهُوَ الدَّيْدُنُ الْمَأْلُوفُ مِنْ حِينَ نَشَأْنَا وَنَشَأَتْكَ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ وَعَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ فَمَلَّ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ الْمَلِّ ، وَصَبَّحَهُمْ مِنْ فَتَكَاتِكَ بِالْوَيْلِ بَعْدَ الْوَيْلِ ، وَأَرَمَهُمْ بِكُلِّ شَمْرِيٍّ قَدْ شَمَرَ مِنْ يَدِهِ عَنِ السَّاعِدِ وَمِنْ رِمَحِهِ عَنِ السَّاقِ وَمِنْ جَوَادِهِ الذَّيْلِ ؛ وَأَذْهَبَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَذْهَبٍ ، وَأَبْنَى بَنُجُومَ الْخِرْصَانِ كُلَّ غَيٍّ وَغَيْبٍ وَتَكَثَّرَ فِي غَزْوِهِمْ مِنَ اللَّيْلِ بِكُلِّ أَدْهَمٍ وَمِنْ الشَّفَقِ بِكُلِّ أَحْمَرٍ وَأَشْقَرٍ [وَمِنْ الْأَصِيلِ بِكُلِّ أَصْفَرٍ] وَمِنْ الصَّبْحِ بِكُلِّ أَشْهَبٍ ، وَأَنْتَهَبُ أَعْمَارَهُمْ وَأَجْعَلُهَا آخِرَ مَا يُسَلَبُ

(١) الشمري بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ؛ ويقال أيضا بكسر الشين والميم المشددة كذلك : الرجل الماضي في الأمور .

- (٢) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ . والذي في الأصل : « على الذيل » وقوله : « على » زيادة من النسخ وليست محرفة عن لفظ : (عن) كما يتوهم فإن التثنية لا يكون عن الذيل وإنما يكون للذيل عما تحته ؛ ولم نجد فيما راجعنا من كتب اللغة أنه يقال : « شمر عن ذيله » والذي وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلا وأدرك ليلًا » بدون « عن » ، والكلام هنا على طريق التمثيل والمراد المضاء والجد في السير .

- (٣) في صبح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأنر » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
- (٤) الخرصان بكسر الخاء : أسنة الرماح ، واحده خرص بكسر فسكون ، ويضم أوله أيضا .
- (٥) التكثر : طلب الكثرة ، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : « تقلل من العلم لتحفظ وتكثر منه لتفهم » .

- (٦) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار .
- (٧) في الأصل وصبح الأعشى : « واستذهب » ؛ ولم نجد فيها لدينا من كتب اللغة .

وأوّل ما يُنهب ؛ ونرجوا أن يكون الله قد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادق وعده ، وأن ينصرك جيوش الإسلام في كلّ إنجاد وإتّهام وما النصر إلا من عنده ؛ وبيت الله المحجوج من كلّ فجّ ، المقصود من كلّ نهج ؛ يسرّ سبيله ، ووسّع الخير وأحسن تسبيله ، وأوصل من برك لكلّ من الحرمين مأهوله ، لتصبح ربوعه بذلك مأهولة ؛ وأحبه ممن يردّ فيه بالحادّ بظلم ، وطهره من كلّ مكسّ وغرم ؛ ليعود تنمّع على البادية والعاكف ، ويصبح واديه وناديه مستغنيين بذلك عن السحاب الواكف ؛ والرعايا ، فهم للعدل زروع ، والاستثمار فروع ، ولاستلزام العمارة شروع ؛ فمتى جادهم غيثٌ أعجب الزراع نباتهم ، ونمتّ بالصلاح أقواتهم ، وصلحت بالتّماء أوقاتهم ، وكثرت للجنود مستغلاتهم ، وتوافرت زكواتهم ، وتنوّرت مشكاتهم "والله يضاعف لمن يشاء" ؛ هذا عهدنا للسيد الأجلّ الولد الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ، نحر الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين . — أعزنا الله ببقائه — فليكن

(١) التسبيل : أن تجعل الشيء في سبيل الخير .

(٢) هو بسكون الواو لغة في هو بفتحها ؛ وقد حكى هذه اللغة الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس ، كما أن بعضهم يحذف الواو إذا كان قبل « هو » ألف ساكنة فيقول : حتاه فعل ذلك .

(٣) المكس : ما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء ، قال الشاعر :

وفي كل أسواق العراق إتاوة * وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

(٤) كذا في الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجد هذه الصيغة في أراجيعه من كتب اللغة

غير أن في شرح الأشموني وحاشيته عند قول ابن مالك في باب التصريف :

والتاء للتأنيث والمضارعة * وتاء الاستفعال والمطاوعة

ما يفيد أن هذه الزيادة مطردة ، حيث قال : وأما زيادتها حشوا فلا تطرد إلا في الاستفعال والافتعال

وفروعهما الخ والذي في مسالك الأبصار : « ولاستتمام » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) الشروع : مصدر شرع في الأمر إذا أخذ فيه ، وقد وصف الرعايا به على طريق المبالغة .

بعروته متمسكا، وبنفحته متمسكا^(١)، وليتقلد سيف هذا التقليد، ويفتح مغلق كل فتح منه بخير إقليد^(٢)، وها نحن قد كثرتنا لديه جواهره فدونه ما يشاء تحليته : من تتويج مفرق وتختيم أنامل وتسوير زند وتطويق جيد، ففي كل ذلك تجيل وتمجيد، والله تعالى يجعل استخلافه للتقين إماما، ولالدين قواما، وللجاهدين اعتصاما، وللعادين أنقصاما، ويطفيئ بيماء سيوفه نار كل خطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميّه صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما، إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة، وبید الناس من إنشائه ما لو استقصيناه ل طال وانبسط، وقد قدمنا في كتابنا هذا من كلامه في باب التهانى بالفتوح ما تجده في موضعه

ونختم كلامه بشيء من أدعية الملوك، وهى :

وممكن الله له فى الأرض، وجعل طاعته واجبة وجوب الفرض، وأيد آراءه بالملائكة فى الحلال والعقد والإبرام والنقض .

آخر : وأنجز له من النصر صادق وعده، وجعل الملوك من عبيده والملائكة من جنده، ومتعه بما وهبه من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده .

آخر : وحفظه بمعقبات من أمره، وحى حى الدين بقصار بيضه وطوال سمره، وجعل قدر مملكته فى الدهر كلياى قدره، وألبس أوليائه من طاعته ما يجزون أذيال نخره .

(١) المتمسك : المتطيب بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لغة يمانية، وقيل معرب .

آخر : ولا زالت الدنيا بعدله مخضرة الوهاد والرُّبا ، والامالُ بفضلِه قائلا لها
النجاحُ : مرحبا ، والأقدارُ لنصره مستددة السهام مرهفة الظُّبا ، والأَيَّامُ لا تَعَدَم من
جميل أثره وجليل تأثيره فعلا مطربا ، ووصفا مطيبا . وجعلتُ مُلكه موصولا
بجبل لا يُحَلَّ عَقْدُه ، وحرمة محروسا بسيف التوفيق لا يُفْلَ حَدُّه . ولا زالت
راياته ألسنة تنذر أعداءه بالفرار ، وتُبشِّرُ أوليائه بالقرار ، وآرائه أعلاما عالية المنار
واضحة الأنوار . وأنجز له عِدائِه في عِدائِه ، وجعل النصر والتوفيق مصاحبين
لآرائه وراياته . وأناله النصر الذي يغنيه عن الحيلة والحول ، وعَقَد السعد ^(١) بعرا
ما يُمضيه من الفعل والقول ، وبوأ أوليائه جنة من النصر ما فيها غائلة وجنة من
العز ما فيها غول . وقصم بمهابته كلَّ جبار عنيد ، وعصم كلَّ من يَأْوِي من رجائه
إلى ركن شديد . وآتاه من التأييد سلطانا نصيرا ، وجعل جيشه أكثر قوَى وأقوَى
نفيرا . ولا زالت الآمال بسحابه مخضرة الرُّبا والوهاد ، والتأييدُ بتمكينه مناديا في كلِّ
ناد ، والدنيا بملكه مسرورة الأسرار ^(٢) حالية الأجياد ، والأقدارُ لأمره متكفلة ^(٣) بالنفاد .
وطرّز بأيامه ملابس السَّير ، وأحلَّ أمره أعلى هَضَباتِ النصر والظَّفَر ، وحلَّى أجياد
الممالك من عدله وبذله بأشرف الدُّرر ، ولا برح القدر يوافق قُصوده فيقول للقدر :

(١) في الأصل : « يعزى بما » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالأسرار هنا : خطوط الوجه والجهة ، الواحد سرب كسر السين وضمتها ؛ وإنما أسند السرور
إليها لظهور أماراته فيها . يقال : برقت أسارى وجهه إذا تهلل من الفرح .

(٣) كذا في الأصل بالذال المهملة ؛ والذي يستفاد من كتب اللغة أن هذه الكلمة تأتي بمعنى النفاذ
بالذال المعجمة : أى الجواز والمضى ؛ فقد جاء في اللسان مادة « نقد » بالمهملة في تفسير حديث ابن مسعود :
« إنكم مجموعون في صعيد واحد ينفدكم البصر » ما نصه : يقال : نفدتى بصره إذا بلغنى وجاوزنى . ثم قال :
وأنفدت القوم إذا خرقهم ومشيت في وسطهم ، فان جزتهم حتى تخلفهم قلت : نفستهم بلا ألف هـ
ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالذال المعجمة في مادة « نقد » .

(٤) القصود : جمع قصد ، وهذا الجع ذكره بعض الفقهاء ، وقد أوضحنا ذلك في الحاشية رقم ٢ من

صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره .

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ» . وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا ، وَعَمَّرَ بَعْدَهُ الْآفَاقَ وَعَمَّمَهَا ، وَأَوْضَحَ مَنَاجِجَ كَرَمِهِ لِمَنْ قَصَّدهَا وَأَتَمَّهَا ، وَأَنْجَزَ عِدَاتِهِ فِي عُدَاتِهِ فَأَصَمَّهَا وَأَصَمَّهَا . وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبْوِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَحَمَى حِمَى الدِّينِ بِنَصِيرِهِ وَفَضْلِهِ ، وَكَسَا الدُّنْيَا بِمُلْكِهِ حِلَّةَ نَخَارٍ مُعَلَّمَةً بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ ، وَجَعَلَ أَقَالِيمَ الْأَرْضِ مَعْمُورَةً بِسُلْطَانِهِ مَغْمُورَةً بِعَطَائِهِ وَبَذَلِهِ .

- ذكر شيء من إنشاء المولى الماجد السالك من طريق الفضل
والفضائل أَوْضَحَ الطَّرِيقَ وَأَنْهَجَ الْمَسَالِكَ ، الْمَفْصِجَ بِلِسَانِ بَرَاعَتِهِ وَالْمُوضِحَ بِأَنْوَارِ بِلَاغَتِهِ
مَا أَبْهَمَ وَأَسْتَبْهَمَ مِنْ لَيْلِ الْعَيِّ الْحَالِكِ ، الْمُتَصَرِّفَ بِقَلَمِهِ وَكَلِمَهُ لَوْثُوقَ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ
بِدِيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ وَأَصَالَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ فِي الْأَقَالِيمِ وَالثُّغُورِ وَالْحَصُونِ وَالْمَمَالِكِ ، الْعَامِرِ
بِفَضْلِهِ وَفَضَائِلِهِ وَالْغَامِرِ بِجُودِهِ وَنَائِلِهِ بِاطْنٍ وَظَاهِرٍ مِنْ أَمَلِهِ وَأُمٍّ لَهُ مِنْ زَائِرٍ
وَقَاطِنٍ وَمَارٍّ وَسَالِكٍ ؛ فَيَنْفَصِلُ هَذَا عَنْ بَابِهِ وَهُوَ بِجُودِهِ مَغْمُورٌ ، وَهَذَا عَنْ مَجْلِسِهِ
وَقَلْبِهِ بِوَلَائِهِ لِمَا أَوْلَاهُ مِنْ إِحْسَانِهِ مَعْمُورٌ ؛ وَهَذَا وَهُوَ يُنْفِقُ الْجَمَلَ مِنْ مَالِهِ ، وَذَاكَ
وَهُوَ يَجُودُ عَلَى الْمُعْدَمِ مِنْ فَضْلِ نَوَالِهِ ؛ وَالْآخِرُ وَقَدْ امْتَلَأَ صَدْرُهُ سُرُورًا ، وَأَشْرَقَ
وَجْهُهُ بِهَجَّةٍ وَنُورًا ؛ وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ مِنْ عِقَالِهِ بَعْدَ تَقْيِيدِهِ ، وَأَنْبَسَطَ أَمَلُهُ لِطَلَبِ الْفَضَائِلِ
لَمَّا ظَفَرَ بِمَعْدِنِهَا بَعْدَ تَعْقِيدِهِ ؛ فَتَجَدَّدَ وَقَدْ آعْتَلَقَ مِنْهُ جَمَالًا وَأَعْتَنَقَ جَمَالًا ، وَأَنْفَقَ
الْدَّرَرَ بَعْدَ ضَمْنِهِ بِالْأَصْدَافِ فَهُوَ لَا يَخْشَى عُدْمًا وَلَا يَخَافُ إِقْلَالًا ؛ وَالْمَوْلَى الْمَعْنَى

- (١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله : «على أبويه من قبل» أخذنا من الآية الكريمة ، وإنما حذفه ليتم السجع الذي التزم في هذه الأدعية ، وليست هذه العبارة مكررة مع ما يأتي ، لأنه دعاء آخر .
- (٢) في الأصل : «لوقوق» بـقافين ؛ وهو تحريف .
- (٣) في الأصل : «تقييده» ؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله في آخر الجملة السابقة .
- (٤) كذا في الأصل ؛ ولم نجد في أراجعتنا من كتب اللغة أنه يقال : «اعتلقه» بمعنى شلقه بتشديد اللام
أى حفظه ، كما هو المراد هنا ؛ والذي وقفنا عليه أنه يقال : «اعتلقه» أى أحبه ؛ ولعل المؤلف قصد
المجانسة بين هذا اللفظ وقوله بعده : «واعتنق» .

بهذه المعالي التي آبتسمت ثغورها ، وتحلّت نحورها ، والمكارم التي جادت سحائبها
وَأَمْتَدَّتْ مَذَانِبُهَا ، وَتَرَادَفَتْ مَوَاهِبُهَا ، وَاتَّسَعَتْ مَظَاهِبُهَا ، وَالْفَضَائِلُ الَّتِي لِحْنَاهِ
الْكَرِيمُ تُعْزَى وَلِفَضْلِهِ الْعَمِيمُ تَنْتَسِبُ ، وَالسِّيَادَةُ الَّتِي شَادَهَا لِنَفْسِهِ لَأَسْتَعْنَاهُ عَمَّا
مَهْدَتْهُ لَهُ آبَاؤُهُ النَّجَبُ ، وَالْمَرَادُ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ الَّتِي

خَلَّتْ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ * تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ^(٢)

هُوَ لِسَانُ الدَّوْلَةِ وَبَيْمُنُهَا ، وَسَفِيرُ الْمُلْكَةِ وَأَمِينُهَا ، وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ ، وَنَازِمُ
أَخْبَارِ الْأَوَاخِرِ وَسِيرِ الْأَوَائِلِ ، وَسَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ وَجَلِيسُ الْمُلُوكِ ، وَمُؤَلِّفُ كِتَابِ نَظْمِ السُّلُوكِ ،
الْمَوْلَى الْمَالِكُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْمَوْلَى الْمَرْحُومِ فَتِيحِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَوْلَى الْمَرْحُومِ
مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، ذُو الْفَضَائِلِ وَالْمَآثِرِ ، وَالنَّسَبِ الْعَرِيقِ وَالْأَصْلِ
الطَّاهِرِ ، وَالسَّبَبِ الْوَثِيقِ وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ ، فَهَذِهِ نَبْذَةٌ مِنْ أَوْصَافِهِ أَثْبَتْنَاهَا ، وَلَمُعةٌ
مِنْ مَحَاسِنِهِ أَوْ رَدْنَاهَا ، أَسَامٍ لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَّرْنَاهَا ، وَلَهُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ
وَأَوْفَرَ نِعَمَهُ لَهُ ، وَأَتَمَّ نِعَمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْهِ ، وَأَرَانَا فِي نَجْمِهِ الْكَرِيمِ مَا رَأَيْنَاهُ
فِي سَلَفِهِ وَفِيهِ ، وَأَنْطَقَ الْوَاصِفَ لِمَحَاسِنِهِمْ بِمِلِّهِ فِيهِ — مِنَ الرِّسَائِلِ الْبَلِيغَةِ ، وَالتَّقَالِيدِ
الْبَدِيعَةِ ، وَالْعُهُودِ الَّتِي عَاهَدَتْهَا الْبَلَاغَةُ أَلَّا تُنْعَدَّاهَا فَوْتَ بَعْدِهَا ، وَأَقْسَمْتُ
مَعَانِيهَا أَنَّهُ لَمْ تَقْصِدْ سِوَاهُ مِنْ قَبْلِ لِعِلْمِهَا أَنَّ غَيْرَهُ لَا يُوقِيهَا حَقَّ قَصْدِهَا ، وَسُنُورِدِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ كَلَامِهِ مَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعِهِ نَبْذَةٌ يُسِيرُهُ ، وَنَرْصَعُ فِي كِتَابِنَا هَذَا مِنْ
فَضَائِلِهِ لُمةٌ خَطِيرَةٍ ، وَنَرْفَعُ بِمَا نَضَعُهُ فِيهِ مِنْ كَلَامِهِ قَدْرَ هَذَا التَّصْنِيفِ ، وَنُنَظِّرُ بِهِ

(١) المذانب : مسايل الماء ، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون . وفي الأصل : « مذاهبها » ، وهو

تحريف لتكرره مع ما يأتي بعده .

(٢) البيت لأبي نواس .

أردانَ هذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكنه من هذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير في الانتهاء إلى وصف محاسنه ، ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه الشريفة وميامنه ؛ ونأخذ في ذكر كلامه لنمحو ذنب التقصير بحسن الإخبار^(١) ، ونسأل الصفح عن اختصارنا واجب حقه ونرجوا قبول كلمات الاعتذار

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان — جمل الله به الدين ، وأيد ببقائه الإسلام والمسلمين — للسلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري في شوال سنة ثمان وسبعائة ، ابتداءه بأن قال :

هذا عقد شريف انتظمت به عقود مصالح الممالك ، وأبتسمت ثغور الثغور ببيعته التي شهدت بصحتها الكرام الملائك ؛ وتمسكت النفوس بحكم عقده النصيد ومبرم عهده النظيم ، ووثقت الآمال ببركة ميثاقه فتقرأه الألسنة مستفحة فيه بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الحمد لله الذي جعل^(٢) الأمة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركن شديد ، وتحوى من مبايعة مظفرها كل ما كانت ترومه من تأييد التأييد ، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الحنيفي وإن مل الحديد من الحديد ؛ مؤتى ملكه من يشاء من عباده وملقى مقاليدده للولى الملى^(٣) بقمع أهل عناده ؛ وما يحه من لم يزل بعزائم ومكارمه

(١) لعله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شئ من كلامه إخبار عن فضله وتمكنه من ناصية البلاغة .

أو لعل صوابه « الاختيار » .

(٢) في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : « عقده » بكسر العين .

(٣) في صبح الأعشى : « من متابعة » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) يقال : هو ملئ بهذا الأمر : أى مضطلع به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُؤليه [ومؤليه^(١)] من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا
وباسط أيدي الرغبات لمن حَكَمَ له كَالُ وصفه ووصف كماله بأن يكون مستولا مخطوبا
ومفوض أمره ونهيه إلى من طالما صَرَفَ خَطَّه عن حمى الدين أخطارا وخطوبا،
والحمد لله مجرى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهر سرِّ الملك فيمن أضحى عند الإمامة
العباسية بحسن الاختبار من المصطفين الأخيار، جامع أشتات الفخار، ورافع لواء
الاستظهار^(٣)، ودافع لآواء الأضرار^(٤)، بجيَلِ الالتجاء إلى ركنِ أمسى بقوة الله تعالى على
المَنار وفي المَبَاز، بادى الآثار الجميلة في الإيثار^(٥)، والحمد لله على أن قلده أمور السلطنة
الشريفة لكافلها وكافيا، وأسند عقدها وحلها لمن يدرك بكريم فطنته وسليم فطرته
عواقب الأمور من مبادئها، وأيد الكائب الإيمانية بمن لم تزل عواليه تبلغها من ذُرَا
الأمانى معاليها، يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز
نصرها بأركان تشييدها وتشيد أركانها، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة [لا] تبرح الألسنُ تروياها، والقلوبُ تنويناها، والمواهبُ تُجزل لقائلها تنويلا
وتنويها، ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكمل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مُورث
لأجل مُوروث، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تنمو بركاتها وتتم^(٦)، وتخص حسناتها
وتعم، ورضى الله عن عمه العباس بن عبد المطلب جدِّ أمير المؤمنين، وعن أبنائه
الأئمة المهديين، الذين ورثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمت ووسمت بأسمائهم ونعوتهم

(١) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩

(٢) في الأصل: «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف.

(٣) الاستظهار: العلو والغلبة.

(٤) اللأواء: الشدة والمحنة.

(٥) في صبح الأعشى: «والإيثار» بالواو مكان «في»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٦) يقال: نَمَّ المسك إذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للتشاور والظهور.

ذُرَا المنابر؛ أما بعد، فإن الله تعالى لَمَّا عَدَّقَ^(١) لمولانا أمير المؤمنين مصالح الجمهور وعَقَدَ له البيعة في أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرين إمامة خير أُمَّه، وكَشَفَ بِمُصَابِرَتِهِ من بأس العدا غمامَ كُلِّ غُمَّه؛ وأنزَلَ عليه السكينة في مواطن النصر والفتح المبين، وثَبَّتَهُ عند تَزَلُّزِ الأقدام وثَبَّتَ به قلوب المؤمنين؛ وأفاض عليه من مَهَابَةِ الخِلافة ومَوَاهِبِهَا ما هو من أهله، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عليه كما أَتَمَّهَا على أبويه من قبليه؛ بايعَ الله تعالى على أن يَخْتَارَ للتمليك على البرايا، والتحكيم في الممالك والرعايا؛ من أسَّسَ بنيانه على التقوى، وتمسَّكَ من خشية الله سبحانه بالسبب الأقوى؛ ووقَّفَ عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحكمه، ونهض لأداء فرض الجهاد بمعالى عزِّهِ وحزْمِهِ؛ وكان المقامُ الأشرَفُ العالِي المَوْلَى السلطاني المَلِكِي المظفَرِي الركني، ساطانُ الإسلام والمسلمين، سيِّدُ الملوك والسلاطين؛ ناصرُ المِلَّةِ المحمَّديَّة، محيِ الدولة العباسيَّة (أبو الفتح بيبرس) قسيمُ أمير المؤمنين — أعزَّ الله تعالى ببقائه حمى الخِلافة وقد فَعَلَ، وبلغ في دوام دولته الأمل — هو المَلِكُ الَّذِي أُنْعَقِدَ الإجماعُ على تفضيله، وشَهِدَتْ مناقِبُه الطاهرة باستحقاقه لتحويل المَلِكِ [إليه]^(٢) وتحويله؛ وحكمُ التوفيق والاتِّفاقُ بترقيهِ إلى كَرْسَى السلطنة وصعوده، وقضت الأقدار بأن يَلْقَى إليه أمير المؤمنين أزيمة عهوده؛ والذي كَمَّ خَفَقَتْ قلوبُ الأعادي عند رؤية رايات نصيره، ونطقت ألسنةُ الأقدار بأن سيكون مَلِكٌ عصره وعزيرُ عصره؛ وأهتَرَّتْ أعطاف المنابر شوقا للافتخار بِأَسْمِهِ، واعتَزَّتْ الممالك بمن زاده الله بسطةً في علمه وجسمه؛ وهو الذي ما برح

(١) عَدَّقَ : أى جمع .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٠

مذ نشأ يجاهد في الله حق جهاده، ويساعد في كل معركة بمردفات سيوفه ومتلفات
صعاده، ويبدى في الهيجاء صفحته للصفاح فيقيه الله ويبقيه ليجعله ظله في الأرض
على عباده وبلاده، فيردى الأعداء في مواقف تأييده فكم غفر من خد ملوك
الكفر تحت سنايك جياده، ويشفى بصدور سيوفه صدور قوم مؤمنين، ويسقي
ظماء أسنته فيرويه من مورد ورود المشركين، ويطلع في سماء الملك من غرر رأيه
نيرات لا تأفل ولا تغور، ويظهر من مواهبه ومهابته ما تحسن به الممالك وتحصن به
الثغور، فما من حصن أغلقه الكفر إلا وسيفه مفتاحه، ولا ليل خطب دجا إلا وغرته
الميمونة صباحه، ولا عز أمل لأهل الإسلام إلا وكان في رأيه المسدد نجاحه، ولا
حصل خلل في قطر من الممالك إلا وكان بمشيئة الله تعالى وبسداد تديره صلاحه، ولا
اتفق مشهد غزو إلا والملائكة بمضافته فيه أعدل شهود، ولا تجدد فتوح للإسلام إلا
جاد فيه بنفسه وأجاده، "والجود بالنفس أقصى غاية الجود"، كم أسلف في غزو الأعداء
من يوم أغر محجل، وأنفق ماله آبتغاء مرضات الله فحاز النصر المعجل والأجر

(١) الورود جمع ورید : وهو عرق في العنق ، ويقال له : حبل الوريد ، وهما وريدان ؛ والظاهر
أنه أراد بالورود هنا : العروق التي فيها الدم لا جمع ورید بالمعنى المعروف ، فان كلام أهل اللغة يدل على أن
الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجرفيه الدم . قال أبو الهيثم : الوريدان تحت الودجين ،
والودجان : عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها ؛ والوريدان ينبضان أبدا من الانسان ؛ والوريد
من العروق : ما جرى فيه النفس ولم يجرفيه الدم الخ قال الأزهري : والقول في الوريدين ما قاله أبو الهيثم
وفي المصباح نقلا عن الفراء : الوريد : عرق بين الحلقوم والعلباوين ، وهو ينبض أبدا ؛ فهو من
الأوردة التي فيها الحياة ولا يجرى فيها دم ، بل هي مجارى النفس بالحركات .

(٢) في الأصل : « من في سماء » ؛ وقوله : « من » زيادة من النسخ .
(٣) في الأصل وصبح الأعشى : « استغلقه » ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال :
استغلق الباب بمعنى أغلقته .

(٤) كذا في الأصل ؛ والذي في صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٧١) : « طرف » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

- المؤجل ، وأحيا من معالم العلوم ودواری المدارس كلَّ دائر، وحثَّ إيمانه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعة لكلِّ تالٍ وذاكر ، ” إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ “ ، وهو الذي ما زالت الأولياء تتخيل مخايل السلطنة في أعطافه معنًى وصورده ، والأعداء يرومون إطفاء ما أفاضه الله عليه من أشعة أنواره ” وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ “ ، طالما تطاولت إليه أعناق الممالك فأعرض عنها جانبا ، وتطفلت^(١) عليه فغدا لها رعاية لذمة الوفاء مجانبا ، حتى أذن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن ترفع^(٢) وحكم له بالصعود في درج الملك الى المحل الأعلى والمكان الأرفع ، وأدَّى له من المواهب ما هو على اسمه في ذخائر الغيوب مستودع ، فعند ذلك استخار الله تعالى سيِّدنا ومولانا أمير المؤمنين (المستكفي بالله) — جعل الله الخلافة [كلمة] باقية في عقبه ، وأمتع الإسلام والمسلمين بشرفي حسبه ونسبه — وعهد إلى المقام العالی السلطاني بكلِّ ما وراء سرير خلافته ، وقَّله جميع ما هو متقلَّده من أحكام إمامته ، وبَسَطَ يده في السلطنة المعظمه ، وجعل أوامره هي النافذة وأحكامه [هي] المحكِّمه ، وذلك بالديار المصرية^(٣) والممالك الشاميه ، والفراتية والحلبية والساحلية ، والقلاع والثغور المحروسة^(٤) والبلاد الجازية واليمانية ، وكلِّ ما هو من الممالك الإسلامية الى خلافة أمير المؤمنين منسوب ، وفي أقطار إمامته محسوب ، وألْقَى إلى أوامره أزمة البسط والقبض

(١) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٢ ؛ والذي في الأصل : « وتطلعت » ؛ وهو وإن كان

كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد : (عليه) يقتضى ما أثبتنا .

(٢) في صبح الأعشى : « على قربه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى : « والجلبية » ؛ وهو أظهر ، فإن الحلبية داخلة في الممالك الشاميه التي سبق

والإبرام والنقض، والرفع والخفض، وما جعله الله في يده من حُكم الأرض^(١)، ومن إقامة سنة وفرض، وفي كل هبة وتمليك، وتصرف في ولاية أمير المؤمنين من غير شريك، وفي تولية القضاة والحكام، وفصل القضايا والأحكام، وفي سائر التحكم في الوجود، وعقد الألوية والبنود، وتجنيد الكتائب والجنود، وتجهيز الجيوش الإسلامية في التأيد لكل مقام محمود، وفي قهر الأعداء الذين نرجوا بقوة الله تعالى أن يملكه من نواصيهم، ويحكم قواضيه في استزاهم من صياصيمهم، واستئصال شافة عاصيهم، حتى يحو الله بمصاييح سيوفه سواد خطوب الشرك المدلّمة، وتغدو سراياه في اقتلاع قلاع الكفر مستهمه^(٢)، وترهبهم خيل بعوثة وخيالها في أليقة والمنام، ويدخل في أيامه أهل الإسلام مدينة السلام بسلام، تنويضا تاما عاقما منضدا منظما، محكما محكما، أقامه مولانا أمير المؤمنين في ذلك مقام نفسه الشريفه، وأستشهد الكرام الكاتبين في ثبوت هذه البيعة المنيفه، فليتقد المقام الأشرف السلطاني - أعز الله نصره - عقد هذا العهد الذي لا تطمح لمثله الآمال، وليستمسك منه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا انفصال، فقد عول أمير المؤمنين على يمن أرائك^(٣) التي ما برحت الأمة بها في العضلات تستشفي، وأستكفي بكفايتك وكفالتك في حياطة الملك فاضحي وهو بذلك (المستكفي)؛ وهو يقص عليك من أنباء الوصايا أحسن القصص، وينص لديك ما أنت آخذ منه بالعزائم إذا أخذ

(١) عبارة صبح الأعشى : « أمور الإسلام » .

(٢) مستهم بتشديد الميم : أى مهتمة ؛ قال في الأساس : سمعهم يقولون : استهم لى فى كذا ؛ ويجوز أن يقرأ : (مستهم) بتخفيف الميم ؛ أى مقتسمة ، من الاستهام .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب ، ولا يخفى ما فيه من الالتفات لاختلاف الضمائر بين ما هنا وبين ما سبق ، وكأن النكته فى ذلك تأكيد اختصاصه بهذا العهد المذكور فى الجملة السابقة .

- غيرك فيه بالرخص ، فإن نُبِّهْتَ على التقوى فطالما تمسكتَ منها بأوثق عروءه ، وإن هُديتَ إلى سبيل الرشاد فما زلتَ ترقى منه أشرف ذُرُوه ؛ وإن أسترهفنا ^(١) عزمَكَ الماضي الغرار ، وأستدعينا حزمَكَ الذي أضاء به دهرُك وأنار وأستنار ؛ في إقامة منار الشرع الشريف ، والوقوف عند أمره ونهيهِ في كل حكم وتصريف ؛ فما زلتَ — خلد الله سلطانك — قائماً بسننه وفرضه ، دائباً في رضى الله تعالى بإصلاح عقائد عباده في أرضه ؛ وما برح سيفك المظفر للأحكام الشرعية خادماً ، ولمواد الباطل حاسماً ، ولأنوف ذوى الزئج والبِدَع مُرغمًا ؛ وكلُّ ما نوصيك به من الخير فقد جُبات عليه طباعك ، ولم يزل مشتتاً فيه ساعدك ممتداً إليه بأُحك ؛ غير أننا نُورد لمعة اقتضاها أمر الله تعالى في الاقتداء بالتذكرة في كتابه المبين ، وأوجبها نصُّ قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ويندرج تحت أصولها فروعٌ يستغنى بدقيق ذهنه الشريف عن نصِّها ، وبفكره الثاقب عن قصِّها ؛ فأعظمها لليلة نفعاً ، وأكثرها للباطل دفعا ؛ الشرع الشريف ، فليكن — أعزَّ الله نصره — عاملاً على تشييد قواعد أحكامه ، وتنفيذ أوامر حكمه ؛ فالسعيد من قرن أمره بأمره ، ورضى فيه بحلو الحق ومُره ؛ والعدل ، فلينشر لواءه حتى يأوى إليه الخائف وينكف برُده حيف كلِّ حائف ؛ ويتساوى في ظلِّ الغنى والفقر ، والمأمور والأمر ؛ ويمسى الظلم في أيامك وقد نَحَدتْ ناره ، وعَفَتْ آثاره ؛ وأهمُّ ما آحَتَفَلتْ به العزائم ، واشتملتْ عليه هممُ الملوك العظام ^(٢) ، وأُشِرْعَتْ له الأسنة وأرهفت من أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذي جعله الله سبحانه حصناً للإسلام وجنَّة ، وأشترى

(١) كذا ورد هذا الفعل في الأصل وصبح الأعشى بالسین والنثاء ؛ ولم نجد به هذه الصيغة فيما لدينا من

كتب اللغة ، والذي وقفنا عليه أنه يقال : رَهَفَ وأرهَفَه ، أى رَقَقَه وأَحَدَه .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في صبح الأعشى .

(٣) العظام صفة للهمم .

فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فخذ له الجنود وجمع له الكتاب وأقضى في مواقفه على الأعداء من بأسك بالقواضي القواضب ، وأغزهم في عقر الدار ، وأرهف سيفك البتار ، لتأخذ منهم للمسلمين بالثار ، والثغور والحصون ، فهي سرُّ الملك المصون ، وهي معاقل النفوس " إذا دارت رحي الحرب الزبون " ^(١) ، فلتقلد أمرها لكفاتها ، وتحصن حماها بجثاتها ، وتضاعف لمن بها أسباب قوتها ومادة أقواتها ، وأمراء الإسلام ، وجنود الإيمان ، فهم أولياء نصرك ، وحفظة شامك ومصرِكَ ، وحزبك الغالب ، وفريقك الذي تفرق منه قلوب العدو في المشارق والمغارب ، فليكن المقام العالی السلطاني — نصره الله تعالى — لأحوالهم متفقدا وبسيط وجهه لهم متوددا ، حتى تتأكد لمقامه العالی طاعتهم ، وتتجدد لسلطانه العزيز ضراعتهم ، وأما غير ذلك من المصالح فما برح تديره الجميل لها ينقد رأيه الأصيل بها يشير ، ولا يحتاج مع عامه بغوامضها إلى إيضا حها « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » والله تعالى ينحص دولته من العدل والإحسان بأوفر نصيب ، ويمنح سلطانه ما يرجوه من النصر المعجل والفتح القريب ، بمنه وكرمه .

❦

وكتب تقليدا مظفريا للأمير سيف الدين سَلار المنصوري بنبابة السلطنة الشريفة في سنة ثمان وسبعائة ، وهو :

الحمد لله الذي شيّد ركن الإسلام بسيفه المتضى ، وجدّد للملك مزيد التأييد بكافله الذي ما برح وفأوه للملوك الأواخر والأوائل مرتضى ، وأنجز من وعوده الاتفاق والتوفيق ما كان من ذمة الدهر مقتضى ، جامع شمل الأوامر والنواهي بتفويضها

(١) الزبون ، من الزبن بفتح فسكون : وهو الدفع ومنه قيل : حرب زبون ، لأنها تدفع الأبطال

- الى مَنْ تبيت العدا من مهابة على جمر الغضى ، ومُنيل المنى بمواهبه التى تحوز موادَّ
الاختيار وتجاوز أمد الرضا ، ومُلقي مقاليد التدبير الى من أضفى جميل التأثير اذا تصرف
فى الرفع والخفض حكم القضا ، ومصرف أزيمة الأمور فى يد من غدا ثابت العزمات
فى الأزمات ، فما أظلم خطبٌ إلا أنجلي بمصايح آرائه وأضأ نحمده على أن عضد
دولتنا بالكافل الكافى الذى اختاره الله لنا على علم ، ومنح أيا منا موالاة الولي الذى
جُمعت فيه خلتان يحبهما الله ورسوله : وهما الأناة والحلم ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة مشرقة الأنوار ، مغدقة سحبا بأنواء المنن الغزار ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان ، وخص ملته فى الدنيا
والآخرة باليمن والأمان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضفى بفضل
السبق للإيمان به صديقه وصديقه ، وأمسى لفرط الألفة أنيسه فى الغار ورفيقه ،
ومنهم من ضافره فى إظهار النبوة ووازره ، وظاهره على إقامة منارها بإطفاء كل نائرة
وإخماد كل نائره ، ومنهم من ساعد وساعف فى تجهيز جيش العسرة ، وأحسن
وحسن مع إخوانه المؤمنين الصحبة والعشرة ، ومنهم من كان سيفه الماضى الحد ،
ومهنده الذى كم قل بين يديه الجموع فما اعترض إلا قَطُّ ولا اعتلى إلا قَد ، وسلم
تسلية كثيرا ، أما بعد ، فإن الله تعالى لما هنا لنا مواهب الظفر ، وهيا لنا من الملك
مواد إدراك المنى وبلوغ الوطر ، وأيدنا من أنصارنا بكل ذى فعل أبر ووجه أغر ،
وشد أزرننا بمضافرة سيف يزهى الملك بتقليده ، وأمدنا بمؤازر نتصرف المنى والمنون

(١) وازره : أعانه وقواه ، والأصل آزره بالهمز ، وفى القاموس وشرحه مادة «أزر» أن المؤازرة بالهمز أفصح ، وبالواو شاذ ، وقال الفراء : إنه عامى .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة تنور ، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السفر .

(٤) القط : القطع .

بين وعده ووعيدة ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوق مودته بحسن
 الثناء حقيقة ، وعهود محبته في ذمام الوفاء متمكنة وثيقه ، وطريقته المثلى في المحاسن
 والإحسان مشهورة ولا نرى مثلاً لتلك الطريقه ؛ ونقائد كفالة ممالكنا للولى الذى
 مابرح يتاقى أمورنا بفسيح صدره ، ويتوقى حدوث كل مانكره فيمنهض في دفعه بصائب
 رأيه وثاقب فكره ؛ وكان الجنب الكريم العالى الأميرى الكبيرى العالمى العادلى
 الكافى المؤيدى الزعيمى الغياثى المسندى المهدى المناغرى المظفرى المنصورى
 السيفى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ؛ سند الممالك ، مدبر الدول ،
 مقدم العساكر ، أمير الجيوش ، كهف الله ، حصن الأمة ، نصره الملوك والسلطين ،
 (سلار المنصورى) نائب السلطنة المعظمة ، وكافل الممالك الاسلامية ، — أعز الله
 نصره — هو واسطة عقد الأولياء ، وسيف الدولة الفتاك بالأعداء ، والذى
 أسلف في نصره الإسلام حقوقاً غدت مرقومة في صحف الفخار ، واستأنف
 في مصالح الأمة المحمدية تدبيرات أظهر بها أسباب التأيد على الأعداء والاستظهار ؛
 كم أصلح بمن سياسته ذات البين ، وكم أبهج ببركة تآتيه وتآنيه كل قلب وأقر كل
 عين ؛ وكم ساس من ملك فأضحى ثابت الأساس ، وجعل شعاره دفعا للباس ونفعا
 للناس ؛ ما عوهد إلا وأوفى ، ولا عوند إلا وعف وعفا ، ولا استشفى في طب
 معضلة إلا وشفى ، ولا استدرك تدبيره فارط^(٣) أمرى كان على شفا ؛ فما يومه في الفضل
 بواحد ، ولا أحد لمثل محاسنه الجميلة بواجد ؛ لعزماته في مواقف الجهاد السوابق

(١) في الأصل : « الفياى » بالفاء والنون ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) التانى للامر : الترفق له والتلطف فيه .

(٣) الفارط : الفائت ؛ يريد بهذه العبارة وصفه بالحزم وأنه لا يترك الأمور ينفذ الخلل إليها .

ثم يستدرکها بعد فواتها ، بل إنه يتوقى الخلل فيها بتدبيره قبل حصوله .

الغر المحجله ، ولتدبيراته في مصالح العباد والبلاد المنافع المعجلة والمؤجلة ، وهو الذي خافت مهابة الكتاب ، وأملت مواهبه الرغائب ، ولعبت سطواته للعدا خيالا في المراقب وخيالا في المراقب ، وأمتطى من الشهامة كاهلها فأحجم عنه لما أقدم كل محارب ، وصدق من نعتة بالسيف ، فلم ينعت به لقييل : هذا سيف يفتك بالضريبة ولا تغل له مضارب ، وكما لقي بصدرة الألف من التار — خذلهم الله — والمنايا قد بلغت من النفوس المني ، وأمضى سيفه في الحروب وما شكا الضنى ، وحمل حملة فترق بها كل شمل للكفار آجتمع ، وقطع أعناق العدائي رضى الله تعالى ولا ينكر السيف إذا قطع ، ووصل من العليا إلى غاية تراحم الكواكب بالمناكب ، وتفرد بأمر الجيوش فضحى بدر الكتاب وصدور المواكب ، إذا جاش الجيش ثبت عند مشتجر الرماح ، وإذا أظلم ليل النقع وضحت أسارى جبينه وضوح الصباح . وإذا أقدم في كتيبة " رأيت البربحرا من سلاح " وإذا رفعت راياته يوم الوغى كبرت بالظفر على أسنة الرماح ، وإذا كان في جحفل كانت عزائم للقلب قلبا وصوارمه جناحا للجنح ، وإذا قدر في السلم عفا لكنه في الحرب قليل الصفح بين الصفاح ، وهو الذي ما برحت أيدي انتقامه تهدم من أهل الشرك العمار والأعمار ، وبروق سيوفه تذهب بالنفوس لا بالأبصار ، ويمن يمينه وصبح جبينه هذا يستهل بالأنواء وإذا بالأنوار ، اقتضى حسن الرأي الشريف أن نوفي حقوق مودته التي أسلفها لنا في كل نعيم وبؤسى ، وأن نضاعف علو مكانه من أخوتنا ليكون منا كهرون

(١) الرغائب : النفاس المرغوب فيها ، واحده رغبة .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ يريد أن سطواته في تشكها لالا عدا في النوم بالخيال وفي اليقظة

بالخيال تشبه فعل الملاعب حين يتشكل للناظر بأشكال مختلفة . أولعله : « ولقيت » بالبناء للجهول أى سميت وعلى الأول فقوله : « خيالا » حال من سطوات وعلى الوجه الآخر فهو مفعول ثان ، وإنما لم يتعد إليه بالباء كما هو مقتضى اللغة لتضامته معنى التسمية .

من موسى ؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى الموالى السلطانى الملكى المظفرى
الركنى - لا برح يوفى بعهود الأولياء ويفى ، ويمنح من أخلص النية فى ولائه البر
الحفى والفضل الحفى - أن تكون كلمة الجنب الكريم العالى الأميرى السيفى المشار
إليه - أعز الله نصره - نافذة فى كنفالة الممالك الإسلامية ، متحكمة فى نيابة الساطنة
المعظمة ، وأوامره المطاعة فى إمرة الجيوش وحياسة الثغور التى غدت بدوام كفاله
متبسة على أجمل عوائده ، وأكمل قواعده ؛ نيابة ثابتة الأساس ، نامية الغراس ؛
لا يضاها فيها ولا يشارك ، ولا يخرج شئ من أحوالها عن رأيه المبارك ؛ فليسط
نهيته وأمره فى التدبير والإحكام ، وليضبط الممالك حتى لا تسامى ولا تُسام ؛ وليطلع
من آرائه فى سماء الملك نجوما بها فى المصالح يهتدى ، ويرفع من قواعده ما ينخفض
به قدر العدا ؛ وليضاعف ما ألفته الأئمة من عدله ، وليجبر على أكرم عادته من
نشر إنصافه وشمول فضله ، وليعضد جانب الشرع المطهر فى عقده وحله ، وتحريره
وحله ؛ ولينفذ كلمته على ما هو من ديانته مألوف ، وليستكثر من الاقتداء بأحكامه
فى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف ؛ وأمرء الإسلام وجنوده ، فهم ودائع سره ،
وصنائع شكره ، وطلائع نصيره ، وما منهم إلا من غذى بلبان دره ، وغدا [من] ثناء^(٢)
عصره متقلدا لعقود دره ؛ فليستدم حنوه عليهم وإشفاقه ، وليوال إليهم بره وإرفاده
وإرفاقه ؛ والوصايا كثيرة لكنها منه تستمل ، والتنبهات على المصالح منه تستفاد
نقلا وعقلا ، وما زلنا نستضى فى المهمات بين آرائه التى جمعت للمصالح شملا ؛ فمثله
لا يدل على صواب وهو المتفرد بالسداد ، والخير بتفريح كرب الخطوب والسيوف

(١) كذا فى الأصل ، وهو جمع عادة كما فى المصباح ، ولم نجده فى غيره من كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) اللبان بالكسر : الرضاع ، يقال : هو ألبان بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) فى الأصل : «ساء» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

غامضة الحفون في الأغماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالاته بالحلل^(١) الموائى والأخ
المواسى ، ويشد أزرك سلطاننا من مضافته بمن أمسى جبل الحُلوم^(٢) الرواسى ؛ إن شاء
الله تعالى .

ومن انشائه أيضا أعزّه الله تعالى مقامه عملها في سنة اثنتين
وسبعمئة ، على لسان من التمسها منه ، فقال :

حكى أليف الغرام ، وحليف السقام ؛ وقتيل العيون ، وصرع الحفون ؛
وفريسة الأسود ، والمصاب بنبال الحدق السود ؛ عن قصته في هواه ، وقضيته التي
كان في أولها غناه ، وفي آخرها عناه^(٣) ؛ قال : لم أزل في مدة العمر أترقب حبيبا
أتلذ بحبه ، وأتعم بقربه ؛ وأحيا بانعطافه ، وأسكر من ريقه بسلافه ؛ وأستعذب
العذاب فيه ، وأرشف نحر الرضاب من فيه ، وأقتطف ورد السرور من وجنتيه
وأجتنيه ؛ وأكتسى به لطفًا ، وأكتسب بمصاحبه ظرفًا ؛ حتى ظفرت يداي بمن
رق وراق ، ولطفت حقائق معانيه حتى كادت تخفى عن الأحداق

لطفت معانيه فهب مع الصبا * ورقبته بهبوبة لا يعرف

قد جمع أوصاف المحاسن والمعاني ، وفاق كل مليح فليس له في الحسن ثاني ؛
أما قوائمه ، فقد ملك الفؤاد فأضحى ملىكا عادلا ، وأستباح النفوس من اعتداله
فلا غرو إن أضحى لها قاتلا

(١) الموائى ، من وافى يوافى : وهو بمعنى وفى ، يقال : وفى له بالعهد يفى ووافى يوافى كلاهما
بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) في الأصل : « الحلقوم » والقاف زيادة من النسخ . والحلوم ، جمع حلم بالكسر : وهو الأناة
وعدم الخفة . والرواسى : صفة للحلوم .

(٣) في الأصل : « غناه » بالغين ؛ وهو تصحيف .

عَجَبًا لِقَدِّكَ مَا تَرْتَحُّ مَائِلًا * إِلَّا وَقَدْ سَلَبَ الْغُصُونُ شِمَائِلًا
وَأَمَّا لِحَاضُهُ فَقَدْ غَنِيَتْ عَنِ الْكُحْلِ بِالْكُحْلِ ، وَأَذَابَتْ حَبَاتِ الْقُلُوبِ فِي حُبِّ تِلْكَ
الْمَقْلِ

وَإِذَا رَأَيْتَ الطَّرْفَ يَعْمَلُ فِي الْحِشَا * عَمَلُ الْأَسْنَةِ فَالْقَوَامُ مُثَقَّفُ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِه كَالْبَدْرِ فِي تَمَامِهِ ، يَعْلُوهُ مِنْ شَعْرِهِ مَا يُصِيرُ بِهِ كَالْبَدْرِ تَحْتَ غَمَامِهِ
قَمَرٌ تَبَلَّجَ وَجْهَهُ فِي حَنْدِسٍ * مِنْ شَعْرِهِ فَأَضَاءَ مِنْهُ الْحَنْدُسُ
وَمُقَبِّلُ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ ، وَأَعْطَرَ مِنْ زَهْرِ الرِّبَا تَفْتَحَتْ أَكْثَمُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
وَمُقَبِّلُ عَذْبٍ كَأَنَّ رِضَابَهُ بَرْدٌ وَرَاحٌ

وَحَدَّ أَمْسَى شَقِيقَ الشَّقِيقِ ^(١) ، وَمَبْسِمٍ يُرَشِّفُ مِنْ شِفَاهِهِ الْعَقِيقَ الرَّحِيقَ
شِفَّةً كَمَحْمَرِّ الْعَقِيْقِ * قَى وَمَبْسِمٍ مِثْلُ الْأَقَاحِ ^(٢)

وَصُدِّغَ سَالٌ عَلَى خَدِّهِ الْقَانِي ، وَامْتَدَّ كَدَمِعٍ مَحَبَّةَ الْأَسِيرِ الْعَانِي
صَبَّ لَهُ دَمْعٌ كَصُدْغِكَ سَائِلٌ * فَعَسَاكَ يَا مُثْرَى الْجَمَالِ تُوَاسِي
وَحَصِرَ لَطْفٌ وَدَقٌّ ، وَعَلَاهُ كَثِيبٌ رَدِفٌ فَأَثْقَلَهُ حَتَّى ضَنَى وَرَقٌ
يَا رَدْفَهُ رَفَقًا عَلَى خَصِرِهِ * بَيْنَمَا حَرَمَةُ جِيرَانِ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ حَسَنِ قَصْرِ عَنْ وَصْفِهَا قَلَمِي ، وَعَجَزَ عَنْ حَصْرِهَا كَلَمِي ؛
وَأَشْفَقْتُ مِنْ شَرْحِهَا خَوْفًا أَنْ أَثُمَّ عَلَيْهِ ، أَوْ أَذْكَرَ مَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنَ الْحَسَنِ فَأَكُونُ

(١) يريد بالشقيق : شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر ، وإنما أضيف إلى النعمان لأن النعمان بن المنذر
حمى أرضاً فكأن فيها هذا النبات ؛ وقيل : النعمان اسم للدم ، وشقائقه : قطعه ، فشبهت حمرة هذه الزهرة
بحمرة الدم .

(٢) الأقاحى بتخفيف الياء وتشديد هاء : جمع أقحوان ، وهو من نبات الربيع ، دقيق العيدان ، له نور
أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن ؛ وهو المسمى بالبانونج والبانونك عند الفرس .

قد أشرتُ إليه ؛ وأنا قد تدرّعتُ ثوبَ الكتان ، وتسترّتُ حتى غاض مني الدمعُ
وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذي مُتَّ في الهوى * به كَأَفَّا يا ربَّ لا علموا الذي
غيرَ أني قد متعت بذكر ملاحته فؤادي ، ولا بدَّ أن أوردَها مجَمَلَةً^(١) لا تُكْمِدُ بلفظها^(٢)
المُعَادَى

حكاة من الغصن الرطيب وريُّقه * وما الخمرُ إلَّا وجنتاه وريُّقه
هالالٌ ولكن أفقُّ قلبي محالُهُ * غزالٌ ولكن سفحُ عيني عقيقُهُ
بديعُ الثننى راح قلبي أسيره * على أن دمعي في الغرام طليقُهُ
أقرُّ له من كلِّ حسنٍ جليلُهُ * ووافقه من كلِّ معنى دقيقُهُ
من التُّرك لا يصبيه وجدُّ إلى الحمى * ولا ذكرُ باناتِ الغويرِ يشوقُهُ^(٣)
ولا حلَّ في حىَّ تلوح قبابه * ولا ساق في ركبٍ يساق وسيقُهُ^(٤)
ولا بات صبا للفریق وأهله * ولكن إلى خاقانٍ يعزى فريِّقُهُ^(٥)
يهدد منه الطرف من ليس خصمه * ويُسكر منه الریق من لا يذوقُهُ
على خاتمه جمر من الحسن مضرَّم * يُشَبُّ ولكن في فؤادي حريقُهُ
له مَبْسَمٌ يُنَبِّئِي المدامَ بریقُهُ * ويُخِجِّلُ نُوارَ الأقاحي بریقُهُ

(١) في الأصل : « لا لند » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى بذكرها ، فالمراد من اللفظ المصدر ، أى التلفظ .

(٣) الغوير : ماء لکب بأرض السماوة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكوني : إنه ماء بين

العقبة والقاع في طريق مكة .

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيقى : الموسوق ، فاعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسق

بفتح الوار وهو الحمل .

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بتهامة ، كما في معجم البلدان والقاموس ، وهو فيهما غير معروف بأداة

التعريف .

قال الراوى : فأعلمته ما خامر قلبي من هواه ، وبذلتُ نفسى آبتغاءَ لرضاه
بثَّنتُ له سرى ونحن بروضةٍ * فمالت لتُصغى للحديث غصونُ
فتلقى ضراعتى بالرحب والإقبال ، وسفرَ عن وجه الرضا فبشَّرتُ نفسى ببلوغ الآمال ؛
وقلت ^(١) :

تذللْتُ فى الشكوى إليه فرق لى * حنوا لدمعى فى الهوى وتذللنى
غزال لبستُ السقمَ خلعة جفنه * على أنى فيه خلعتُ تجملنى
تعلَّل بالأعذار حتى خدعتُه * بسحر الرقى أفديه من متعلِّل
فراقب إغفاء الرقيب وهجعة الـ * حير وراعى حين غفلة عُدلى
ووافى أخا الأشواق حلف صبايةٍ * أسير هوى من وجده فى تملُّل
فلم أر روضا كان أحسن بهجةٍ * - لعمر الهوى - من وجهه المتهلِّل
فأعظمتُ مسراه وقبَّلتُ خاضعا * ترى خطوه شكرا لفضل التطوِّل
وأنعطف على أنعطاف الغصن الرطيب ، وتمازجت قلوبنا حتى أشكل على
أينا الحبيب ؛ وفزتُ منه ببديع جمال تلذَّ به النفوس ، ورشفتُ من رضائه أحلى
ما ترشَّفه الأفواه من شفاء الكؤوس

تعلَّقته صائدا للقلوب * بالحاظه سالبا للنهى
بديع الجمال إذا ما بدا * ترى فيه للعين مستنزها ^(٢)
فكم فيه للعين من روضةٍ * وكم فيه للنفس من مشتهى

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما يأتى بعده من الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « أتيا » ؛ وهو تصحيف .

(٣) قال المطرزى فى المغرب : الاستنزاه بمعنى التنزه غير مذكور إلا فى الأحاديث ١ هـ .

يا حسنه لما أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذاذة قربه ويا حرارة ما ذقناه بعدها
من هجر وصد ، فلم نزل على ذلك مدة أغفى الدهر عنا فيها ، أقضى حياة طابت
تلذذا وترفيها

رعى الله محبوبا نعمت بوصيله * وقد بعدت عنا الغداة عيون

حتى شعر بنا الدهر الخؤون ، ورماني بسهم فرقة أبعدت أمني وجلبت ألمان ،
وعلم بما كتمناه الرقيب ، وعجز عن داء قلبي الطيب

لو كان للعشاق حظ في الهوى * ما كان يُخلق في الزمان فراق

فتجزعت بعد الشهد علقما ، ولم أستطع أفتح من الحزن فما ، وهمت في ساحة الشوق^(١)
والألتياح ، وفضحتني الأدمع التي طال بها على المحبين الأفتضاح^(٢)

لا جزى الله دمع عيني خيرا * وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

فاذا هو مر المذاق ، وأمنع الدمع فيقول : وهل خبأتني لأعظم من يوم الفراق
أبى الوجد أن يخفيه قلب متمم * يكابده والدمع يديه والضنى

(١) يريد : أن أفتح ، فإن في هذه العبارة محذوفة ، وقد أجاز الأخفش حذفها مع رفع الفعل بعدها
وبعمل منه قوله تعالى : (أفغير الله تأمروني أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعبدى خير من أن تراه » برفع
« أعبد » و « تسمع » وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال في قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) :
أن « يريكم » صلة أن حذف وبقى الفعل مرفوعا ، وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف فحذفه يبطل
عمله اه . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذ عند البصريين في غير المواضع المنصوص
عليها في كتب التواعد .

(٢) في الأصل : « الأرتياح » بالراء ، وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق . والألتياح
في الأصل : شدة العطش من اللوح بفتح اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش في شدة الغليل .

وكم ذاب القلبُ حسره ، وتفتت الكبدُ في تلك الفترة ؛ على خلوة أبت فيها حزني ،
وأفسح فيها المجال الذي ضاق به عطني ؛ فلم أظفر بخلوة في لمحة بصر ، ولا فزت
بذكر كلمة أفرج بها ما عرض من حصر

تعرضتُ من شوق إليه فأعرضا * ولولا الهوى لم أمنح الحب مبعضا
وبحثُ إليه أن عندي رياضة^(١) * عليه وما تلك الرياضة عن رضا
قضى حبه أتى إذا عز في الهوى * أذل وإني قد رضيت بما قضى
لقلبي من عيذه سُقم وصحة * فكم مرة في الحب داوى وأمرضا
مضى لي به عيش بكيت لفقده * وهيات أن يرتد عيش إذا مضى

وبليت^(٢) بريقب قد سلب الله من قلبه الإيمان ، وسلطه على بغلظ الطباع وفضاظة
اللسان ؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينه ، لكنته أر بي عليه في بهتانه ومينه ؛ يحاق^(٣) على
الكلمة الواحده ، ولا يسمح بأن طرفي يمتد إلى تلك المحاسن التي غدت القلوب بها
واجده ؛ يود لو غطى على بصرى ، ويبدلني مغيبى من محضرى ؛ لا يفتر عن اللوم
والعدل ، ولا يرى أن يقضى ساعاته إلا في بذل الحيل ؛ يرغب في شتات شملى ،
وانقطاع وصلى ؛ وليس لي في دفعه حيله ، ولا في الانتقام منه وسيله ؛ وما زال
حتى أحال الحبيب عن وداده ، وكدر ما صفا من حسن ظنه واعتقاده ؛ وأنا أروض
نفسا كادت تزوب ، وأتسلى بأيام وصاله وأقول : لعلها ترجع وتزوب

لئن ذقت مر الصبر أو ملح أدمعى * لقد أعذبت تلك المذاقات منهل

(١) يريد بالرياضة هنا : ملازمة هواه والاعراض عن كل ما سواه ، أخذا من الرياضة عند

العباد وأهل التصوف .

(٢) في الاصل : « وتلفت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يحاق ، من المحافة بتشديد القاف : وهى المحاصمة والمنازعة لظهار الحق ؛ وفي الأصل :

« يحاقق » بقافين ؛ وهو مما يجب فيه الإدغام .

فلم يقنع الدهرُ لي بذلك ، ولا رضى بالصدِّ والعذل والهجر الذى هو أعظمُ
المهالك ؛ حتى قضى بالفرقة والبعد ، ورمتنى النوى بسهم فلم يخطئ الفؤاد ؛ وكنتُ
أتعلل بالنظر ، وأقول : مشاهدةُ هذا الوجه القمرى عندى أكبرُ وطراً ؛ حتى
مُنِعْتُ الوصالَ والمشاهدة ، وَنَدَبْتُ قَلْبِي الْقَرِيحَ بِأَدْمَعَ عَيْنِي الْجَامِدَةَ

١٥

أحبابَ قَلْبِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بَعْدَكُمْ * نَوَائِبَا صَيَّرْتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلَا
وَقَدْ تَعَجَّجْتُ أَتَى بَعْدَ فِرْقَتِكُمْ * أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا لَاقَيْتُ مَا قَتَلَا^(١)

وَأَنْقَطَعَتْ عَنِّي الرِّسَالُ ، وَذَهَبَتْ لَذَاذُهُ مَا أَعْتَدْتُهُ مِنْ تِلْكَ الْوَسَائِلِ

هَلْ مُخْبِرٌ عَنْكُمْ يَعِيشُ بِقَرِيهِ * مَيْتُ الرِّجَا وَالصَّبْرِ بَعْدَ إِيَّاسِ
أَحْبَابِنَا قَسِمَا بِسَاعَةِ وَصَلْنَا * لَمْ أَكْتَحِلْ مِنْ بَعْدِكُمْ نِعَاسِ
غَبْتُمْ فَعِنْدِي بِالْفِرَاقِ مَا تَمُّ * فَمَتَى تَعُودُ بَعُودُكُمْ أَعْرَاسِي

وَذَوَى غَصْنِ السَّرُورِ بَعْدَ أَنْ كَانَ رَطِيبًا ، وَفَقَدْتُ لِنَدَاءِ أَلْمَى مَجِيئًا ؛ وَأَغْلَقْتُ
بَابَ الدَّعَا ، وَأَسْبَلْتُ هَوَاطِلَ أَدْمَعِي قَائِلًا لِلْأَجْفَانِ : لَا تَخْشَى فَأَنْتِ مَنْفَقَةٌ
مِنْ سَعَةِ ؛ وَلَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالذِّكْرِ ، وَالتَّأَمُّلُ^(٢) فِي حَسَنِهِ^(٣) الَّذِي تَشَكَّلُ فِي مِرَاةِ الْقَلْبِ
فَسَرَّ سِرًّا ؛ لَقُلْتُ :

كَأَنَّكَ قَدْ خَتَمْتَ عَلَى ضَمِيرِي * فَغَيْرُكَ لَا يَمُرُّ عَلَى لِسَانِي
وَلِي عَيْنٌ تَرَكَ وَأَنْتِ تَنَاسَى * كَمَا تَرْنُو إِلَيْكَ وَأَنْتِ دَانِي
وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ هَوَاكَ مِنِّي * إِذَا مَا غَابَ شَخْصُكَ عَنِ عِيَانِي

(١) فِي دِيْوَانِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي (مَا قَاسَيْتُ) وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا ؛ وَهَذَا صَدْرُ بَيْتٍ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ

يَمْدَحُ بِهَا سَعِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكَلَابِيِّ الْمُنْبَجِي ؛ وَتَمَامُ الْبَيْتِ :

* وَالْبَيْنُ جَارٌ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا *

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالتَّأَمَّنُ » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « بِحَسَنِهِ » بِالْبَاءِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شَغَلْتَ عن الوري بصرى وسمعى * كأنهما نَجَبَك مفردان
فها أنا لا أعاين ما بدا لى * سواك ولا أصيخ لمن دعانى
ثم إني فارقْتُ الحياه، وبذلْتُها راغبا فى هواه ؛ ولم أزل كذلك الى أن ظهرت آثار
قريبه ، وسرى النسيم عِطرا فعلمتُ قربَ ركبهِ

وأذ كرنى ذاك الصِّبا زمن الصِّبا ^(١) * وما الشوقُ إلا ما تجدد بالذكر
فكاد قلبى يطير للقاءه ، ولولا تسنُّهُ بِحُجُب الفؤاد لخرج من قوَّة برحائه ؛
وتذكرتُ كيف يكون اللقاء والاجتماع ، والرقباء قد أزمعوا على المنع والدِّفاع ،
وقلتُ : فارقنى على غير رضا ، وجفانى من غير ذنب ، ونأى عنى من غير وداع ؛
وها أنا فى غيابهِ وحضورهِ ، وسخطهِ وسرورهِ ؛ لا أحول عن ودِّهِ ، ولا أرى
إلا الوفاء بعهدهِ

هيهات ما وجدى عليك بزائل * فإلام يُطِنِّب فى الملامة عاذلى
ناشدتك العهد القديم ويومنا * يُلوى الصَّريم وبانهِ المتمايل ^(٢)
هل تعلمن سوى هواك وسيلةً * تدنى رضاك وقد جهلتُ وسائل ^(٣)
أدنىتنى حتى إذا تيمَّنتنى * بمحاسن ومعاطفٍ وشمائل ^(٤)
وبحسن وجهٍ لو تجلَّى فى الدجى * سجد الصباحُ لضوئه المتكامل ^(٥)
ونواظِر سَحارةٍ لِحَفُونِها * فضلُ الصناعة لا لساكنِ بابل

(١) الصبا بالفتح : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ؛ قاله ابن الاعرابى ، وتثنيها صبيان وصبيان ؛ وهى مؤنثة ، وإنما أراد هنا النسيم فأوردها بالتذكير .

(٢) عبارة الاصل : « وبانة المتمايل » وهو تحريف .

(٣) أراد بالمعاطف : مواضع الانثناء من البدن كالخاصرتين والجيد جمع معطف بفتح الميم وكسر الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين فى المضارع .

(٤) يريد : صناعة السحر .

(٥) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر .

(١) ووقعت من قاي بود قد جرى * مجرى دمي بجوانحي ومفاصلي
(٢) قاطعتني وسمعت قول حواسدي * وصرمت من بعد الوصال حبايلي
ولرب ليل بت فيه مسهدا * فردا أسامر لوعتي وبلايلي
(٣) (٤) (٥) أطوى على حر الغرام أضالعا * يطوين فيه على قداح النابل
وهأنا أترقب وصله ، وأتوقع عدله .

أتراه من جور الصبا ينصف * ويرق للعاني عليه ويعطف
صب يرى السلوان عنه محرما * فله إليه توله وتلهف
(٦) يا أهل كاظمة وحق هواكم * قسا بكم وبغيركم لا يحلف
مشتاقكم ألف الصبا فيكم * فكأنه لسواكم لا يعرف
فعدود منكم بالوصال تعلقة * ولكم بأن تعدوا الوصال ولا تفوا
(٧) (٨) وحياتكم يرعاكم في بعدكم * ولقربكم في بعدكم يتشوف

(١) في الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحبايل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحبايل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أي من الغرام .

(٤) المراد بالقداح هنا السهام على طريق التجوز في استعمال اللفظ ، فان القداح في الأصل :
هي السهام قبل أن تراش وتركب فيها النصال ، واحده قدح بكسر القاف وسكون الدال ، فاستعملها
في السهام ذات النصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابل : الرامي بالنبل ؛ والذي في الأصل : « البابل » بالباء في أوله ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له
معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمة : جوعلى سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ،
وفيهما ركابا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الظرفية ، أي أنه يرعاكم ويتشوف لقربكم ما حييتكم ؛ ولا يجوز الإعراب
بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم في قربكم » وفيها تقديم وتأخير مفسدان للمعنى :

وليس لي ما أمت به إلا صدق الغرام، والإقدام في حبه على ارتكاب الحمام^(٢)

١٦

جدد عهد توأصيل وتلاق * وأستبق لي رمقا فليس بباقي

وأشفع إلى مارق من ترف الصبا * من وجنتيك برقة الأخلاق

ما حق ذي قلب صفا لك وده * تقطيعه بقطيعة وفراق

مع ذا وذا كيف استهنت فكن أناال * موثوق^(٣) بي مولاي في الميثاق

قال الراوى : فسمع شكواى وما أشكى^(٤) ، وقابل رقتى بجفوة بها القلب أنكى^(٥)

والطرف أبكى ، ولفق أعدارا ، وأقسمت عليه أن يزور فلم ير لقسمى إبرا

هذا ما آتفق إيراده من كلامه — أدام الله علوه — في هذا الموضع ،

وسنورد إن شاء الله من كلامه أيضا ما تقف عليه في آخر فن الحيوان في السفر

الذى يليه إن شاء الله تعالى .

١٠

ذكر شيء من إنشاء المولى الفاضل

الصدر الكبير الكامل ، البارع الأصيل ، الأوحى النبيل ،

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

هو الذى أتقن صناعة الأدب فى غرة شبابه ، وبرز على من آكتهل فى طلبها

وشاب فى الترقى الى رتبها ، فما ظنك بأترابه ، وجارى ذوى الفضل فى الأقطار اليمنية^(٦)

١٥

(١) فى الأصل : « فى جنة » بالميم والنون ؛ وهو تصحيف .

(٢) يقال : ركه وارتكبه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) كذا فى الأصل . وقوله : « أنا الموثوق بى » خبر لقوله : « كن » واسمها ضمير مستتر ، أى كن

أنت ، والعائد مقدر فى جملة الخبر ، أى أنا الموثوق بى منك .

(٤) يقال : أشكى فلان فلانا ، إذا أزال شكواه ، فالهمزة للسلب .

٢٠

(٥) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالألف فى أوله ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة

بدون الألف فى أوله إذا قشرها بعد البر ، وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : « وجاذى » بالذال ؛ وهو تحريف .

(٧) عبارة الأصل : « بل فى الأقطار » ؛ وقوله : بل زيادة من النسخ .

- (١) فطلع مجلّ الحلبة ، وبارى نجباء الأفاضل بالملكة التعزية (٢) وكان المؤمل (٣) منهم بالنسبة إليه أرفعهم رتبة ، وسما إلى سماء البلاغة فكان نجمها الزاهر ، وأرتقى إلى أفلاك البراعة فكان نيرها الباهر ، ورام من سواه الارتقاء إلى محله (٤) والمنساواة لفضله فغدا وهو في ذيول حيرته عاثر ، فعند ذلك علموا عجزهم عن إدراك غاياته ، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته ، وحين لم يجد لفضله مجاريا ، ولا عين لفضائله مباريا ، صار بها كالغريب وإن كان في أهله ووطنه ، والفريد مع كثرة أبنائه وإخوان زمينه ، فسمت به نفسه (٦) إلى طلب العلوم من مظانها ، والاحتواء عليها في إبانها ، وألحق بأعيان أهلها ، والاختلاط بمن آرتدى بأردية فضلها ، ورؤية من توشح بقلائدها ، وترشح لبذل فوائدها ونظم فرائدها ، ففارق الأقطار اليمنية وهي تسأله التأتى ، وتبذل لرضاه الرغبة والتمنى ، وهو لا يجيب مناديا ولا يعرج على نادية ، ولا يميل إلى حاضرها ولا ينظر إلى بادية ، وصرف وجهه عنها ، ونفض يده منها ، وألتحق (٧) بالديار

(١) المجلى من الخيل : السابق في الحلبة .

- (٢) في الأصل : « الثغرية » بناء مثلثة بعدها غين معجمة وراء ، وهو تصحيف إذ لم نجد وجهها لتخصيص اليمن بهذه النسبة . والتعزية : نسبة إلى تعز بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهى قاعدة اليمن كما فى القاموس ؛ وقال فى التاج : انها مدينة عظيمة ذات اسوار وقصور ، كانت دار ملك بنى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اده . وقال أيضا فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٨ نقلا عن كتاب تقويم البلدان : إنها مقر ملوك اليمن يعنى من أولاد رسول . ثم قال : وهى حصن فى الجبال مطل على التهام وأراضى زبيد الخ .

- (٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة : الثامن من خيل الحلبة .
(٤) المناواة بالهمز والنواء بكسر النون : المفاخرة والمعارضة .
(٥) فى الأصل : « والقرير » ؛ وهو تحريف .
(٦) فى الأصل : « فتمت » بالنون ؛ وهو تحريف .
(٧) قولهم : التحق به بمعنى لحق كلمة مولدة ؛ قال الصاغاني : لم أجده فيما دون من كتب اللغة فليجتنب ذلك انظر تاج العروس مادة « لحق » .

(١) المصريّة ، وأنبت^(١) في طلب العلوم بأجمل سريرة وأحسن سيرة وأخلص نيّة ، فبلغ فيها مناه ، وأدرك بها ما تمناه ، وغدا وثغر فصاحته بالعلوم أشذب ، وبرد بلاغته بالآداب مذهب

تنأهى علاء والشباب رداؤه * فما ظنكم بالفضل والرأس أشيب

٥ ولما عاينه أعيان أهل هذا الوادي ، وشاهدوه يبكر في طلب العلوم ويغادي ، تلقوه بالإكرام والترحيب ، وقابلوه بالتبجيل والتقريب ، وأنزلوه بالمحلّ الأرفع والفناء الخصيب ، وعاملوه بحض الوداد ، وساواه شبابهم بالإخوة ومشايخهم بالأولاد ، وخلطوه بالنفس والمال ، وظهر له في ابتداء أمره بقرائن الأحوال حسن المال ، فأصبح من عدول المصر ، وأمسى وهو من أعيان العصر ، فشكر عاقبة مسيره وحيد صباح سراه ، وأجابه لسان الفضائل بالتلبية لما دعاه ، ثم ارتحل الى الشام بفعل دمشق مقرّ وطنه ، وموطن سكّنه ، ومحلّ استفادته وإفادته ، ونهاية رحلته وغاية إرادته ، فعامله أهلها بفوق ما في نفسه ، فحمد يومه بها على أمسه ، وغدا لأهل المصرين شاكرا ، ولمناقيرهم تاليا ولمحاسنهم ذاكرا ، وله من النظم ما رقت حواشيه ، وراقت معانيه ، ومن النثر ما عذب وصفا ، وكلّ بلاغة ولطفا ، وحسن إعجازا ، وتناسب صدورا وأعجازا ، وقد قدمنا من كلامه في هذا الكتاب ما بأسمه ترجمناه ، ولفضائله نسبناه ، مما تقف عليه في مواضعه ، وتغتذى بلبان مراضعه ، فانورد له

١٥

(١) انبت : انقطع ، أى انقطع عن الشواغل في طلب العلوم .

(٢) في الأصل : « بها » ، وهو مكرر مع ما بعده في الجملة الآتية .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل مجرورا بالباء والذي في كتب القواعد أن « فوق » و « تحت »

٢٠ من الظروف غير المتصرفة فجرهما بالباء كما هنا غير سائغ ، وأجاز بعض النحويين تصرفهما في نحو فوقك رأسك وتحنك رجلك برفع فوق وتحت على الابتداء ، والذي حكاه الأخفش عن العرب في هذا المثال هو نصبهما .

في هذا الباب غير ما تقدم إirاده وما تأخر ، ونأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأوفى والخط الأوفر .

فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفي بالله أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان ملك اليمن ^(١) — عمله تجربة لخاطره عند ما رسم بمكاتبتة ، ابتدأه بأن قال :

أما بعد حمد الله مانح القلوب السليمة هداها ، ومرشد العقول إلى أمر معادها ومبتدأها ، وموفق من اختاره إلى محجة صواب لا يضل سالكها ، ولا تظلم عند اختلاف الأمور العظام مسالكها ، وملهم من أصطفاه آتاء السنن النبوية ، والعمل بموجب القواعد الشرعية ، والانتظام في سلك من طوقته الخلافة عقودها ، وأفاضت على سدته الجليلة برودها ، ومدته أقاصي البلاد ، وناطت بأحكامه السديدة أمور العباد ، وسارت تحت خوافق أعلامه أعلام الملوك الأكاسره ، وسرت ^(٢) بأحكامه النيرة مناجح الدنيا ومصالح الآخرة ، وتجتز كل منبر من ذكره في ثوب من السيادة معلم ، وتهلت من ألقابه الشريفة أساري كل دينار ودرهم ، يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة ببنى العباس منوطه ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم

١٥ (١) في صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢٤ أن المكتوب إليه بهذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول ، وإن هذه الرسالة كتبت في دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سنة سبع وسبعائة ، وذلك حين منع صاحب اليمن الهدية التي جرت العادة بارسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية .

(٢) في الأصل : « وسدت » بالدال ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام بالنيرة ؛ وعبارة صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢٤ : « وشيدت بأحكامه مناجح » الخ بدون كلمة « النيرة » والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٣) كذا في صبح الأعشى ؛ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهملة من النقط .

القيامة محوطة ؛ ويصلى على ابن عمه محمد الذي أحمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن ،
وأطفأ برسالته ما أضطرم من نار الإحن ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
حموا حمى الخلافة فزادوا عن موارد^(١)ها ، وتجهزوا لتشييد المعالم الدينية فأقاموها
على قواعد^(٢)ها ؛ صلاة دائمة الغدو والرواح ، متصلا أولها بطرة الليل وآخرها بجبين
الصباح ؛ هذا وإن الدين الذي فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه ، وأطلع فيه
شموس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غرب^(٣)ه ؛ جعل الله حكمه بأمرنا
منوطا ، وفي سلك أحكامنا مخروطا ؛ وقلدنا من أمر الخلافة سيفا طال نجاده ،
وكثر أعوانه وأنجاده^(٤) ؛ وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية فإلى حرمنا توجي ممراتها ،
ويرفع الى ديواننا العزيز نفيا وإثباتها ؛ يخلف الأسد إن مضى في غابه شبلة ، ويلقى
في الخبر والخبر مثله ؛ ولما أفاض الله علينا حلة الخلافة ، وجعل حرمنا الشريف محل
الرحمة والرافة ؛ وأقعدنا على سدة خلافة طالما أشرق بالخلائف من آبائنا ، وآبتهجت^(٥)
بالسادة الغطاريف من أسلافنا ؛ وألبسنا خلعة هي من سواد السؤدد مصبوغه ، ومن

(١) كذا في الأصل ؛ والذي في صبح الأعشى : « وعمدوا » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين
والتجهز للأمر : التهيؤ له .

(٢) قال في مستدرک (التاج) مادة « خرط » نقلا عن شيخه ما نصه : استعمل الناس كثيرا الانخراط
بمعنى الانتظام والدخول ، كانخرط في السلك اذا انتظم فيه وقد وقع في كلام الفصحاء الثقات من علماء
اللسان كالسكاكي والزمخشري وأضرابهما ، ولا يكاد يوجد في كلام العرب ونصوص أهل اللغة ما يؤيده
ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا ، وأمكنه رحمه الله وقع في جامع اللغة لأن عباد على قولهم : خرطت
الجواهر ، جمعتها في الخريطة ؛ قال : فعلت أنهم تجوزوا به عن جعلها في العقد الخ .

(٣) الأنجاد : الشجعان الماضون فيما يعجز غيرهم ، واحده : « نجد » بفتح النون مع كسر الجيم
وضمها وزان كتف ورجل .

(٤) في الأصل : « العصاريف » بالعين والصاد ؛ وهو تصحيف ؛ والغطاريف من الناس :
أشرافهم وسراتهم .

سوادِ العيونِ وسُوِّدَاوَاتِ القلوبِ مَصُوغُهُ ، وَأَمْضِينَا عَلَى سُدَّتِنَا أُمُورَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ،
 وَقَلَّدْنَا أَرْبَابَ الْكُفَايَةِ كُلَّ إِقْلِيمٍ مِنْ عَمَلَانَا مِمَّنْ تَصْلُحُ سِيَاسَتُهُ عَلَى الدَّوَامِ ، وَأَسْتَكْفِينَا
 بِالْكُفَاةِ مِنْ عَمَالِنَا عَلَى أَعْمَالِنَا ، وَاتَّخَذْنَا مِصْرَ دَارَ مُقَامِنَا ، وَبِهَا سُدَّةُ مَقَامِنَا لَمَّا
 كَانَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ قُبَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَفِيئَةُ الْإِمَامِ ^(١) ، وَثَانِيَةَ دَارِ السَّلَامِ ، تَعَيَّنَ عَلَيْنَا أَنْ
 نَتَصَفَّحَ جَرَائِدَ عَمَالِنَا ، وَنَتَأَمَّلَ نِظَامَ أَعْمَالِنَا ، مَكَانًا فَكُنَانًا ، وَزَمَانًا فَزَمَانًا ، فَتَصَفَّحْنَاهَا
 فَوَجَدْنَا قَطْرَ الْيَمَنِ ، خَالِيًا مِنْ وَلَايَتِنَا فِي هَذَا الزَّمَنِ ، وَالْعَادَةُ مُسْتَمِرَّةٌ بِأَنْ لَمْ تَزَلْ نَوَابِنَا
 فِي بِلَادِ الْيَمَنِ ، عَرَفْنَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ اتَّخَذْنَاهُ لِلْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَيْنًا وَقَلْبًا ، وَصَدْرًا وَلَبًّا ،
 وَفَوَضْنَا إِلَيْهِ أَمْرَ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَقَامَ فِيهَا قِيَامًا أَقْعَدَ الْأَضْدَادَ ، وَأَحْسَنَ فِي تَرْتِيبِ
 مَمَالِكِنَا نِهَايَةَ الْإِصْدَارِ وَغَايَةَ الْإِيرَادِ ، وَهُوَ السُّلْطَانُ الْأَجَلُّ السَّيِّدُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، لَا زَالَتْ
 أَسْبَابُ الْمَصَالِحِ عَلَى يَدَيْهِ جَارِيَةً ، وَسَحَائِبُ الْإِحْسَانِ مِنْ أَفْقِ رَاحَتِهِ سَارِيَةً ،
 فَلَمْ يَبْسُدْ جَوَابًا لِمَا رَسَمْنَاهُ ، وَلَا عَذْرًا عَمَّا ذَكَرْنَاهُ ، إِلَّا تَجْهِيْزَ شَرِذِمَةٍ مِنْ جَحَافِلِهِ
 الْمَنْصُورَةِ ، وَتَعْيِينَ أَنْاسٍ مِنْ فَوَارِسِهِ الْمَذْكُورَةِ ، يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ ، وَلَا يَعْأَوْنَ

- (١) وَفِيئَةُ الْإِمَامِ : أَيْ مَحَلُّ فِيئَتِهِ ، وَالْفِيئَةُ : الرَّجُوعُ كَالْفَيْءِ مِنْ فَاءٍ يَفِيءُ إِذَا رَجَعَ ، يَرِيدُ أَنْ
 مِصْرَ هِيَ الَّتِي رَجَعَتْ إِلَيْهَا الْإِمَامَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ سَقُوطِ بَغْدَادِ فِي يَدِ هُولا كُو مَلِكِ التُّتَارِ فِي سَنَةِ
 سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةٍ كَمَا فِي تَارِيخِ أَبِي الْفَدَاءِ ج ٣ ص ٢٠٢ طَبْعُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَكَانَ رَجُوعُ الْإِمَامَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
 ثَانِيًا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةٍ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرْسَ — وَهُوَ الرَّابِعُ مِنْ مَمْلُوكِ التُّرْكِ
 بِالْمِصْرِ الْمَصْرِيَّةِ — وَكَانَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ بَايَعَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ هُوَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلَقِبَ
 بِالْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَقَمْ بِمِصْرَ ، وَالَّذِي أَقَامَ بِهَا هُوَ الْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ
 الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَشْرِدِ بَايَعَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَيْضًا فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَسِتْمِائَةٍ وَأَسْكَنَهُ فِي مَنَاظِرِ الْكَبْشِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ
 أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ ، وَالْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ هَذَا هُوَ جَدُّ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْخِلَافَةَ بِمِصْرَ أَنْظَارَ بَدَائِعِ الزَّهْوَرِ
 لِابْنِ إِيَّاسٍ فِي حَوَادِثِ سَنَتَيْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةٍ وَسِتِّينَ وَسِتْمِائَةٍ .
 (٢) فِي الْأَصْلِ : «فَوَجَدْنَاهَا» ، وَالْهَاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .
 (٣) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى .

بتغيرات الأحوال ؛ يرون الموت مغنا ^(١) إن صادفوه ، وشبها المُرْهَف مكسبا إن
صافحوه ؛ لا يشربون سوى الدماء مدامه ، ولا يابسون غير الترائك ^(٢) عمامه ؛
ولا يعرفون طربا إلا ما أصدره صليل الحسام من غنا ، ولا يتزلون قفرا إلا وأنبت
ساعة نزولهم عن صموات خيلهم قنا ؛ ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعنا رأينا الشريف
فاقتضى أن نكتب من بسط يده في ممالكها ، وملاك جميع مسالكها ؛ واتخذ أهلها
خولا ، وأبدى في خلال ديارها من عدم سياسته خللا ؛ فبرز مرسومنا الشريف
النبوي أن نكتب من قعد على تحت مملكيتها ، وتصرف في جميع أمور دولتها ؛
فطولع بأنه ولد السلطان المظفر يوسف بن عمر الذي له شبهة ^(٣) تمسك بأذيال
المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمه ، أو ما علم الفرق بين
الأحياء والأموات ؟ أو ما تحقق الحال بين النفي والإثبات ؟ أصدرناها
إلى الرحاب التعزية ، والمعالم اليمنية ؛ تُشعر من تولى فيها فاستبد ، وتولى كبره
فلم يعرج على أحد ؛ أن أمر اليمن ما برحت حكامنا ونوابنا تحكم فيه بالولاية
الصحيحة ، والتفويضات التي هي غير جريحه ؛ وما زالت تحمل إلى بيت المال
المعمور ما تمشي به الجمال ^(٤) وثيدا ، وتقذفه بطون ^(٥) الجوارى إلى ظهور ^(٦)

(١) الترائك جمع تريكة ، وهي بيضة الحديد التي تلبس على الرأس في الحرب .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل وصبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤٤ .

(٣) كذا في صبح الأعشى ؛ والذي في الأصل : « شبه » بسين مهملة وهاءين ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) المستعصمية : نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، وهو الذي قتله هولاكو
ملك التتار في سنة ست وخمسين وسبعمائة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « صريحة » وهو تحريف يفسد المعنى ؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤٤ .

(٧) مشى مشيا وثيدا ، أى على تودة وتأن ؛ يريد أن نقل ما تحمله هذه الجمال قلل من خطوها .

(٨) أراد بالجوارى : السفن .

- (١) ^(١) اليعملات وايسدا ؛ وتطالعنا بأمر مصالحه ومفاسده ، وبحال معاهده ومقاصده ؛
 ولك أسوة بوالدك السلطان الملك المظفر ، هلا آقتفيت ماسننه من آثاره ،
 ونقلت ما دقنته أيدي الزمن من أخباره ؛ واتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت
 منك : منها ^(٣) — وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب — قطع الميرة عن البيت
 الحرام ، وقد علمت أنه وإد غير ذى زرع ، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع ؛
 وكفتك الآية ^(٤) دليلا على ما صنعت ، وبرهانا على ما فعلت ؛ ومنها أنصبابك ^(٥) على تفريغ
 مال بيت المال في شراء ^(٦) لهو الحديث ، وتقض العهود القديمة بما تبديه من حديث ؛
 ومنها تعطيل أجياد المنابر من عقود آسمننا ، وخلو تلك الأما كن من أمر عقـدنا
 وحلنا ؛ ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطل ، ولا آتسعت فيه [دائرة]
 المقال ؛ رسمنا بها والسيف يود لو سبق القلم حده ، والعلم المنصور يجب لوفات
 القلم وأهتربتك الروابي قده ؛ والكائب المنصورة تختار لو بدرت ^(٨) عنوان الكتاب
 و [أهل] العزم والحزم يودون اليك إعمال الركاب ؛ والجواري المنشآت قد

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ،
 وإنما هو اسم ، والياء فيه زائدة .

- (٢) عبارة صبح الأعشى : « وبحال دياره ومعاهده » .
 (٣) في الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .
 (٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إني أسكنت
 من ذريتي بواد غير ذي زرع) الخ الآية .
 (٥) يقال : انصب البازي على الصيد إذا انقض عليه ، وما هنا مستعار منه .
 (٦) في الأصل : « في سرى » ؛ وهو تحريف .
 (٧) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٥٥ .
 (٨) « لو بدرت عنوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلانا إلى الأمر وبادرته ، إذا
 سبقته إليه .
 (٩) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى إذ بها يستقيم الكلام .

تكونت من ليل ونهار، وبرزت كصور النملة^(١) لكنها على وجه الماء كالأطيوار،
وما عمدنا^(٢) الى مكاتبتك إلا للإنداز، وما جئنا لمخاطبتك إلا للإعذار، فأقلع عما
أنت بصدد من الخيلاء والإعجاب، وانتظم في سلك من استخلفناه على أعمالنا
فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب، وصن بالطاعة نفوس من زعمت أنهم مقيمون
تحت لواء علمك، ومتظمون في سلك أوامر كلمك، وداخلون تحت طاعة قلمك،
فلسنا نشن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وأمثل أوامر الله
المطاعة عقله وأبيه، ودان الله بما يجب من الديانة، وتقلد عقود الصلاح والتحف
بمطارف الأمانة، ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف الا على من علمنا أنه خرج عن
طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا^(٣)، [فأصدرنا^(٤)] مرسومنا هذا اليه
يقص عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة دولته، وشيّد قواعد صولته، ويستدعي
منه رسولا إلى مواقفنا الشريفة، ورحاب ممالكنا المنيفة، لينوب عنه في قبول
الولاية مناب نفسه، وليجنى بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس شجر طاعتنا ومن
سعادة المرء أن يجنى ثمار غريسه، بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر
قيمة وخف حملا، وتعالى في القيمة رتبة وحسن مثلا، وأشرط على نفسك في كل

١٥ (١) في الأصل وصبح الأعشى : «الافيلة» ؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، وأنكره ابن السكيت .

(٢) في الأصل : «عهدنا» بالهاء ؛ وهو تحريف .

(٣) دان الله : أى أطاعه ، يقال : دنه ودنت له ، وهو من الدين بمعنى الطاعة (انظر اللسان) .
وقال في الاساس : دانوه ، أى انقادوا له .

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل وصبح الأعشى ؛ واللغة تقتضى إثباتها .

(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٥٥ اذ بهاستقيم الكلام .

(٦) تعالى : ارتفع وفي المحكم : كل ما ارتفع فقد غلا وتعالى انظر تاج العروس . والذي في صبح الأعشى :
«وتعالى» بالعين المهملة ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٧) عبارة صبح الأعشى : «وتعالى رتبة» الخ بدون قوله : «في القيمة» والمعنى يستقيم عليه أيضا .

سنة قطيعة^(١) ترفعها الى بيت المال ، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ، ورتب جيشا مقيا تحت لواء علم السلطان الأجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التار ، ألحق الله أولهم بالهلاك وآحرهم بالبوار ، وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة ، وتوارىح سيرهم المذكورة ، وأحترص^(٢) على أن ينحصك من هذا المشرب السائغ أوفى نصيب ، و [أن تكون^(٣)] ممن جهز جيشا في سبيل الله فرمى بسهم فله أجر .
 كان مصيبا أو غير مصيب ، ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أهلة أعلامنا المنصودة ، شاكرا بر مواقفنا المبرورة ، وإن أبي حالك^(٤) إلا أن استمرت على غيك ، واستمرت مرعى بغيك ، فقد منعناك التصرف في البلاد ، والنظر في أحكام العباد ، حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخرات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ، وتسمى لهوادي قلاعك عقودا ، ولعرائس حصونك نهودا ، وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك^(٥) ، فلا تكن كالصغير تزيد كثرة التحريك يوما ، ولا ممن غره الإمهال يوما فيوما ، وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه ، موافقا إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وحده .

(١) القطيعة : الضريبة والوظيفة .

(٢) يقال : احترص واحرص ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) التكملة عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور في كتب اللغة أن الحال تذكر كما هنا وتوث ، فيقال : حال حسن ، وحال حسنة

(المصباح) .

(٥) حدس : ظن ظنا مؤكدا ، « المصباح » والمراد بالحدس هنا : اليقين . كما يستعمل الظن في معنى

اليقين أيضا كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

١٩٠

ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية وأقام بالكرك^(١) - وكُتِبَ له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفر ركن الدين، فلم يمكن الكاتب الإطناب، ولا وسعته^(٢) غير الاختصار، فلم يرضه الكتاب، وعمل جماعة منهم في ذلك تجربةً لحواظرهم ولم يكتب بشيء منها فعمل هو - :

٥ الحمد لله مدبر الأمر على ما يشاء في عبادته، ومنقل الحلال على حكم اختياره ووفق مراده، ومجرب أسباب الممالك على يد من آختره من عبادته لإصدار الأمر وإيراده، ومجيب من أصبح قاصداً بابه الشريف والزهادة فيما حوله من اعتقاده، ومعز من أضفى له من حقونا ركن^(٣) استند إليه الدهر في استناده، يلبي دعوة مراده حيث كان من بلاده، ويحيب داعي نداءه وإن بعد فيكون أقرب من سره إلى فؤاده، يذب عن حوزة نسائه بيض مرهفاتة وسمير صعادته، ويحمي بيضة جاهه بالغلب من أشياءه والجرد من جياذته، نحمده على أن جعل مولاتنا لهذا البيت الشريف المنصوريّ تستديم عهدده، وتلتحف من المحافظة على مراضيه الشريفة في كل حال بروده، وترد من القيام بواجب حقّه أعذب منهل شرعه الصفاء وسننه، وأكّد مولاته أوفاء وحسن أوفاء من شعار أهل السنة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع أعلام الهدى بكلمها، ونحمد نار الشرك بنور هداية

١٥

(١) الكرك بفتح الكاف والراء كما ذكره ياقوت: اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدس، وهي على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الرض.

(٢) في الأصل: «عن»؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «جقونا» بالجم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا. والمراد بالحقو هنا: الجناب الذي يستجار به ويلتجأ إليه، وهو مجاز، والعرب تقول: عذت بحقوقه إذا عذت به ليمنعك قال الشاعر:

سماع الله والعلماء أنى * أعوذ بحقوق خالك يابن عمرو

٢٠

- عَلِمَهَا وَعَلَّمَهَا ، وَتُطَهَّرُ أَدِيمَ الْبَسِيطَةِ مِنْ أَرْجَاسِ الْكُفْرَةِ بِالْحَسَنَيْنِ مِنْ غَرْبِي^(١)
صَمَامِهَا وَقَلَمِهَا ، وَتُرَوَّى كُلُّ قُطْرٍ أَصْبَحَ مَاحِلًا مِنْ قَطْرَى عَدْلِهَا وَنَعِيمِهَا ؛ وَنَشْهَدُ
أَنْ مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي كَانَتْ الزَّهَادَةُ مَلَاكَ أَمْرِهِ وَ[الْمَلُوكُ^(٢)] تَحْتَ وَطْأَةِ
أَقْدَامِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَحْفُوفُونَ مِنْ حَوْلِهِ وَهِيَ أَمَامِهِ ، وَمَعَادِنُ الذَّهَبِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ^(٣)
فِي سَاوِي لَدِيهِ لَزَهَادَتِهِ بَيْنَ نُضَارِهِ وَرَغَامِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً
تُحَاكِي أَرْجَ الصَّبَا وَقَدْ سَرَى عَنْ خَزَامِهِ^(٤) ، وَتُضَاهِي فَتِيقَ الْمَسْكِ وَقَدْ تَنَفَّسَ عَنْ^(٥)
خَتَامِهِ ، مَشْفُوعَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِرِضْوَانِهِ وَسَلَامِهِ ؛ وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ
الْمَقَامُ الْعَالِي الْمَلَكِيُّ الْفَلَانِيُّ هُوَ الَّذِي رَبَّتْهُ الْمَالِكُ فِي حَجَرِهَا وَلِيدًا ، وَخَوَّلَتْهُ السَّلْطَنَةُ
الشَّرِيفَةُ مِنْ نَفَاسٍ ذَخَائِرُهَا طَارِفًا وَتَلِيدًا ؛ وَبَوَّأَتْهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ أَقْصَى غَايَةِ
لَا تَرَامُ ، وَأَبَادَتْ بِمَرْهَفِهِ الْبِتَّارَ جَمَعَ التَّارِ الطَّغَامُ ؛ وَاسْتَعْدَمَتْ لَطَاعَتَهُ جَيْشَيْنِ :
جَيْشَ نَهَارٍ يَكْرَهُ فِيهِ مَوَالِيَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ بِسَابِقِ خَيْلِهِ وَمَرْهَفِ حَسَامِهِ ، وَجَيْشَ لَيْلٍ
تَبَسُّطُ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِهِ أَكْثَفُهُمْ لِلدَّعَاءِ بِبِقَائِهِ فِي جَنَحِ ظَلَامِهِ ؛ طَالَمَا هَزَّتِ الْمَنَابِرُ
أَعْطَافَهَا طَرِبًا عِنْدَ ذِكْرِ أَسْمِهِ ، وَأَزْدَادَاتُ وَسَامَةِ الدِّينَارِ حُسْنًا لَمَّا شَرَفَهَا بِحَسَنِ

- (١) فِي الْأَصْلِ : «عَزَى» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٢) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا .
(٣) لَعَلَّهُ : «مِنْ خَلْفِهِ» كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مَقَابِلَتُهُ بِالْأَمَامِ .
(٤) يَرِيدُ بِالْخَزَامِ : الْخَزَامِي ، وَإِنَّمَا أَسْقَطَ الْأَلْفَ لِحُضُورَةِ السَّجْعِ الَّذِي التَّزَمَهُ فِي هَذَا التَّقْلِيدِ ؛
أَوَّلَعِلَ الْخَزَامُ بِدُونِ الْأَلْفِ لُغَةً فِي «الْخَزَامِي» ، وَلَمْ نَجِدْهُ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ غَيْرَ كِتَابِ أَقْرَبِ
الْمَوَارِدِ ؛ وَالْخَزَامِي : خَيْرَى الْبَرِّ وَهِيَ عَشْبَةٌ طَوِيلَةُ الْعِيدَانِ ، صَغِيرَةُ الْوَرَقِ ، حَمْرَاءُ الزَّهْرَةِ ، طَيِّبَةُ الرِّيحِ ،
لَهَا نُورٌ كَنُورِ الْبَنْفَسِجِ ؛ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَلَمْ نَجِدْ مِنَ الزَّهْرِ زَهْرَةً أَطْيَبَ نَفْحَةً مِنْ نَفْحَةِ الْخَزَامِي ؛ وَوَاحِدُ
الْخَزَامِي خَزَامَةٌ .
(٥) الْفَتِيقُ — فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ ، مِنْ فَتَقَتِ الْمَسْكُ بَغْيَرَهُ : إِذَا اسْتَخْرَجْتَ رَأْتَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ
تَدْخُلُهُ عَلَيْهِ .

وشيمه ورشيمه ، وتلت أوصاف بأسه السنة خرصانه ^(١) ، ورجعت سوابق الهمم عن
التطاؤل للطاولة في ميدانه ، وقالت فوارس الحروب لما رأت كره : هذا سباق
لسنا من رهانه ، كم فرق بجيشه اللهم جيشا أرمَد جفن الشمس بقتامه ، ونصر
الأحزاب يوم الكريهة بالعاديات من خيله والمرسلات من سهامه ، فالدهر يشكر
مواقف إقدامه ، والعدل ينشر منشور فضله وسديد أحكامه ، والممالك تُثنى على
عليائه بالسداد ، والمسالك تُهدى لسالكها ما خصها به من أمنها المعتاد ، والناس
في ظل عدل لياليه [خلقت ^(٢)] كما شاءوا أسحارا ، والوحش والغنم كل منهما قد جعل
صاحبَه جارا ، ومواطن العلوم أمست تطرز بنحاسن أوصافه ، وحكام الشرع
الجليل أضحت تُميس في حل عدله وإنصافه ، والأما كن التي تشد لها الرحال يفتّر
ثغرها عن عدله ، والمشاعر المعظمة قد حُمى حوزتها بالسهم من نصله والشهم من
رجله ^(٣) ، تنقل في مراتب الملك صغيرا الى أن آشتد بالعزم القوى كاهله ، وأستوطن
ربع العزم مذ كن يجتلي بدوره وتجتليه عقائله ، فلم تبق له مأربة إلا قضاها ،
ولا حالة إلا ابتلاها ، ولا غمة إلا جلاها ، ولا آية شكر إلا تلاها ، الى أن قمع بحد

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وضحا ، وهو سنان الرمح .

(٢) اللهم : الجيش الكثير ، كأنه يلثم كل شئ .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب في قوله « أسحارا » ،
وبنصبه يتم السجع الذي التزمه الكاتب في هذا التقليد ، وقد استسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده
في بعض رسائل القاضي الفاضل إذ قال : واليالي التي طابت فكأنما خلقت جميعها أسحارا انظر صفحة ٢٠
سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عند سيبويه للراجل ، وهو ضد الراكب .

سيفه كلُّ مُجْتَرى ، وقال للسحابة كما قيل : ^(١) أَمْطَرِي ؛ ^(٢) رأى أن المواردَ الدنيوية لا بد لها من مصادر ، وأن أوائلَ الأمور تستدعي الأواخر ، وأن للزهادة في الدنيا وإن عظم قدرها الشأن الكبير ، وأن الانقطاع الى الله تعالى منهلٌ صفو لا يقبل شوائب التكدير ؛ وقوى عزمه في الرحلة عن مقر ملكه الى أعز حصونه المنيعه ، بل الى أجل معاقله الشاخمة الرفيعه ؛ قاصدا بها الانفراد ، عالما بأن الله يطلع على خفيات ﴿٢٠﴾ الفؤاد ؛ فرحل ركابه العالى ونظام الممالك من حُسن الهيئة قائم على ساق ، وقلوب كفّال الممالك الشريفة متفقة على الاتفاق ؛ واثقا بأن للملك من أولياء بيته الشريف كلُّ ولى عهد لا تُخَفَّر لديه الذمم ، وكلُّ سلطان أفقٍ ^(٣) تضؤل دون عزمه الهمم ؛ يحمي بيضة خدره من كل متطاول إليها ، ويقصر أسباب الحرص من كل شأن ^(٤) عليها ؛ واختار الانفراد ، وتيقن أن لا نعدل عما أراد ؛ ونصب عمداً خيامه الشريفة على سفح روض الكرك النضر ، وحل منه رأس شاهقة نبثها خضر ؛ ورغب في الزهادة وشعارها ، وأستوت عنده الدنيا في حالتها وإقبالها وإدبارها ؛ فاقترضى اعتناؤنا الشريف أن نبغّه من مآربه الشريفة أقصى المرام ، وأن نساعده في كل أمر يعرف منه الموافقة منّا على الدوام ؛ وأن ننظم الأمر في سلك الإرادة على مراده ، وأن نبادر إلى راحة سره الشريف وفؤاده ؛ ولسوف نعامل مقامه العالى بكل احترام يصل

(١) يشير بهذه العبارة الى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى سحابة تسير في الأفق ملأى بالمطر فقال : امطري حيث شئت فإن ما تبتئنه سيجي الينا . يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تجاوزها السحابة مهما أبعدت في المسير .

(٢) رأى : جواب للسا السابقة في قوله : « لما كان المقام العالى » الخ .

(٣) المراد بالأفق هنا : الناحية من الأرض ، وتضم فائده وتسكن .

(٤) الشأن بتشديد النون : اسم فاعل من شن الغارة على القوم اذا صلبها عليهم من كل وجه .

(٥) في الأصل : « واستهوت » ؛ والهاء زيادة من النسخ .

إليه تفصيلاً وإجمالاً ، ونراعى معه أدب أسلافه الكرام حالاً فخلاً ، وإنا لا نخليه من تجهيز مثال يتضمن من محاسنه سيراً وأمثالاً ، ولولا عرف السلطنة ونظام المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزنا إلى باب الشريف مثلاً ، فلذلك خرج الأمر الشريف بكذا وكذا .

هـ هذا ما اتفق إirاده في هذا الفصل من رسائل الكتاب ، وكتاب العصر - أعزهم الله تعالى - كثير ، وكلامهم مشهور ، ومدون بأيدي الناس ومحفوظ في صدورهم ، ولم نشترط أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط ، ولو فعلنا ذلك ل طال الكتاب وخرج عن شرطه ، وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلقنا بهم ، واتصال سببنا في الوداد بسببهم .

ذكر شيء من الأبيات الداخلة في هذا الباب^(١)

١٠

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إني أعظم تشوق * وشديد وجدى واكتئابى
أصبحت أحسد من يفو * ز بقربكم حتى كتابى

وقال آخر :

وما تأخر كتبتى عنك من ملل * طوبى لودك يابن السادة النجيب^(٢)
لكن حسدت كتابى أن يراك وما * أراك فاخترت إمساكى عن الكتب

١٥

(١) المراد بالباب هنا : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها في السفر السابع من هذا الكتاب

ص ٢١٣ إذ قال : « وأما الرسائل الإخوانية وما يجدد من الأمور ويطرأ من الحوادث » .

(٢) طوبى وزان فعلى ، من الطيب ، كأن أصله طيبى بضم الظاء فقلبوا الياء واوا للضمة قبلها .

(١)
[وقال آخر] :

عَقْتُ الرِّسَائِلَ طَامِعًا أَنْ نَلْتَقَى * فَأَبَى الزَّمَانُ يُتَبَّعَ لِي مَا أَطْلُبُ
وَتَأَخَّرْتُ كُتُبِي فَقُلْتُ أَعَاتَبُ * فِي ذَلِكَ أَنْتَ عَلَيَّ أَمْ مَتَعَبٌ^(٢)
فَإِذَا وَجَدْتُكَ فِي الضَّمِيرِ مَثَلًا * أَبْدَا تَتَّجِئُنِي إِلَى مَنْ أَكْتُبُ^(٣)

وقال آخر :

الْكُتُبُ تُكْتَبُ لِلْبَعِيدِ * مَدَّ وَانْتَ مِنْ قَلْبِي قَرِيبِ
فَإِذَا وَجَدْتُكَ فِي الْفَوْا * دَفَنْ أَكَاتِبٍ أَوْ أَجِيبِ

وقال آخر :

لَوْ أَنَّ كُتُبِي بِقَدْرِ الشَّوْقِ وَاصِلَةٌ * كَانَتْ إِلَيْكَ مَعَ الْأَنْفَاسِ تَتَّصِلُ
لَكُنْتُ وَالَّذِي يَبْقِيكَ لِي أَبَدًا * عَلَى جَمِيلِ أَعْتِقَادِي فِيكَ أَتَكَلُّ

وقال آخر :

وَفِي الْكُتُبِ نَجْوَى مِنْ يَعْزِلُ قَاوَهُ * وَتَقْرِيبُ مَنْ لَمْ يَدُنْ مِنْهُ مَزَارُ
فَلَمْ تُخْلِنِي مِنْهَا وَتَعَسَّلَ أَنَّهَا^(٤) * لَعَيْنِي وَقَلْبِي قُورَةٌ وَقَرَارُ^(٥)

وقال آخر :

سَأَلْتُكَ عَوِّذَنِي بِكُتُبِكَ إِنَّ لِي * شَيَاطِينَ شَوْقٍ لَا تَفَارِقُ مَضْجَعِي
إِذَا اسْتَرَقْتُ أَسْرَارَ فِكْرِي تَمَرُّدًا * بَعَثْتُ إِلَيْهَا فِي الدَّجَى شُهْبًا أَدْمَعِي

(١) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٢) التَّعَبَ : التَّجَنَّى ، يقال : تعَبَ عليه وتَجَنَّى عليه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) ورد هذا البيت في صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ

والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل في الأصل بخذف الياء ، ولا نرى مقتضيا لحزمه غير ضرورة الوزن ، أولعله :

« فلا تخلني » واذن فهو مجزوم بلا الناهية .

(٥) في الأصل : « أني » ؛ والسياق يقتضي الهاء كما أثبتنا .

وقال آخر :

أَتَجَلَّ بِالْقِرطاسِ وَالْخَطِّ عَنْ أَحْ * وَكَفَّاكَ أُنْدَى بِالْعَطَايَا مِنَ الْمَزَنِ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَوَّى جَفَاؤُكَ ظَنَّتِي * وَأَوْهَنَ تَأْمِيلِي وَمَا كَانَ ذَا وَهْنِ

وقال آخر :

أُظِنَّ الْقِرَاطِيسَ فِي مَصْرُكُم * تَخَوَّنَهَا رَيْبُ دَهْرِ خَوْوَنِ
فَلَوْ أَنَّهَا صَفَحَاتُ الْخُدُو * دُيُكَّتَبَ فِيهَا بِمَاءِ الْجَفْوُونِ
لَمَا أَعَوَزْتُكَ وَلَكِنْ جَفَوْتُ * فَأَلْقَيْتَ شَأْنِي خِلَالَ الشُّؤُونِ

(٢١)

وقال المتنبي في جواب كتاب ورد عليه :

بُكِّتَبَ الْأَنَامُ كِتَابٌ^(١) وَرَدَ * فَدَتَّ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدٍ
يَعْبُرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا * وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ

وقال أبو الفتح البستي :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابُكَ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ * عَنْ كُلِّ فَضِيلٍ وَبَرٍّ غَيْرٍ مَحْدُودٍ
حَكَمْتُ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أَسْطَرِهِ * أَثَارَكَ الْبَيْضَ فِي أَحْوَالِ السُّودِ

وقال آخر :

طَلَعَ الْفَجْرُ مِنْ كِتَابِكَ عِنْدِي * فَمَتَى بِاللِّقَاءِ يَبْدُو الصَّبَاحُ

وقال آخر :

وَلَمَّا أَتَانِي بَعْدَ هَجْرِ كِتَابِكُمْ * وَفِيهِ شِفَاءُ الْوَالِهِ الدَّنِفِ الْمُضْنَى
سِرَرْتُ بِهِ حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ * كِتَابِي وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ بِيَدِي الْيَمْنَى

(١) قوله : « كتاب » بالرفع على الابتداء ، أى كتاب ورد مفدى بكتب الخ ويجوز أن يقرأ

بالنصب على المفعولية ، أى أفدى بكتب الأنام كتابا ، وقد جوز العكبري الوجهين عند شرحه لقول المتنبي

أيضا : * بأبي الشموس الجانحات غواربا *

انظر شرحه لديوان المتنبي ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسى الفداء أغائب عن ناظرى * ومحله فى القلب دون حجابيه
لولا تمتع مقلتي ببقائه * لوهبتها لمبشرى بكتابه

وقال آخر :

ورد الكتاب مبشرا * نفسى بأوقات السرور^(١)
وفضضته فوجدته * ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والحدو^(٢) * د البيض زينت بالشعور
أنزلته منى * نزلة القلوب من الصدور

وقال آخر فى كتاب عدم فلم يصل إليه :

نبئت أن كتابا * أرسلته مع رسول
ملائته منك طيبا * فضاع قبل الوصول

ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به ، ويحتاج الكاتب إلى معرفته^(٣)
والإطلاع عليه المحجة البالغة والأجوبة الدامغة .

فمن ذلك فى التنزيل قوله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾
وقوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ
يُمْنًى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أَلَيْسَ
ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ .

وقال تعالى في الدلالة على إثبات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يُعرف في قريش بالصادق الأمين

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ^(١) " يا معشر قريش لو قلت لكم إن خيلا تطلع عليكم من هذا الجبل كنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، قال :

(١) روايته في صحيح البخاري من طريق يوسف بن موسى : أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدق ؟ الخ وفي رواية أخرى من طريق محمد بن سلام : أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ الخ وحذفت نون الرفع من قوله : تصدقوني تخفيفا ؛ ويروى تصدقوني بإثباتها انظر

”فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد“ فلما أقتروا بصدقه خاطبهم بالإندار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه حجج من الكتاب والسنة لا جواب عنها

ولما انتهى إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم السقيفة أن الأنصار قالت : منا أمير ومنكم أمير ؛ قال علي : فهلا أحتججتهم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يُحسن إلى محسنهم ، ويُتجاوز عن مسيئتهم ؛ قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم .

ولما قال الحُباب بن المنذر في يوم السقيفة أيضا : أنا جَذِيلُهَا ^(١) المُحَكَّكُ ^(٢) وَعَذِيقُهَا ^(٣) المُرَجَّبُ ، إن شئتم كررناها جذعة ، منا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجري شيئا في الأنصاري ردّه عليه الأنصاري ، وإن عمل الأنصاري شيئا في المهاجري ردّه عليه المهاجري ؛ أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : على رسلك ، نحن المهاجرين أول الناس إسلاما ، وأوسطهم دارا ، وأكرم الناس حسبا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة ^(٤) في العرب ، وأمسهم رحما بالرسول صلى الله

(١) الجذيل : تصغير جذل بكسر الجيم قال يعقوب : عنى بالجزيل هنا الأصل من الشجرة تحنك به الإبل فتشقى به ، أى قد جربتني الأمور ، ولى رأى وعلم يشقى بهما كما تشقى هذه الإبل الحربى بهذا الجذيل ؛ وصغره على جهة المدح .

(٢) العذيق : تصغير تعظيم للعذق بالفتح ، وهو النخلة . والمرجب : من الترجيب ، وهو أن تدغم النخلة من جانب لئمنعها ذلك من السقوط ؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب هنا بمعنى التعظيم .

(٣) قال في اللسان : إذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة : أى أول ما يتبدأ فيها اه .

(٤) الرسل : التؤدة ، يقال : على رسلك ، أى اتند ، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا في الأصل وعبون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية ، يريد بهذه العبارة أنهم أكثر عددا وأغزر نسلا ؛ ويحتمل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أبناءهم في قبائل العرب أكثر من سواهم ، أى أن اتصالهم بالعرب أوثق ، وأشياءهم من القبائل أكثر .

عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا في القرآن عليكم ، وأنتم إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفء ، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم ، بخزاكم الله خيرا ، نحن
الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش . قالوا : قد
رضينا وسلمنا .

قال بعض اليهود لعلّ رضى الله عنه : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم ؛ فقال : انما
اختلفنا عليه لافيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلم لنبيكم : ﴿ أَجْعَلْ
لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ .

وقال حاطب بن أبى بلاتعة : لما بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك
الإسكندرية بكتابه ، أتيتُه وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب إلى صاحبك
يسألني أن أتبعه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعو الله فيسلط على البحر
فيغرقني فيكتفى مؤنتى ، ويأخذ ملكى ؟ قلت : ما منع عيسى عليه السلام إذ أخذته
اليهود فربطوه فى جبل ، وحلقوا وسط رأسه ، وجعواوا عليه إكليلا من شوك ، وحملوا
خشبته التى صلبوه عليها على عاتقه ، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة
ثم طعنوه حيا بحربة حتى مات — على زعمكم — فما منعه أن يدعو الله فينجيه
ويهلكهم ، ويكتفى مؤنتهم ، ويظهر هو وأصحابه عليهم ؟ وما منع يحيى بن
زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله فقتله وبعث برأسه اليها حتى وضع
بين يديها أن يسأل الله أن يحميه ويهلكهم ؟ فأقبل على جلسائه وقال : والله إنه
لحكيم ، وما تخرج الحكيم إلا من عند الحكماء .

(١) كذا فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ والذى فى الأصل : « فى » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « ما دفعتم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقضيه السياق .

(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق بخلافته قرابته أم غيرهم ؟ لافيه : أى لا فى صدق رسالته .

وخطب معاوية بن أبي سفيان ذات يوم وقال : إن الله تعالى يقول :
 ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ فما نلام نحن ؛ فقام
 إليه الأحنف بن قيس فقال له : يا معاوية ، إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله ،
 وإنما نلومك على ما آثرك الله [به] علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه .^{(١) (٢)}

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أحق قومك حين ملكوا عليهم امرأة !
 قال : قومك أشد حماقة إذ قالوا : «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ
 عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أفلا قالوا : اهدنا له .

وقيل : مرت امرأة من العرب يجلس من مجالس بني ثُمير ، فرماها جماعة منهم
 بأبصارهم ، فوقفتم ثم قالت : يا بني ثُمير ، لا أمر الله تعالى أطعتم ، ولا قول الشاعر
 سمعتم ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾
 وقال الشاعر :^(٣)

فَغَضَّ الطرفَ إنَّكَ من ثُميرٍ * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما اجتمع منهم بعد ذلك آثان في مجلس .

وقيل : استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من أهله على الطائف ، فظلم رجلا
 من أزدِ شُوءة ، فأتى الأزدي عتبة فقال :

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم * فقد أنا كم غريب الدار مظلوم

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٢) في الأصل : «عليك» ؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير ؛ والبيت من قصيدة له يهجو الراعي النخري انظر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة

ثم ذكر ظلامته ، فقال عُتْبَةُ : إِنِّي أَرَى أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُكَ تَدْرِي
كَمْ تَصَلَّى فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ فَقَالَ : إِنْ أَنْبَأْتُكَ ذَلِكَ تَجْعَلُ لِي عَلَيْكَ مَسْأَلَةً ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

إِنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ * ثُمَّ ثَلَاثٌ بَعْدَهَا أَرْبَعٌ

* ثُمَّ صَلَاةُ الْفَجْرِ لَا تُضَيِّعُ *

قَالَ : صَدَقْتَ فَاسْأَلْ ، فَقَالَ : كَمْ فَقَارَ ظَهْرِكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، قَالَ : أَفْتَحْكُمُ
بَيْنَ النَّاسِ وَأَنْتَ تَجْهَلُ هَذَا مِنْ نَفْسِكَ ؟ فَأَمَرَ بِرَدِّ ظِلَامَتِهِ عَلَيْهِ .

وَقَالَ الْجَحَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ الْيَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي : بَلَغَنِي أَنَّكَ تُشَبِّهُ إِبْلِيسَ
فِي قَبْحِ وَجْهِكَ ، قَالَ : وَمَا يَنْكَرُ الْأَمِيرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَيِّدُ الْإِنْسِ يُشَبِّهُ سَيِّدَ الْجَنِّ ؟ .

وَقَالَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَيْ قِتْلَةً شَتَّى ، قَالَ : اخْتَرْتُ فَإِنَّ
الْقَصَاصَ أَمَامَكَ .

وَحَكَى أَنَّ حُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزَى بَلَغَ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ ، سَتَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَسَتَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا وَلَّى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْمَدِينَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ حُوَيْطِبٌ ، فَقَالَ لَهُ
مَرْوَانُ : لَقَدْ تَأَخَّرَ إِسْلَامُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَتَّى سَبَقَكَ الْآحْدَاثُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ

(١) قَالَ الْمُبَرِّدُ : إِنَّهُ الْعَاصِي بِالْيَاءِ لَا يَجُوزُ حَذْفُهَا ، وَقَدْ لُجِجَتِ الْعَامَّةُ بِحَذْفِهَا . قَالَ النَّحَّاسُ : هَذَا مُخَالَفٌ
لِجَمِيعِ النَّحَاةِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَقْصُوصَةِ فَيَجُوزُ فِيهِ إِثْبَاتُ الْيَاءِ وَحَذْفُهَا مُسْتَدْرَكُ النَّاجِ مَادَّةُ « عَصَى » .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « حُوَيْطِبٌ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ .
وَهُوَ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدَّ ، يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى عَامِرِ بْنِ لُؤَى ؛ وَيَكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ؛ وَأَسْلَمَ
يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ . كَتَابُ الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ج ٥
ص ٣٣٥ طبع ليدن .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « تَعَنَّكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَطْمُوسَةٌ الْحُرُوفُ لِنَعْدَرِ قَرَاءَتِهَا ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢
ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية بمصر .

بالإسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاني ، ويقول : أتدع دين آبائك^(٢)
[لدين^(٣) محدث] ؟ ! أما أخبرك عثمان ما كان قد لقي من أبيك حين أسلم .

وقيل : لما ظفر الحجاج بأبن الأشعث وأصحابه أمر بضرب أعناقهم ، حتى
أتى على رجل من تميم ، فقال التميمي : أيها الأمير ، والله لئن أسأنا في الذنب ما أحسنت^(٥)
في العقوبة ، فقال الحجاج : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ^(٤)
الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا^(٦) الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾
فوالله ما مننت ولا فاديت ، فقال الحجاج : أف لهذه الحيف ، أما كان منهم من
يُحسن مثل هذا ؟ وأمر بإطلاق من بقي وعفا عنهم .

وحكى أن الرشيد سأل موسى بن جعفر فقال : لم قلتم إنا ذرية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وجوزتم للناس أن ينسبوكم إليه ويقولوا : يا [بني^(٨)] نبي الله وأنتم

(١) في الأصل : « به » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا ، وانظر العقد الفريد .

(٢) في الأصل : « امامك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية .

(٤) في الأصل : « أمرنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تدل عليه مقابلته بقوله :

ما أحسنت .

١٥

(٥) في الأصل : « لما أحسنت » واللام زيادة من الناسخ فان الجملة جواب للقسم السابق وليست
جوابا للشرط لتقدم القسم عليه ؛ وفي كتب القواعد أن جواب القسم اذا نفى « بما » لم يقترن باللام وما
ورد من اقترانه بها شاذ لا يقاس عليه ، ومنه قول الشاعر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الوري * لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي

انظر حاشية الصبان ج ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

١٥

(٦) يقال : فاديته مفاداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) في الأصل : « ان » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ ولا يستقيم الكلام بدونها ، ويرشد إليها قوله بعد : « وأنتم بنو » الخ .

بنو عليّ، وانما يُنسب الرجل إلى أبيه دون جدّه؛ فقراً^(١) : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
وَإِلْيَاسَ﴾ وليس لعيسى أب، وانما لحق بذرية الأنبياء من قبل أمّه؛ وكذلك ألحقنا
بذرية الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أمتنا فاطمة — عليها السلام — وأز يدك
يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ
تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولم يدع صلى الله عليه وسلم في مباهلة النصارى غير فاطمة^(٢)
والحسن والحسين، وهما الأبناء^(٣) .^(٤)

١٠ قيل : لما ولي يحيى بن أكرم قضاء البصرة استصغر الناس سنّه، فقال له
رجل : كم سنّ القاضي — أعمرّه الله — ؟ فقال : سنّ عتاب بن أسيد حين ولّاه^(٥)
رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء مكة . بفعل جوابه احتجاجاً .

قال يزيد بن عروة : لما مات كثير لم يتخلف بالمدينة امرأة ولا رجل عن
جنازته، وغلب النساء عليها، وجعلن يبكينه ويذكرن عزّة في نديهنّ له ؛ فقال

(١) في الأصل : «فقدا» ؛ وهو تحريف .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . ١٥

(٣) لم يذكر علياً رضي الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المباهلة انظر
روح المعاني عند تفسير الآية المتقدمة .

(٤) وهما الأبناء : أي وهما المقصودان بلفظ الأبناء في الآية وإذن فالخير مطابق للبند في التثنية .

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة إلى حنين استعمله على مكة يصلي بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة ،
— وهي سنة ثمان — وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامله على مكة الطبقات الكبير
لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ طبع ليدن . ٢٠

- أبو جعفر محمد بن علي الباقر : أفرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها ، فجعلنا ندفع النساء عنها ومحمد بن علي يقول : تتحين يا صويحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا بن رسول الله ، لقد صدقت ، إنا لصويحباته ، ولقد كنا له خيرا منكم له ، فقال أبو جعفر [لبعض مواليه] : احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا أنصرفت ؛ قال : فلما أنصرفت أتت بها وكأنها شررة النار ، فقال لها محمد بن علي : إيه ، أنت القائلة : إنكن ليوسف خير منا ؟ قالت : نعم ، تؤمنني غضبك يا بن رسول الله ؟ فقال : أنت آمنة من غضبي فأنبئيني ، فقالت : نحن دعونا إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعيم ، وأنتم معاشر الرجال ألتيموه في الحب وبعتموه بأبخس الأثمان ، وحبستموه في السجن ، فأينا كان عليه أحنى ، وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله درك ! لن تغالب امرأة إلا غلبت ، ثم قال لها : ألك بعل ؟ فقالت : لي من الرجال من أنا بعله ، فقال أبو جعفر : ما أصدقك ! مثلك من تملك الرجل (٥) ولا يملكها ، فلما أنصرفت قال رجل من القوم : هذه فلانة بنت معقب .

وقال المأمون ليحيى بن أكرم : من الذي يقول :

قاضي يرى الحد في الزنا ولا يرى على من يلوط من باس

- ١٥ (١) في الأصل : « أفرجوا لي » بالتخفيف والمثناة والحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .
 (٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأغاني ج ٨ ص ٣ طبع بولاق .
 (٣) في الأصل : « تتحين » ؛ وهو تحريف .
 (٤) إيه بكسر الهمزة ويجوز تنوينها : كلمة استزادة واستنطاق .
 (٥) في الأغاني ج ٨ ص ٣ طبع بولاق : « بعلها » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
 (٦) كذا في الأصل بلا تعيين لأسمها ؛ وذكر أبو الفرج أنها زينب .
 (٧) كذا في الأصل ؛ والذي في الأغاني : « معقب » ولعله معقيب بن أبي فاطمة الدوسي انظر ترجمته في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا .
- ٢٠

فقال : يا أمير المؤمنين ، هو الذي يقول ^(١) :

شاهدنا يرتشي وحاصكنا * يلوط والراس شر ما راس ^(٢)

لا أحسب الجور ينقضي وعلى ^(٣) الأتمة وال من آل عباس

قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [أبي] نعيم ، فأمر بنفيه إلى السند ^(٤) .

وحكى أن أهل الكوفة تظاهروا إلى المأمون من عامل ولاد عليهم ، فقال :

ما علمت في عدد عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية ولا أعود بالرفق عليهم منه ؛

فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أحد أولى بالعدل والإنصاف منك ،

فاذا كان الأمر على هذه الصفة فينبغي أن تعيد في ولايته بين أهل البلدان ،

وتسوى بنا أهل الأمصار ، حتى يلحق أهل كل بلد من عدله وإنصافه مثل الذي

لحقنا ، فاذا فعل أمير المؤمنين ذلك فلا يخصنا منه أكثر من ثلاث سنين ؛ فضحك

المأمون وعزل العامل عنهم .

ولنصل هذا الفصل بذكر هفوات الأمجاد وكبوات الحيات ^(٧) — وقد

رأيت بعض أهل الأدب ممن يستحق الأدب تعرض في هذا الفصل الى ذكر قصص

(١) في الأصل : « من هو » وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : « أميرنا » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضيها .

(٤) كذا في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني

ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذي في الأصل : « ابن نعيم » باسقاط لفظ أبي ؛ ولم نجده

فيما راجعناه من المظان .

(٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ؛ وقد فتحت في أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) في الأصل : « به » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد في الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من

صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخيل وانظر هذه الترجمة أيضا في المستطرف ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥

طبع بولاق .

الأنبياء — صلوات الله عليهم — كآدم ويوسف وداود وسليمان فكرهت ذلك منه ، ونزّهت كتابي عنه —

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فكانت هذه هفوة من المسلمين غفرها الله وعفا عنها .

وقال الأحنف بن قيس : الشريف من عدت سقطاته .

وقال النابغة :

ولست بمسّيقٍ أخا لا تلمّه * على شعثٍ أي الرجال المهذب^(١)
وقالوا : كل صارم ينبو ، وكل جواد يكبو .

١٠ وكان الأحنف بن قيس حليما سيّدا يضرب به المثل ، وقد عدت له سقطات فمن ذلك أنه نظر الى خيل لبني مازن فقال : هذه خيل ما أدركت بالثار ، ولا نقصت الأوتار ؛ فقال له سعيد بن القاسم المازني : أما يوم قتلت أباك فقد أدركت بثارها ؛ فقال الأحنف : لشيء ما قيل : ” دَعِ الكلام حذرَ الجواب “ — وكانت بنو مازن قتلت [أبا] الأحنف في الجاهلية .

١٥ ومنها أنه لما خرج مع مُصعب بن الزبير أرسل اليه مائة ألف درهم ، ولم يرسل الى زبراء جاريته بشيء ، بجاءت حتى وقفت بين يدي الأحنف ، ثم أرسلت عينيها ؛

(١) « لا تلمه على شعث » : أي لا تحتمله على ما فيه من زلل فتله وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره « اللسان » .

(٢) الأوتار جمع وتر بكسر الواو ، وهو الذحل ، أي الثأر ؛ يقول : ان هذه الخيل لم تقلل عدد الذحول والنارات التي لفرسانها عند غيرهم من القبائل .

٢٠

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضي اثباتها .

(٤) في الأصل : « ديرا » بالبدال والياء المثناة ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يُبيحك ؟ فقالت : ما لي لا أبكى عليك إذ لم تبك على نفسك ، أقعدت^(١)ها وتذر^(٢)مرو الروذ^(٣) تجمع بين غارين من المسلمين ؛ فقال : نصحتني^(٤) وآله في ديني إذ لم أتنبه لذلك ؛ ثم أمر^(٥) بفسطاطه فمّوض ، فبلغ ذلك مصعبا فقال : ويحكم ، من دهاني في الأحنف ؟ فقيل : زبراء ، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم ، فجاءت حتى أرخت عينيها بين يديه ؛ فقال : مالك يا زبراء ؟ قالت : عجبت لأحوالك في أهل البصرة^(٦) ، تزفهم كما تزف العروس ، حتى إذا ضربت بهم في نحور أعدائهم أردت أن تفت في أعضادهم ؛ قال : صدقت^(٧) والله ، يا غلام دع الفساطيط ، فأضطرب العسكر بجي^(٨)ء زبراء مرتين .

ومن سقطاته التي عُدت عليه أن عمرو بن الأهتم دس إليه رجلا ليسفّهه ، فقال له : يا أبا بحر ، من كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ، لم يسُدْهم ولم يتخلف عنهم ؛ فرجع إليه ثانية ، ففطن الأحنف إلى أنه من قبل عمرو ، فقال :

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو ؛ افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه ؛ وأكثر ما يقال فيه : مروذ كسفود التاج مادة (روذ) وهي على نهر عظيم ؛ والروذ بالفارسية : النهر ، فلهذا سميت بذلك (ياقوت) .

(٢) في الأصل : عاذين بالعين المهملة والذال ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ والعار : الجيش الكثير ، ومنه قول الأحنف في عبد الله بن الزبير عند انصرافه من وقعة الجمل : وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب . والضمير في قولها : « تجمع » يعود إلى مرو الروذ ؛ ومعنى العبارة أنها تلومه على فعوده مع مصعب بن الزبير وتركه المسير إلى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين يتحاربان — وهما جيش الخوارج وجيش المهلب — فهي تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه إلى مرو الروذ ويترك مصعبا .

(٣) في الأصل : « من » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) في الأصل : « يمتحنى » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر .

ما كان مال أبيك ؟ قال : كانت له صِرمَةٌ يَمْنَحُ منها وَيَقْرِى ، ولم يكن أهتم سَآلَا .

وقيل : إن الحسن سئل عن قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾^(٢) فقال : إن كان لَسَرِيًّا ، وإن كان لَكَرِيْمًا ، فقل له : من هو ؟ قال : المسيح ؛ فقال له حميد بن عبد الرحمن : أَعِدْ نظراً ، إنما السرى : الجَدول ؛ فَأَنعَمَ له^(٤) ، وقال : يا حميد ، غلبنا عليك الأمراء .

ومات ولدٌ طفلاً لسليمان بن علي ، فأثاه الناس بالبصرة يعزونه وفيهم شبيب بن شيبَةَ وبكر بن حبيب السهمي ؛ فقال شبيب : أليس يقال : إن الطفل لا يزال

- (١) في الأصل : « حرمة » بالحاء ؛ وهو تحريف . والصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .
- (٢) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ؛ وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحاج بن يوسف ؛ فقل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ؛ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ؛ وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه اه ملخصا من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق .

- (٣) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، ينتهي نسبه إلى زهرة بن كلاب ؛ وكنيته أبو عبد الرحمن ؛ روى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة والنعمان بن بشير ؛ وكان ثقة عالمًا كثير الحديث ؛ وتوفي بالمدينة سنة خمس وتسعين اه ملخصا من كتاب الطبقات الكبير لأبي سعد ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ طبع مدينة ليدن .

- (٤) أنعم له : أي قال له نعم . والذي في الأصل : « فنعم له » بدون ألف ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المراد هنا .

- (٥) كذا في الأصل ؛ والذي في العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق أن الذي مات ولده هو إسحاق بن عيسى ؛ وعبارته : ودخل شبيب بن شيبَةَ على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به .
- (٦) لم يرد هذا الاسم في العقد الفريد ضمن هذه الحكاية .

(١) محبِطًا بباب الجنة حتى يدخل أبوابه ؟ بجاء بطاء معجمة ؛ فقال له بكر بن
حبيب : محبِطًا ، بطاء مهملة ؛ فقال شبيب : إلا أن من بين لابتيها يعلم أن القول
كما أقول ؛ فقال بكر : وخطأ ثانٍ ، ما للبصرة لابتان ، أذهبت إليه بالمدينة ؟ .
(من بين لابتيها : أى حرتيها) .

٥ قيل : جلس محمد بن عبد الملك يوما للظالم ، وحضر في جملة الناس رجل زيه
زى الكتاب ، فجلس بإزاء محمد ، ومحمد ينقد الأمور وهو لا يتكلم ، ومحمد يتأمله ؛
فلما خف المجلس قال له : ما حاجتك ؟ قال : جئتك — أصلحك الله — متظلمًا ؛
قال : ممن ؟ قال : منك ، ضيعة لي في يد وكيلك يحمل إليك غلتها ، ويحول بيني
وبينها ؛ قال : فما تريد ؟ قال : تكتب بتسليمها إلي ؛ قال : هذا يحتاج فيه
إلى شهود وبينة وأشياء كثيرة ؛ فقال له الرجل : الشهود هم البينة ، وأشياء كثيرة
عني منك ؛ فاجل محمد وهاب الرجل ، وكتب له بما أراد .

(١) في الأصل : « محبِطًا » و « محبِطًا » بالناء والباء في كلتا الكلمتين ؛ وهو تصحيف صوابه
ما أثبتنا انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق ؛ ونص هذا الحديث في اللسان :
« ان السقط ليظل محبِطًا على باب الجنة » قال ابن الأثير في النهاية : المحبِط بالهمز وتركه : المتغضب
المستبطن للشيء .

(٢) في العقد الفريد : قال إسحاق بن عيسى .
(٣) كذا في الأصل ؛ وعبارة العقد الفريد : ألى يقال مثل هذا وما بين لابتيها أعلم مني بها ؟ .
ومعنى العبارتين مختلف ؛ وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة العقد : فقال له إسحاق : وهذه أيضا ، للبصرة لابتان بالكع ؟ .
(٥) إليه : أى إلى سليمان بن علي ؛ ويريد بهذه العبارة أن اللابتين إنما هما للمدينة لا للبصرة .
(٦) في الأصل : « الى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .
(٧) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٧٣ من هذا السفر .

ووصف ذو الرمة لعبد الملك بن مروان بالذكاء وحسن الشعر، فأمر بإحضاره،
فلما دخل عليه أنشده قصيدةً أفتتحها بقوله : ”ما بال عينك منها الماء ينسكب“
وكانت عينا عبد الملك تدمعان دائماً، فظن أنه عرّض به، فغضب وقال : مالك
ولهذا السؤال يا ابن اللّخناء ؟ وقطع إنشاده، وأمر بإخراجه .

ودخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته التي أوقها :
”الحمد لله الوهوب المجزل“^(٤) حتى انتهى إلى قوله يصف الشمس عند الغروب :
”وهي على الأفق كعين الأحول“، وأستدرك سقطاً لسانه ، وقطع إنشاده ، وعلم
أنها زلة ، لأن هشاماً كان أحول ، فقال له هشام كمل إنشادك ويلك وأتم البيت ،
وأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة .^(٥)

٢٥

- (١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر .
- (٢) لذا في الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة في محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ١١٨ طبع
جمعية المعارف بين ذى الرمة وهشام بن عبد الملك ؛ ويؤيد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت في سنة ست وثمانين
كما في كتب التاريخ وسن ذى الرمة إذ ذاك تسع سنين فإنه ولد في سنة ثمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته
في وفيات الأعيان ، فقد ذكر في وفاته ما نصه وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى ، ولما
حضرتة الوفاة قال : أنا ابن نصف آلهم ، أنا ابن أربعين سنة اهـ
- (٣) أبو النجم : هو المفضل ، وقيل : الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة
ينتهي نسبه إلى ربيعة بن عجل بن لحيم ؛ وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدمين ، وفي الطبقة الأولى منهم ،
وكان أبلغ في النعت من العجاج انظر الأغاني ج ٩ ص ٧٧ طبع بولاق ؛ وكانت وفاته في آخر دولة بني أمية
كما في معاهد التنصيص ص ١٢ طبع بولاق .
- (٤) كذا في الأصل والأغاني ج ٩ ص ٨٠ طبع بولاق ؛ وروايته في معاهد التنصيص ص ٩ طبع
- بولاق : ”الحمد لله العلي الأجلل“ وبعده : ”الواهب الفضل الوهوب المجزل“ .
- (٥) الوجء : اللكر ، يقال : وجأ عنقه وفي عنقه .
- (٦) يريد بالرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك ؛ وهي في غربي الرقة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف
البرية ؛ بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف ؛ ثم أورد ياقوت بعد هذا الكلام
ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالتقصير .

قال المدائني : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة أراد الوثوب بالشام في زمن المهدي ، فأخذ وحمل إليه ، فلما مثل بين يديه اعتذر ، فرأى منه المهدي نبلا وفضلا ، فعفا عنه وخلطه بجلسائه ، ثم قال له يوما : أنشدني شيئا من شعر زهير ، فأنشده قصيدته التي أولها : ^(١) «لَمِنَ الدِّيارِ بَقْنَةُ الحِجرِ» حتى أتى على آخرها ، فقال المهدي : مضى من يقول مثل هذا ، فقال السمرى : وذهب والله من يقال فيه مثله ، فاستشاط المهدي غضبا ، وأمر أن يجتر برجله ، وألا يؤذن له بعدها .
وانتختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشيء من الحكم .

ذكر شيء من الحكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الحكمة ضالة المؤمن» .
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لكل جواد كبوة ، ولكل حكيم هفوة ، ولكل نفس ملة ، فاطلبوا لها طرائف الحكمة .
ومن الحديث النبوي — صلوات الله تعالى وسلامه على قائله — مما يدخل في هذا الفصل قوله صلى الله عليه وسلم : «كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه عمله» . «خير الأمور أوسطها»^(٥) . «كل ميسر لما خُلق له» .

١٥ (١) قنة الحجر : جبل ليس بالشاخ بخذاء الحجر بالحجر : قرية بجذائها قرية يقال لها : الرحضة للأنصار وبنو سليم من نجد (ياقوت) وقال في مستدرك الناج مادة قنن : قنة الحجر : قرب معدن بنو سليم .

(٢) في الأصل : «يقول» بالبناء للفاعل ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) استشاط : التهب .

(٤) في الأصل : «ملة» ؛ والميم زيادة من النسخ .

(٥) رواه ابن الأثير في النهاية : «أوسطها» بصيغة الجمع .

« زُرْ غِبًّا تَزِدَّ حَبًّا » . « الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ قَرِينِ السَّوِّءِ » . « الْبَرَكَةُ فِي الْحَرَكَةِ » .
 « صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » . « مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . « مَا قَلَّ وَكَفَى
 خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى » . « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » .
 وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

وقال علي بن أبي طالب : استغني عمن شئت فانت نظيرده ، واحتج إلى من
 شئت فانت أسيرده ، وأفضل على من شئت فانت أميرده .^(١)

قال بعض الشعراء :

وإذا ما الرجاء أسقط بين الذ * س فالناس كلهم أكفاء

وقال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع : لا يعرف الحليم
 إلا وقت الغضب ، ولا الشجاع إلا في الحرب إذا لاقى الأقران ، ولا أخوك
 إلا عند حاجتك .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أحبكم إلينا قبل أن نختبركم أحسنكم^(٢)
 صمتا ، فإذا تكلم فأبينكم منطلقا ، فإذا آخبرناكم فأحسنكم فعلا .
 وفي رواية : أحبكم إلينا أحسنكم أسما ، فإذا رأيناكم فأجملكم منظرا ، فإذا
 آخبرناكم فأحسنكم مخبرا .

وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال في خطبته : وأعجب ما في الإنسان
 قلبه ، له أمداد^(٣) من الحكمة ، وأضداد من خلافها ، فإذا سئح له الرجاء هاج به

(١) المشهور في روايته « تكن » في المواضع الثلاثة مكان قوله : « فانت » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا

الروايتين .

(٢) في الأصل : « نحرکم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : فإذا آخبرناكم .

(٣) الأمداد : الأعوان ، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمعُ أهلكهُ الحرص ، وإن ملَكَ اليأسُ قتلَهُ الأسف ،
وإن عَرَضَ له الغضبُ أَشَدَّ به الغيظ ، وإن أَسْعِدَ بالرضا نَسِيَ التحفُّظ ، وإن
ناله الخوفُ شغله الحزن ، وإن أَصابته مصيبةٌ قصمه الجزع ، وإن أَفاد مالا أَطغاه
الغنى ، وإن عَضَّتْه فاقةٌ شغله البلاء ، وإن جَهَدَه الجوعُ أَقْعَدَه الضعف ، فكلُّ
تقصيرٍ به مُضِرٌّ ، وكلُّ إفراطٍ له مفسِدٌ .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : فَرَضَ الله تعالى الإيمانَ تطهيراً من الشرك ،
والصَّلَاةَ تنزيهاً عن الكبر ، والزكاةَ سبباً للرزق ، والصيامَ ابتلاءً لإخلاص الخلق ،
وَأَلَجَّ تقويةً للبدن ، والجهادَ عزّاً للإسلام ، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعوام ، والنهيَ
عن المنكر ردّاً للسفهاء ، وصِلَةَ الرحمِ مناةً للعدد ، والقصاصَ حقناً للدماء ، وإقامةَ
الحدودِ إعظاماً للمحارم ، وتركَ شربِ الخمرِ تحصيناً للعقل ، ومجانبةَ السرقةِ إيجاداً
للعفة ، وتركَ الزنى تصحيحاً للنسب ، وتركَ اللواطِ تكثيراً للنسل ، والشهاداتِ
استظهاراً على المجاحدات ، وتركَ الكذبِ تشريفاً للصدق ، والسلامَ أماناً من المخاوف ،
والإمامةَ نظاماً للأمة ، والطاعةَ تعظيماً للإمامة .

وقال فرفور يوس : لو تَمَيَّزَت الأشياءُ بأشكالها لكان الكذبُ مع الجبن ،
والصدقُ مع الشجاعة ، والراحةُ مع اليأس ، والتعبُ مع الطمع ، والحرمانُ مع الحرص ،
والعزُّ مع القناعة ، والأمنُ مع العفاف ، والسلامةُ مع الوحدة .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصباح) .

(٢) فى الأصل : « إيجازاً » بالزاي ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) فى الأصل : « الأمانة » بالنون فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) كذا فى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٦٥ طبع ليبسك ؛ والذي فى الأصل :

« فرفوريس » . وفرفور يوس هذا من أهل مدينة صور من ساحل الشام ؛ وكان بعد زمن جالينوس ؛
وله النباهة فى علم الفلسفة والتقدم فى تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) فى الأصل : « والأمر » بالراء ؛ وهو تحريف .

وقال آخر : الشكرُ محتاجٌ إلى القبول ، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب ، والسرورُ محتاجٌ إلى الأمن^(١) ، والقربةُ محتاجةٌ إلى المودة ، والمعرفةُ محتاجةٌ إلى التجارب ، والشرفُ محتاجٌ إلى التواضع ، والنَّجدةُ محتاجةٌ إلى الجِدِّ .

وقال حكيم يوناني : السعاداتُ كلها في سبعة أشياء : حُسْنُ الصورة ، وصحةُ الجسم ، وطولُ العمر ، وكثرةُ العلم ، وسعةُ ذات اليد ، وطيبُ الذكر ، والتمكُّنُ من الصديق والعدو .

وقال بعض الأدباء — وقد سئل عن العيش — فقال : في الغنى فإنني رأيتُ الفقير لا يلتذ بعيش أبدا ، فقال له السائل : زدني ، قال : في الصحة ، فإنني رأيت المريض لا يلتذ بعيش أبدا ، فقال له : زدني ، قال : في الأمن ، فإنني رأيت الخائف لا يلتذ بعيش أبدا ، قال : زدني ، قال : لا أجد مزيدا . وهذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أصبح آمنا في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

وقال فيلسوف : كثيرٌ من الأمور لا تصلحُ إلا بقرنائها : لا ينفع العلمُ بغير ورع ، ولا الحفظُ بغير عقل ، ولا الجمالُ بغير حلاوة ، ولا الحسبُ بغير أدب ، ولا السرورُ بغير أمن ، ولا الغنى بغير كفاية ، ولا الاجتهادُ بغير توفيق .

(١) في الأصل : « الأمر » بالراء ، وهو تحريف .

(٢) السرب بكسر السين : النفس .

(٣) كذا في الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٢ طبع

جمعية المعارف بمصر ، والذي في الأصل : « له » بدل قوله : « عنده » ؛ ولم تقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من المظان .

وقالوا : المنظرُ يحتاج إلى القبول ، والحسبُ إلى الأدب ، والسرورُ إلى الأمن ،
والقُربى إلى المودة ، والمعرفةُ إلى التجارب ، والشرفُ إلى التواضع ، والنجدةُ
إلى الجِدِّ^(١) .

وقال عليُّ رضي الله عنه : يغلب المقدر على التقدير ، حتى تكون الآفةُ
في التدبير .

معين^{جروب} التاريخ
لأهل التاريخ

أخذه ابنُ الرومي فقال :

غَطَّ الطيبُ على غلطةٍ مُورِدٍ * عَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الإِصْدَارِ^(٢)
والناس يلحون الطيبَ وإِنَّمَا * غَطَّ الطيبُ إصَابَةَ الْمُقْدَرِ
وقال : إذا آنقضت أمدَه ، كان أهلك في العُدَّة .

وقال القدماء : لا خيرَ في القول إلا مع الفعل ، ولا في المنظرِ إلا مع المخبر ،
ولا في المسالِ إلا مع الجود ، ولا في الصديق إلا مع الوفاء ، ولا في الفقه إلا مع
الورع ، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية ، ولا في الحياة إلا مع الصحة ، ولا
في السرورِ إلا مع الأمن .

قال بعض بني تميم : حضرتُ مجلسَ الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون ،
حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الكرمَ ، مَنعَ الحريمَ ، ما أقربَ النعمة من أهل
البغي ! لا خيرَ في لذة تُعقِبَ ندمًا ، إن يهلكَ من قصَدَ ، وإن يفتقرَ من زهدَ ، رب
هزل قد عاد جدًّا ، من أمن الزمانَ خانَه ، ومن تعظَّم عليه أهانه ، دعوا المزاح فإنه

(١) تقدّم هذا الكلام في صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير في عباراته .

(٢) كذا في وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التي بين أيدينا ، والذي

في الأصل : « مجانيه » ؛ وهو تحريف .

- (١) يورث الضغائن ؛ وخير القول ما صدقه الفعل ؛ احتملوا من أدل عليكم ، وأقبلوا
عذر من اعتذر إليكم ؛ أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك ؛ أنصف من
نفسك قبل أن ينتصف منك ؛ وإياكم ومشاورة النساء ؛ وأعلم أن كفر النعمة
لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ؛ ومن الكرم ، الوفاء بالذم ؛ ما أقبح القطيعة بعد الصلة ؛
والخفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الود ؛ لا تكونن على الإساءة أقوى منك على
الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل ؛ وأعلم أن لك من دنياك ،
ما أصاحت به مشواك ، فأنفق في حق ولا تكونن خازنا لغيرك ؛ وإذا كان الغدر
موجودا في الناس فالثقة بكل أحد عجز ؛ اعرف الحق لمن عرفه لك ؛ وأعلم أن
قطيعة الجاهل ، تعدل صلة العاقل . قال : فما رأيت كلاما أبلغ منه ، فقممت
وقد حفظته . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

- ومن كلام علي رضي الله عنه : من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب
غيره ؛ ومن سل سيف البغي قتل به ؛ ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ؛ ومن هتك
حجاب أخيه أنهت عورات بيته ؛ ومن نسي خطيئته استعظم خطيئته غيره ،
ومن تكبر على الناس زل ؛ ومن سفه على الناس شتم ؛ ومن خالط العلماء وقّر ،
ومن خالط الأندال حقر ؛ ومن أكثر من شيء عرّف به ؛ والسعيد من وعظ
بغيره ؛ وليس مع قطيعة الرحم ثقي ، ولا مع الفجور غني ؛ رأس العلم الرفق ،
وأفته الحرق ؛ كثرة الزيارة تورث الملالة .

وقال موسى بن جعفر : ما تساب آثان إلا أنحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل .

(١) يقال : أرت النار تأريثا ، إذا أوقدها ؛ وما هنا مستعار منه .

(٢) في الأصل : « بنته » بالنون ؛ وهو تصحيف .

(٣) في الأصل : « ما أشب » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر : ما تساب آثنان إلا غلب الأُمهُما .

وقال الحسن بن علي بن موسى الرضى^(١) : اعلم أن للحباء مقدارا فإن زاد عليه فهو سرف ، وللحزم مقدارا فإن زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقدارا فإن زاد عليه فهو بخل .

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت من أعقل النساء — :
إني أريد ألج فأوصيني ، قالت : أوجز فأبلغ ، أم أطيل فأحكم ؟ فقلت : ماشئت ،
فقلت : جد تسد ، وأصبر تفز ، قالت : أيضا ، قالت : لا تبعد غضبك حلمك ،
ولا هواك علمك ، وق دينك بدنياك ، وق عرضك بعرضك ، وتفضل تخدم ، وأحلم
تقدم ، قلت : فبمن أستعين ؟ قالت : بالله ، قلت : من الناس ، قالت : الجلد
النشط ، والصالح الأمين ، قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،
أو الأديب الأريب ، قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ، أو المؤاخى^(٢)
المتكرم ، ثم قالت : يابنساء ، إنك تفد إلى ملك الملوك فأنظر كيف يكون مقامك
بين يديه .

وقال حكيم : من الذى بلغ جسيما فلم يبطر ، وأتبع أطوى فلم يعطب ، وجاور
النساء فلم يفتتن ، وطلب إلى اللئام فلم يهن ، وواصل الأشرار فلم يندم ، وصحب
السلطان فدامت سلامته .

(١) الحباء بالكسر : العطاء .

(٢) فى الأصل : « المداحى » بالدال والجيم ، وهو تحريف مفسد للمعنى ، فإن المداجاة : المداراة
ومساةرة العداوة .

(٣) فى الأصل : « ينظر » ، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى .

وقال : الاعتبارُ يفيدك الرشاد ، وكفالك أدبا لنفسك ما كرهت من غيرك .
 وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ في السفر ، ومونسٌ في الوحدة ،
 وجمالٌ في المحفل ، وسببٌ إلى طلب الحاجة .

وقال بعضهم : احذر كلَّ الحذر من أن يخذلك الشيطان فيمثل لك التواني
 في صورة التوكل ، ويورثك الهوينى بالإحالة على القدر ، فإن الله تعالى أمر بالتوكل
 عند انقطاع الحيل ، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار ، فقال تعالى : « خذُوا حِذْرَكُمْ »
 « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » .

وقال آخر : لا تجاهد الطالب جهاد الغالب ، ولا تتكل على القدر أتكال
 المستسلم ، فإن ابتغاء الفضل من السنة ، والإجمال في الطالب من العفة ، وليست
 العفة بدافعة رزقا ، ولا الحرص بجالب فضلا .

وقالوا : عشرُ خصالٍ في عشرة أصناف أقبحُ منها في غيرهم : الضيقُ
 في الملوك ، والغدرُ في الأشراف ، والكذبُ في القضاة ، والخديعةُ في العلماء ،
 والغضبُ في الأبرار ، والحرصُ في الأغنياء ، والسفهُ في الشيوخ ، والمرضُ في الأطباء ،
 والزهوُ في الفقراء ، والفجورُ في القراء .

- ١٥ (١) في الأصل : « يعتدك » بالعين والياء ؛ وهو تحريف .
 (٢) في الأصل : « يدعك » بسقوط الخاء ؛ والتصويب عن محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ٣٠٥
 طبع جمعية المعارف بمصر .
 (٣) كذا في محاضرات الأدباء ؛ والذي في الأصل : « يريك تهوينا » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .
 (٤) في الأصل : « بالفضل » ؛ والباء زيادة من الناسخ .
 (٥) لعله : « في الأمراء » .
 ٢٠ (٦) في الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .
 (٧) المراد بالقراء : حفظة القرآن والتالين له .

وقالوا : ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : ^(١) الآتى طعاما لم يدع إليه ،
والتأمر على رب البيت في بيته ، ^(٢) وطالب المعروف من غير أهله ، وراج من
الفضل من اللئام ، والداخل بين اثنين لم يدخله ، والمستخف بالسلطان ، والجالس
مجلسا ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه .

ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قول الأضبط بن قريع :

لكل ضيق من الهموم سعة * والميسر والصبح لا بقاء معه
فصل حبال البعيد إن وصل * الـ جبل وأقص القريب إن قطعه
وخذ من الدهر ما أتاك به * من قتر عينا بعيشه نفعه
لا تحقرن الفقير علك أن * ^(٣) تركع يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله * ^(٤) ويأكل المال غير من جمعه
وقال أحيحة :

فما يدرى الفقير متى غناه * ولا يدرى الغنى متى يعيل ^(٥)
ولا تدرى إذا أزمعت أمرا * بأى الأرض يأتيك المقييل

(١) فى الأصل : « هينوا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « المعروء » بالهاء ؛ وهو تحريف .

(٣) فى اللسان مادة « ركع » ولا تهن الخ . وقال : أراد « ولا تهنين » فجعل النون ألفا ساكنة

فأستقبلها ساكن آخر فسقطت .

(٤) يقال : ركع الرجل ، إذا أفقر بعد غنى وأخففت حاله .

(٥) يعيل : يفتقر .

(١) وقال الصَّلَتَانِ العَبْدَى :

أشَاب الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ * رَكَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعِشَى
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ^(٣) يَوْمَهَا * أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتَى
نُزُوحٍ وَنُغْدٍ لِحَاجَاتِنَا * وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقِضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ * وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

وقال المتنبي :

ذَكَرُ الْفَتَى عُمْرَهُ الثَّانِي وَحَاجَّتُهُ * مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْعِيشِ أَشْغَالُ

وقد جُمِعَ مِنْ شَعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ فِي ذَلِكَ مَا وَافَقَ كَلَامَ أَرِسْطُوطَالِيَسَ
فِي الْحِكْمَةِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَرِسْطُوطَالِيَسَ : إِذَا كَانَتِ الشَّهْوَةُ فَوْقَ الْقُدْرَةِ كَانَ هَلَاكُ
الْجَسْمِ دُونَ بُلُوغِ الشَّهْوَةِ .^(٤)

قال المتنبي :

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا * تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وقال أَرِسْطُوطَالِيَسَ : قَدْ يَفْسِدُ الْعَضْوُ لِصَلَاحِ أَعْضَاءٍ ، كَالْكَيِّ وَالْفَصْدِ
الَّذِينَ يُفْسِدَانِ الْأَعْضَاءَ لِصَلَاحِ غَيْرِهَا . نَقَلَهُ الْمَتَنَّبِيُّ إِلَى شَعْرِهِ فَقَالَ :

١٥ (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ص ٣٥ طَبْعُ بُولَاقَ ؛ وَنَقَلَ صَاحِبُ مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ أَيْضًا
عَنِ الْجَاحِظِ فِي كِتَابِ الْخَيَوَانِ نِسْبَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى الصَّلَتَانِ السَّعْدِيِّ ، وَقَالَ — أَيْ الْجَاحِظُ — :
هُوَ غَيْرُ الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيِّ .

(٢) كَذَا فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « لَوَاءٌ » وَلَعَلَّهُ مَقْلُوبٌ « وَلاَءٌ » بِتَقْدِيمِ الْوَاوِ
الْمَكْسُورَةِ ، وَهُوَ الْمَتَابَعَةُ ، مُصَدَّرٌ إِلَى الشَّيْءِ : أَيْ تَابَعَهُ ، فَإِنَّ الْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

٢٠ (٣) فِي الْأَصْلِ : « هَرَمَتْ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفُ صَوَابِهِ مَا اثْبَتْنَا كَمَا فِي اللِّسَانِ ؛ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا مَقَابَلَتُهُ
بِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْبَيْتِ : « يَوْمٌ فَتَى » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « اخْهَمَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

لعلَّ عَتَبَكَ محمودٌ عواقِبُهُ * فربَّما صَحَّتْ الأجسادُ بِالْعِلَلِ

وقال أرسطوطاليس : الظلم من طبع النفوس ، وإنما يُصَدِّها عن ذلك إحدى
علتين : إما علة دينية خوف معاد ، أو علة سياسية خوف سيف
قال المتنبي :

والظلمُ من شِمْ النفوس فإن تَجِدْ * ذا عَفْيةٍ فلعلَّةٍ لا يَظْلِمُ

هذا ما اتفق إirاده في هذا الباب من أمر كتابة الإنشاء ، وكلام الصحابة
والخلفاء ، وذوى الفصاحة من الأمراء ، وبلاغات الخطباء والفصحاء ، ورسائل
الفضلاء والبلغاء ، وفقر الكتاب والأدباء ، وحكم أوائل الحكماء ، وهو مما يضطر
الكتاب إليه ، ويعتمد في الاطلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ، وهى
إشارات إلى مجموعها ، ورشقات من ينبوعها ، وباب يتوصل منه إلى رحابها ،
وسلم يرتقى عليه إلى هضابها ، ومسيل عذب يتصل بعبابها ، فقد وصح لك أيها الطالب
السبيل ، وظهر لك أيها الراغب قيام الدليل ، وفيما أوردناه كفاية لمن تمسك بهذه
الصناعة ورغب فيها ، وغنية لمن تأمل مقاصدها وتدبر معانيها ، فلنذكر كتابة الديوان
والتصرف .

ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك



قد ذكرنا في أول هذا الباب في السفر السابع من هذا الكتاب اشتقاق الكتابة ،
ولم نسمي ذلك ، وذكرنا أيضا أصلها وشرفها وفوائدها ، فلا حاجة إلى إعادته
في هذا الموضع ، فلنذكر الآن ما يتعلق بقلم الديوان والتصرف والحساب ، وإن
كما قد مناذر كتاب الإنشاء لما هم بصدد من الصدارة والوجاهة ، والنبالة والنباهة ،
والفصاحة والصباحة ، والزاهرة والسماحة ، والأمانة والديانة ، والسيادة والصيانة ،

وَلِمَا تَصَدَّوْا لَهُ مِنْ كَيْتِمِ أَسْرَارِ الدُّوَلِ ، وَتَرَدَّدُوا بِهِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَوَاخِرِ وَمَاثِرِ الْأَوَّلِ ،
وَالْتَحَفُوا بِهِ مِنْ مَطَارِفِ الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ ، وَتَحَلَّوْا بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْضَلِ
وَالْأَكْرَمِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ أَجْمَعِ ، وَأَيَادِيهِمْ الَّتِي وَضَعَتْ غُرَرًا فِي لِيَالِي
الْخَطُوبِ الْمَدْلُومَةِ ، فَكُتِّبَ الْحِسَابُ أَكْثَرَ تَحْقِيقًا ، وَأَقْرَبُ إِلَى ضَبْطِ الْأَمْوَالِ طَرِيقًا ،
وَأَدْلُ بَرَهَانًا ، وَأَوْضَحُ بَيَانًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
وَلِيَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ
لِكُتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ، أَيْ كَاتِبٌ حَاسِبٌ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : « اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سَلِيمٍ يُدْعَى ابْنَ اللَّتْبِيَةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسِبَهُ »
فَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاسِبٌ ، وَبِكُتَابِ الْحِسَابِ تُحْفَظُ الْأَمْوَالُ
وَتُضَبَّطُ الْغُلَالُ ، وَتُحَدَّدُ قَوَانِينُ الْبِلَادِ ، وَتُمَيَّزُ الطَّوَارِفُ مِنَ التَّلَادِ ، لَمْ يَفْخَرْ كُتَّابُ
الْإِنْشَاءِ بِمَنْقَبَةٍ إِلَّا نَفَخُوا بِمَنَاقِبِ ، وَلَا سَمَّوْا إِلَى مَرْتَبَةٍ إِلَّا وَقَدَرُوا إِلَى مَرَاتِبِ ،
وَلَا تَمَيَّزُوا بِرِسَالَةٍ إِلَّا وَلَهْوُلاءَ فِيهَا الْقِدْحُ الْمَعْلَى ، وَلَا نُسَبَّوْا إِلَى نِبَاهَةٍ إِلَّا وَمَحَلُّهُمْ فِيهَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِالسَّيْنِ ، وَهُوَ أَفْصَحُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : « الْأَزْدُ » بِالزَّيِّ ، وَهُوَ أَبُو حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ ،
وَمِنْ أَوْلَادِهِ الْأَنْصَارُ كُلُّهُمْ .

(٢) هَذَا الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةٌ الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا هَكَذَا نَقْلًا عَنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ١
ص ٣٨٢ طَبْعَ لَيْدِنَ وَالتَّنْبِيَةِ : أَقْبَى ، نِسْبَةً إِلَى بَنِي لَتْبٍ بِالضَّمِّ ، وَهُمْ حَيٌّ مِنَ الْأَزْدِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْتَحُ اللَّامَ
وَالنَّاءَ الْمَثَنَاءَ ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : « الْأَتْبِيَةِ » بِالْهَمْزِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِضَمِّ فَتْحٍ ، وَأَسْمَى ابْنَ اللَّتْبِيَةِ
هَذَا : عَبْدُ اللَّهِ أَنْظَرَ شَرْحَ الْقَامُوسِ مَادَّةَ (لَتْب) .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ فِيهَا تَحْرِيفًا فَإِنْ رَسَائِلُ الْمُنَشِّئِينَ لَيْسَ لِكُتَّابِ
التَّصْرِيفِ فِيهَا الْقِدْحُ الْمَعْنَى كَمَا قَالَ إِلَّا إِذَا كَانُوا مُنَشِّئِينَ أَيْضًا ، وَلَعَلَّ صَوَابَهُ « بِنِبَالَةٍ » وَيَرْجَحُهُ حَصُولُ
الْجُنَاسِ بِهَا مَعَ قَوْلِهِ فِي الْخِلَافَةِ الْآتِيَةِ « نِبَاهَةٌ » وَالْمُؤَلَّفُ يَمِيلُ إِلَى هَذَا النُّوعِ فِي كِتَابَتِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ جُمِعَ
بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ فِي صَفْحَةِ ١٩١ س ١٩٠ .

المحلُّ الأرفعُ ومقامُهمُ المَقامُ الأعلى ؛ ولا آتصفوا بكتانٍ سرٍّ إلا آتصف هؤلاء بمثله ،
ولا شُهِروا ببذلٍ برٍّ إلا وهؤلاء هم أعيانُ أهله ؛ ثم آختَصَّ كُتَّابُ التَّصْرِيفِ بِأُمُورٍ
مُنِيعٍ أولئك منها ، وأُطِيقَتْ أَقْلَامُهُمْ فِي أَقْلَامِ حُسَيْتٍ ^(١) أَقْلَامُ أَوْلَئِكَ عَنْهَا ؛ وَارْتَقَوْا
إِلَى قُلُلِ مَرَاتِبِ كَبَتٍ جِيَادُهُمْ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهَا ، وَتَسَنَّمُوا ذَرَا مَنَاصِبَ لَا تَمْتَدُّ
الْأَمَالُ ^(٢) إِلَى أَكْثَرِ مِنْ نَهَايَتِهَا ؛ وَلَسْنَا نَقِيمُهُمْ فِي مَحَلِّ الْمَنَظَرِ ، وَلَا نَوْقِفُهُمْ فِي مَوْقِفِ
الْمَكَاثِرَةِ وَالْمَفَاخِرِ ؛ بَلْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ فَضْلٌ لَا يَنْكَرُ ، وَفَضَائِلُ هِيَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَمَلَى
وَتَسْطَرَّ ؛ وَلَمَّا آتَيْتُ فِي كِتَابِي هَذَا إِلَى بَابِ الْكِتَابَةِ ، أَرَدْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَنْ
ذِكْرِ كِتَابَةِ التَّصْرِيفِ صَفْحًا ، وَلَا أُعِيرَهَا مِنَ النَّظَرِ لِمَحَا ، وَأَقْتَصِرَ عَلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ جَرِيًا
عَلَى عَادَةٍ مِنْ صَنَّفَ ، وَقَاعِدَةٍ مِنْ أَلْفَ ؛ فَسَأَلَنِي بَعْضُ إِخْوَانِي أَنْ أَضَعُ فِي ذَلِكَ
مُلَخَّصًا يَعْلَمُ مِنْهُ الْمُبَاشِرُ كَيْفَ الْمُبَاشَرَةِ ، وَيَسْتَضِيءُ بِهِ فِيمَا يَسْتَرْفَعُهُ ^(٣) أَوْ يَرْفَعُهُ
مِنْ ضَرِيئَةٍ وَمُؤَافَرَةٍ ^(٤) ؛ فَأَوْرَدْتُ ^(٥) هَذِهِ النَّبْذَةَ ^(٦) إِزَالَةَ لِسْوَالِهِ ، وَتَحْقِيقَ لَأَمَالِهِ ؛
وَذَكَرْتُ مِنْ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ مَا هُوَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعِهَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِهَا ، وَشَذْرَةٌ
مِنْ عَقُودِ دَرِّهَا ؛ مِمَّا لَا بَدَّ لِلْمُبْتَدِي مِنَ الْإِحَاطَةِ بِعِلْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ رِسْمِهِ ؛
وَحِينَ وَضَعْتُ مَا وَضَعْتُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَمْ أَقِفْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى كِتَابٍ فِي فَنِّهَا

١٥ (١) المراد بالأقلام هنا : أنواع كتابة الديوان كدهو المصطلح عليه عند نقّاب الدواوين في زماننا ؛
وبالتى قبلها والتى بعدها : جمع القلم بالمعنى المعروف .

(٢) في الأصل : « الأمثال » ؛ والناء زيادة من النسخ .

(٣) يسترفعه : أى يطلب من غيره أن يرفعه إليه . ويرفعه : أى يرفعه هو إلى غيره .

(٤) في الأصل : « موامره » بالميم ؛ وهو تحريف .

٢٠ (٥) في الأصل : « فأوردت » بسقوط الواو ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٦) في الأصل : « إرادة » وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) في الأصل : « فبا » ؛ وهو تحريف .

- مصنّف ، ولا انتهت إلى فصل مترجم بها أو مؤلف ؛ ولا لمحت في ذلك إشاره ،
 ولا سمعت من لخص فيها عبارده ؛ ولا من تفوه فيها ببنت شفة ولسان ، ولا من
 صرف بذنان بلاغته في ميادينها العنان ؛ حتى أقتدى بمثاله ، وأنسج على منواله ؛
 وأسلك طريقه في الإجاده ، وأخذو حذوه في الإفاده ؛ بل وجدتها مقفلة الباب ،
 مسبلة الحجاب ؛ قد آكتفى كل كاتب فيها بعلمه ، واقتصر على حسب فهمه ؛
 فراجعت فيها الفكره ، وعطفت بالكرة بعد الفرد ؛ ثم قرعت بابها ففتّح بعد غلقه ،
 ورفعت حجابها فتمتق بعد رتقه ؛ وامتطيت صهوتها فلانت بعد جماحها ، وارتقيت
 ذروتها فظهر للفكرة طريق نجاحها ؛ فشرعت عند ذلك في تأليف ما وضعته ،
 وترصيف ما صنفته ؛ وبدأت بأشتقاق تسمية الديوان ، ولم سمي ديوانا ، ثم ذكرت
 ما تفرع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات ، وأقول ديوان وضع في الإسلام ،
 وسبب وضعه ، ثم ذكرت ما يحتاج إليه كل مباشر من كيفية المباشرة وأوضاعها ،
 وما استقرت عليه القواعد العرفية ، والقوانين الاصطلاحية ، وما يرفعه كل مباشر
 ويسترفعه ، والأوضاع الحسابية ، على ما ستقف إن شاء الله تعالى عليه ، وترجع فيما
 أشكل من أمورها إليه .

- (١) في الأصل : « لنظ » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . ومترجم بفتح الجيم : أى مسمى .
 (٢) في الأصل : « بنان » ؛ وهو تصحيف .
 (٣) في الأصل : « وأبيع » ، وهو تحريف .
 (٤) الغلق : مصدر علقت الباب بدون ألف ، وهى لغة قلبية قال الشاعر : « ولا أقول لباب الدار مغلق » .
 (٥) في الأصل : « صهرتها » بالراء ؛ وهو تحريف .
 (٦) لعله : « وصفته » إذ به مع قوله : « صنفته » في الجملة الآتية يستقيم السجع الذى التزمه المؤلف .
 (٧) الترصيف : التجميع وتنضيد ، يقال : رصف الحجارة ورصفها بتخفيف الصاد وتشديد ها .
 (٨) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

ذكر اشتقاق تسمية الديوان ولم سمي ديوانا ومن سماه بذلك

قد اختلف في تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أن كسرى
أطلع ذات يوم على كتاب ديوانه ، فراحهم يحسبون مع أنفسهم ، فقال : ديوانه :
أى مجانين ؛ فسمى موضعهم بهذا الاسم ، ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال
تخفيفا للاسم ، فقليل : ديوان . والثاني أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ،
فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ، ووقوفهم على الجلى والخفى ، وجمعهم لما
شد وتفرق ، وأطاعهم على ما قرب وبعد ، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم ، فقليل :
ديوان . هذا ما قيل في تسميته على ما حكاه الماوردي في الأحكام السلطانية ؛
والله أعلم .

ذكر ما تفرع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائف : أصول وفروع ، وهى : مباشرة الجيوش ،
ومباشرة الخزانة ، وبيت المال ، وأهراء الغلال ، ومباشرة البيوت ، ومباشرة
أهلالي ، ومباشرة الجوالى ، ومباشرة الخراجى ، ومباشرة الأقصاب والمعاصر
ومطابخ السكر ، ويحتاج مباشر كل وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعد يأتى
ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ ولنبدأ بذكر مباشرة الجيوش .

(١) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٩٠ بالباء ؛ ولعله « فى الأمور » ؛ إذ لم نجد فيما لدينا
من كتب اللغة أنه يقال : حذقت بالشئ ، ؛ والذي وقفنا عليه أنه يقال : حذقته ، وحذقت فيه .

(٢) فى الأصل : « شدد » بدالين مهملين ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « تسميتهم » والميم زيادة من النسخ ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هرى » بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء ، وهو بيت كبير تجمع فيه الغلال
التي للسلطان ؛ قال الأزهري : لا أدري أعربى هو أم دخيل .

(٥) سياتى شرح أهلالى والجوالى عند الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

ذكر مباشرة ديوان آلخيش وسبب وضع الدواوين

وأول من وضعها في الإسلام

- (١) وديوان آلخيش هو أول ديوان وُضع في الإسلام، وضعه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته؛ وقيل: بل وُضع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أن البخاري - رحمه الله - ترجم على هذا بقوله: باب كتابة الإمام الناس، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتبوا لي من تَلَفَظَ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل" وقد روى البخاري أيضاً بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أكتبُ في غزوة كذا وكذا، وأمرأتى حاجة؛ قال: ارجع فأحجج مع امرأتك"

- وآختلف الناس في سبب وضعه في أيام عمر، قال قوم: سببه أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَاذَا

- (١) في صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الإنشاء؛ قال: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكتبونه الخ ثم قال أيضاً: وهذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء.

- (٢) كذا في اللسان مادة كتب؛ والذي في الأصل: «إني أكتسيت»؛ وهو تحريف؛ وفي صحيح البخاري ج ٤ ص ٧٢ طبع بولاق سنة ١٣١١: «كتب» وقد روى البخاري هذا الحديث أيضاً في ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق برواية أخرى، وهي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعه محرم؛ فقال رجل: يا رسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وأمرأتى تريد الحج؛ فقال: اخرج معها» ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال: «إني أريد أن أخرج» ولم يقل: «إني كتبت».

جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم ، فأستكثره عمرُ وقال : أتدرى ما تقول ؟ قال :
نعم ، مائة ألف خمس مرات ؛ فقال عمر : ^(١)أطيب هو ؟ فقال : لا أدرى ؛ فصعد
عمرُ رضى الله عنه المنبرَ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، قد جاءنا مالٌ
كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيلاً ، وإن شئتم عددنا ^(٢)[لكم عدداً] ؛ فقام إليه رجل فقال :
يا أمير المؤمنين ، قد رأيتُ الأعاجم يدونون ديواناً لهم ، فدوّن أنت ^(٣)[لنا] ديواناً .

وقال آخرون : بل سببه أنت عمر — رضى الله عنه — بعث بعثاً وعنده
الهرمزان ^(٤) ، فقال لعمر : هذا بعثٌ قد أعطيت أهله الأموال ، فإن تخلف رجلٌ منهم
وأخل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك ؟ فأثبت لهم ديواناً ؛ فسأله عن الديوان حتى
فسره له .

وروى ^(٧)[عابد بن يحيى] عن ^(٧)[الحارث] بن ثعلبة أن عمر رضى الله عنه استشار
المسلمين في تدوين الدواوين ، فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : تقسيم
في كل سنة ما آت جمع إليك من المال ولا تُمسك منه شيئاً ؛ وقال عثمان بن عفان —
رضى الله عنه — : أرى مالا كثيراً يسع الناس ، وإن لم يُحصوا حتى يُعرف من
أخذ ممن يأخذ خشيتُ أن ينتشر الأمر ؛ فقال خالد بن الوليد : قد كنت بالشام

- ١٥ (١) الطيب : الحلال ، وهو ضد الخبيث ، أى هل آكتسبه دافعه من حلال ؟ .
(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٤ طبع المنيا .
(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .
(٤) كذا في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية ؛ والذي في الأصل :
« الفيرزان » ؛ وهو تحريف .
٢٠ (٥) في الأصل : « آخر » وفي الأحكام السلطانية : « وأجل » وهو تحريف في كليهما والتصويب عن
صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .
(٦) يريد بقوله : « صاحبك » أمير الجيش ؛ وزاد في الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله : به .
(٧) هاتان التكتان ساقطتان من الأصل ؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

- فرأيتُ ملوكها دَقُونوا ديوانا، وجَنَدُوا جنودا، [فَدَوَّنَ ديوانا، وجَنَدَ جنودا] فَأَخَذَ بقوله، ودعا عَقِيلَ بنَ أبي طالب ومَحْرَمَةَ^(٢) بنَ نوفل وجُبَيْرَ بنَ مطعم — وكانوا من كَتَّاب قريش — فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدءوا ببنى هاشم فكتبوهم^(٣)، ثم أتبعوهم قومَ أبي بكر، ثم عمرَ وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم رفعوا ذلك إلى عمر رضى الله عنه، فلما نظر فيه قال: لا، [ما] وِدِدْتُ أَنَّهُ كان هكذا، ولكن أبدءوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمرَ حيث وضعه الله؛ فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك؛ وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة، وقيل في سنة خمس عشرة، — والله أعلم —؛ فلما استقرَّ ترتيب الناس في الدواوين على قدر النسب المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم فضل بينهم في العطاء على قدر السابقة في الإسلام. وسند كر إن شاء الله في خلافة عمر رضى الله عنه ما فرضه من العطاء لكل طائفة على ما ستقف عليه — إن شاء الله تعالى — في موضعه من فنِّ التاريخ؛ وهو في السفر السابع عشر من كتابنا هذا؛ فهذا كان سببَ وضع ديوان الجيش.

- وأما دواوين الأموال — فإنها كانت بعد ظهور الإسلام بالشَّام والعراق على ما كانت عليه قبل الإسلام، فكان ديوان الشَّام بالرومية لأنه كان من ممالك

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع ألمانيا.

(٢) كذا في مستدرك الناج؛ والذي في الأصل والأحكام السلطانية: «محزومة» بالحاء المهملة والزاي المعجمة؛ وهو تصحيف.

(٣) لعله يريد بقوله: ووضعوها على الخلافة، أنهم جعلوا ترتيب القبائل في الديوان على حسب قربهم في النسب من القبيلة التي فيها الخلافة.

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يستقيم الكلام.

(٥) كذا في الأحكام السلطانية؛ والذي في الأصل: «تعدد»؛ وهو تحريف.

الروم ؛ وكان ديوان العراق بالفارسية لأنه كان من ممالك الفرس ؛ فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان ، فنقل ديوان الشام إلى العربية في سنة إحدى وثمانين من الهجرة ؛ وكان سبب نقله — على ما حكاه المدائني — أن بعض كتاب الروم في ديوانه أراد ماء لدواته ، فبال في الدواة ، فبلغه ذلك فأدبه ، وأمر سليمان بن سعد أن ينقل الديوان إلى العربية ، فسأله أن يعينه بخراج الأردن^(١) سنة ، ففعل وولاه الأردن ، وكان خراجه مائة ألف وثمانين ألف دينار . فلم تنقضى السنة حتى فرغ من الديوان ونقله ، وأتى به عبد الملك فدعى سرجون^(٢) كاتبه فعرضه عليه فغمه وخرج كثيرا ، فاتميه قوم من كتاب الروم ، فقال لهم : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

وأما ديوان العراق — فكان سبب نقله إلى العربية أن كاتب الحجاج بن يوسف كان زاذان فروخ^(٣) ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربية والفارسية ، فأوصله زاذان فروخ^(٣) إلى الحجاج ، فخف على قلبه ، فقال صالح لزاذان فروخ^(٣) : إن الحجاج قد قربني ولا آمن أن يقدمني عليك ؛ فقال : لا تظن ذلك فهو إلى أحوج مني إليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري ؛ فقال له صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لفعلت ؛ فقال : فحول منه ورقة أوسطرا حتى أرى ، ففعل ؛ ثم قتل زاذان فروخ في حرب عبد الرحمن بن الأشعث ، فاستخلف

(١) الأردن بضم الهمزة وتشديد النون : كورة واسعة ، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك .

(٢) كذا في تاريخ الطبري قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن ؛ والذي في الأصل : « سرجون »

بالحاء المهملة .

(٣) كذا في مقدمة ابن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبري قسم ٢ ص ٥٨ طبع ليدن ؛

والذي في الأصل : « زاذان بقروخ » ؛ وهو تحريف .

الاحتجاج صالحا مكانه ، فدكر له ما جرى بينه وبين زاذان فروخ فأمره أن ينقله ، فأجابه إلى ذلك وأجله فيه أجلا حتى نقله إلى العربية ، فلما عرف مردان شاه بن زاذان فروخ ذلك بذل له مائة ألف درهم ليظهر للحتاج العجز عنه ، فلم يفعل ، فقال له : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية .

وكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ! .

هذا ما حكى في ابتداء نقل الدواوين ، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشرة .

ذكر ما يحتاج إليه كاتب الجيش على ما استقر

١٠ في زماننا هذا من المصطلح

يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصع أسماء أرباب الإقطاعات والنقود والمكيلات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم ، والممالك السلطانية ، وأجناد الحلفاء ، وأمراء التركمان والعربان ، ويضع لذلك جريدة مقفاة على حروف المعجم يثبت فيها أسماءهم ، ويذكر الأسماء وأبتداء إمرته أو جنديته في أى سنة كانت من السنين الهلالية لاستقبال ما يكتب من مغل السنة الخراجية ، وعمن أنتقل إليه الإقطاع ،

١٥

(١) في الأصل : « في مكاننا » ، ويرجح ما أثبتناه قوله فيما سياتى في صفحة ٢٠٨ س ١١ فهذه

هى القواعد التى استقرت فى زماننا .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة من هذا الباب ؛ ولعل كتاب الدواوين إذ ذاك كانوا

يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم ، كما يفهم من سياق الكلام ؛ وفى كتب اللغة أنه يقال : رصع العتد بالجوهر

٢٠ ترصيعا إذا نظم فيه وضم بعضه الى بعض ، والمعنى أن كاتب الجيش يضم أفراد كل طائفة الى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها .

وَيَرْمِزُ قُبَالَةَ كُلِّ آسِمٍ إِلَى عِبْرَةِ إِقْطَاعِهِ رَمْزًا لَا تَصْرِيحًا ، وَيُشِيرُ فِي جَنْدِيَّ الْحَلَقَةِ إِلَى مَقْدَمِهِ ، وَيَعَيِّنُ فِي آسِمِ التُّرْكَانِيِّ أَوِ الْبَدَوِيِّ مَا قَدَّمَهُ إِلَى الْإِصْطِبَاتِ السَّلْطَانِيَّةِ وَالْمُنَاخَاتِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْجَمَالِ ، وَفِي عَرَبَانِ مِصْرٍ الْمَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ فِي مَقَابِلَةِ الْإِقْطَاعَاتِ مِنَ التَّقَادِمِ ، وَإِقَامَةِ خَيْلِ الْبَرِيدِ فِي الْمَرَاكِزِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَقْلِ الْغُلَالِ ، وَمَا هُوَ مَقَرَّرٌ عَلَيْهِمْ فِي آبْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِقْطَاعَاتِ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى جَارِي الْعَادَةِ ، فَإِنْ أُنْتَقَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ إِقْطَاعٍ إِلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ بِعَيْنِهِ وَضَعَتْ تَحْتَ إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ مَا صَوَّرَتْهُ : ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهِ بِمَقْتَضَى مَنْشُورِ تَارِيخِهِ كَذَا عَنْ فُلَانٍ أَلْتَقِلَ إِلَى غَيْرِهِ ، أَوِ الْمَتَوَفَّى ، أَوِ الْمَفَارِقِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ عَلَى سِيَاقَتِهِ فِي إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ قَالَ : عَلَى سِيَاقَتِهِ ، وَضَبَطَ تَارِيخَ الْأَوَّلِ ، وَإِنْ كَانَ لَأَسْتَقْبَالَ مُغَلٍّ أَوْ شَيْءٍ مِنْ مُغَلٍّ مِيزَهُ ، وَاحْتِاجَ إِلَى مُحَاسَبَةِ رَبِّ الْإِقْطَاعِ عَلَى إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ ، وَالْمَحَاسِبَاتُ غَالِبًا إِنَّمَا تَقَعُ بَعْدَ وَفَاةِ الْأَمِيرِ أَوْ الْجَنْدِيِّ ، أَوْ أَنْفَصَالِهِ بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْأَنْفَصَالَاتِ ، وَأَمَّا مَا دَامَ فِي الْخِدْمَةِ فَهِيَ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَصُورَةُ الْمُحَاسَبَةِ أَنْ يُقِيمَ تَارِيخَ مَنْشُورِهِ إِلَى تَارِيخِ أَنْفَصَالِهِ أَوْ نَقْلِهِ ، وَيَعْقِدَ عَلَى ذَلِكَ جُمْلَةً ، وَيُوجِبَ لَهُ عَنْ نَظِيرِ خِدْمَتِهِ أَسْتَحْقَاقًا ، وَيَنْظُرَ إِلَى مَا قَبَضَهُ مِنَ الْمَغَالَتِ فَيَجْمَعُهَا ، فَإِنْ كَانَ قَبَضَهُ نَظِيرَ خِدْمَتِهِ فَلَا شَيْءَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ زَادَ قَبَضَهُ عَلَى مَدَّةِ خِدْمَتِهِ أَسْتَعَادَ مِنْهُ مَا زَادَ بِنِسْبَتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ خِدْمَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ قَبْضِهِ أَفْرَجَ لَهُ عَنْ نَظِيرِ مَا فَضَّلَ لَهُ ، وَمِنْ الْعَادَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يُسْقَطَ مِنْ أَسْتَحْقَاقِ أَرْبَابِ الْإِقْطَاعَاتِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَحَدُ عَشَرَ يَوْمًا وَرَبْعَ يَوْمٍ ، وَهِيَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْقَمَرِيَّةِ ، وَيُبْرَزُ لَهُ مَا بَقِيَ

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَكُتِبَ التَّحْفَةُ السَّنِيَّةُ لِابْنِ الْجَيْعَانِ ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَا يَقْدَرُ عَلَى الْإِقْطَاعَاتِ ، أَخْذًا مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ ؛ وَسَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُرُونَ الدَّرَاهِمَ الْمُتَحَصِّلَةَ مِنَ الْبَلَدِ ، أَيْ يَقُومُونَهَا بِدَنَائِيرٍ جَيْشِيَّةٍ كَمَا يَفْهَمُ مِنَ التَّحْفَةِ السَّنِيَّةِ .

(٢) الْمُرَادُ بِالتَّقَادِمِ : الْهَدَايَا ، وَهُوَ جَمْعُ تَقْدِمَةٍ .

وَيُعْطِيهِ الْمِثْلُ مِنْ نِسْبَةِ الْبَارِزِ ، وَقَدْ سَوَّحَ بِذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ دُونَ بَعْضٍ ،
وَهَذِهِ الْجَرِيدَةُ تَسْمَى الْجَرِيدَةُ الْجَيْشِيَّةُ .

وَيَحْتَاجُ إِلَى بَسِطِ جَرِيدَةٍ إِقْطَاعِ صَوْرَتِهَا : ^(١) أَنَّهُ يَرْصَعُ الْأَعْمَالُ
كُلَّ عَمَلٍ وَبِلَادِهِ وَضِيَاعِهِ وَكُفُورِهِ وَقِرَاهِ وَجَزَائِرِهِ وَجُرُوفِهِ وَجِهَاتِ الْهَلَالِ
وَالْحَوَالِي ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهِ وَحُدُودِهِ وَالْجِهَاتِ الْمُسْتَظْهِرِ بِهَا وَالْبَذُولِ ، وَسَائِرِ ^(٢)
مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَيَذْكُرُ عِبْرَةَ الْبِلَادِ الْجَيْشِيَّةِ ، وَمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ حَالُ ^(٣)
مُتَحَصِّلِهَا أَخِيرًا ، وَإِنْ كَانَ بِالشَّامِ ذَكَرُ الْعِبْرَةِ الْجَيْشِيَّةِ وَمُتَحَصِّلِ الْبِلَادِ لثَلَاثَ سِنِينَ :
مُبْقَلَةً وَمَتَوَسِّطَةً وَمَجْدِبَةً ، ثُمَّ يَشْطُبُ قُبَالَةَ كُلِّ جِهَةٍ أَسْمَاءَ مُقْطَعِيهَا ، وَمَا هُوَ بِاسْمِ كُلِّ ^(٤)
وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، لِيَتَحَرَّرَ لَهُ بِذَلِكَ هَلْ اسْتَوْعَبَ الْإِقْطَاعُ جَمْلَةَ النِّوَاحِي وَالْجِهَاتِ ، ^(٥)
وَيَتَمَيَّزُ لَهُ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَحَلُولَاتِ ، وَإِنْ أَنْتَقَلَ رَبُّ إِقْطَاعٍ مِنْ إِقْطَاعٍ إِلَى غَيْرِهِ ^(٦)
بَادَرِ بِشَطْبِهِ لَوَقْتِهِ فِي مَوْضِعِهِ لئَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَالْإِخْتِلَافُ . ^(٧)

(٣٢)

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « حتموقة » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) في الأصل : مقبله . وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه ؛
والمقبلة : التي كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة في عدة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمتد خطا على الغلط الواقع
في الكلام كما في شفاء الغليل ، وليس هذا مرادنا هنا ؛ والظاهر أن كتاب الدواوين في عصر المؤلف
اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والنقل من المستندات إلى الدفاتر ، كما هو مصطلح كتاب الدواوين
عندنا في استعمال هذه الكلمة ، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب ؛ وهذا المعنى هو المراد بالشطب في هذا
الباب ، كما يفهم من السياق .

(٧) في الأصل : « ليتحرز » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : الغلط .

ويحتاج إلى أن يتعاهد مباشرة المعاملات والبرور بطلب^(١)
الكشوف الجيشية في كل ثلاث سنين ويشطبها على ما عنده لتتحرر عنده العبر^(٢)،
ويتميزه ما تعين من الزيادة والنقص .

ويحتاج أيضا إلى بسط جريدة^(٣) ثالثة بأسماء أرباب النقود
والميكلات خاصة، لأنه يحتاج أن يفرج لكل منهم في كل سنة عن نقده وميكلاه
بمقتضى ما شهد به منشوره، وعادة قبضه وجهته، أو مما تعين بقلم الاستيفاء إن كان،
فإذا أفرج لكل منهم شطب^(٤) تاريخ إفراجه قبالة اسمه لتنضبط له بذلك تواريخ
قبوضهم ويأمن من التكرار والغلط، وهذه الجريدة هي فرع من الجريدة الجيشية،
فإنه يبسطها منها .

ويحتاج في أجناد الحلقة السلطانية^(٥) إلى أن يضيف كل جماعة منهم
إلى مقدم مشهور من أعيانهم ممن هو متميز بالإقطاع، ويقوم عليهم تقيبا يعرف
مساكنهم ومظانهم، فإذا طلبوا جمعهم، أو طلب أحد منهم أحضره، ويسمى هذا
المقدم : مقدم الحلقة، ويضيف كل جماعة من أمراء الطبلخانا^(٦) وأمراء العشرات،

(١) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « لتحرر » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالشطب هنا : التقييد ؛ كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « من أخبار » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخانا : أى بيت الطبل ؛ وخانا : لفظ فارسي معناه البيت إلا أنهم يؤخرون المضاف عن
المضاف إليه على عادة العجم في ذلك ، وقال في صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخانا : إنها
طبول متعددة معها أبواق وزقارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة
المغرب وتكون صحبة الملك في الأسفار والحروب ، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك .

- ومَقْدَمِي الحَلَّاقَة ، ومضافيهم إلى مَقْدَم كبير من أمراء المائة ، ويسمى هذا الأمير :
 مَقْدَم الألف ، ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين جريدة عِدَّة ، يضع فيها اسم مَقْدَم
 الألف وعِدته من غير تفصيل لأسمائهم وقبالة اسمه عبرة إقطاعه ، ما هو لخاصه ،
 وما هو لأصحابه ، ثم أمراء الطبلخاناه كَل أمير وعِدته ، وعبرة إقطاعه ،
 على ما تَقْدَم في مَقْدَم الألف ، ويرتبهم في التقديم والتأخير على مراتبهم ، ثم أمراء
 العشرات كذلك ، ثم يذكر مَقْدَمِي الحَلَّاقَة فيعين اسم المَقْدَم ونسبته وأتباعه إن
 كان له أتباع ، وعبرة إقطاعه ، ثم يذكر مضافيه من الحَلَّاقَة على هذا الحكم ، ويرتبهم
 بحسب مراتبهم ، يبدأ في كل تَقْدِمة باسم المَقْدَم ، ويختتم باسم النقيب ، ليسهل
 عليه طلب كل جندي من مقدمه ، ويطلبه مقدمه من نقيبته ، وإن أنتقل أمير
 أو جندي من مَقْدَم ألف أو مَقْدَم حَلَّاقَة وأنضاف إلى مَقْدَم آخر نقله لوقته لئلا
 يضطرب عليه حالهم ، ويلتبس أمرهم ، وكذلك أيضا يفعل في أماليك السلطانية
 من إضافة كل جماعة منهم إلى مَقْدَم من أعيانهم ، ويميز أرباب الوظائف
 منهم : من السلاحدارية ^(٣) والحربدارية ^(٤) والجمقدارية ^(٥) والزردهكشية

(١) يريد بالطائفتين : الأمراء وأجناد الحلقة .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٣) السلاحدارية : نسبة إلى السلاحدار وقد ذكر في صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٧ : أن دار لفظه
 فارسية معناها ممسك ، فاعل من الإمساك ، وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم ينظرون أن لفظ
 دار في ذلك عربي بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير ، وهو خطأ الخ ماقال ، فعني سلاحدار : ممسك
 السلاح ، وكذا يقال فيما يأتي بعده .

(٤) الجمقدارية : نسبة إلى الجمقدار وهو الذي يكون دائما حامل الدبوس ، كما في كتاب معبد النعم
 ومبيد النعم ص ٥٠ طبع أوربا .

(٥) الزردهكشية : هم لابسو الدروع ، وكش باللغة الفارسية ، معناه لابس انظر المعجم الفارسي
 الانجليزي تأليف ستاين جاس مادة « كشيدن » .

والبُنْدَقْدَارِيَّةُ ^(١) ومن السُّقَاة ^(٢) والجمَّـدَارِيَّة ^(٣) والخَزَنَدَارِيَّة ^(٤) والحُرَّاس ^(٥) والبَشْمَقْدَارِيَّة ^(٦)
وغيرهم، ويضيف كل جماعة من كل طائفة منهم إلى متعين من جملتهم، ويجمع عدَّة
كل طائفة ويقدم عليهم أمثلهم، وأما الممالك الكتابية ^(٧) أرباب الجامكيات ^(٨) فينسب
كل جماعة منهم إلى طبقة مُقدِّمها من الطواشية، وينسب الممالك البرجية ^(٩)

(١) البندق : الذي يرى به ، وهو معروف ؛ والبندقدارية : هم الذين يحملون هذا البندق خلف السلطان أو الأمير . انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٨٤ في تفسير البندقدار .

(٢) السقاة : جمع ساق ، قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٥٤ : هو لقب على الذي يتولى مد السباط وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السباط ونحو ذلك ، وكأنه وضع في الأول لساق المشروب فقط ثم استحدثت له هذه الأمور تبعاً الخ .

(٣) قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٥٩ : عند الكلام على الجمدار : إنه الذي يتصدى للإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ؛ وأصله : « جامدار » فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استئقلاً وقيل : جمدار وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناه الثوب والثاني دار ومعناه ممسك .

(٤) في الأصل : « والحربدارية » وهو تحريف لتكرره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٢٢ : في الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمة : هو لقب على الذي يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ .

(٥) في الأصل : « والحران » بالنون ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٦) قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٥٩ : في تفسير البشمقدار : إنه الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير ؛ وقال : إن البشمق باللغة التركية معناه النعل ؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئية : أن الصواب فيه « بصمق » بالصاد بدل الشين ؛ ثم قال : والمعروف في ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدم والذي في الأصل : « السمقداروية » بالسين ، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٧) الكتابية : أى الذين يشتغلون بالكتابة .

(٨) الجامكيات : الرواتب والأجور ، واحده جامكية ؛ وأصله باللغة الفارسية : « جامكى » بفتح الميم وكسر الكاف . انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس .

(٩) سميت هذه الطائفة بهذا الاسم نسبة إلى الأبراج التى كانوا يسكنونها فى القلعة ، ومنهم كانت دولة المماليك الثانية التى حكمت الديار المصرية .

إلى مساكنهم ومقدمهم^(١) ، والبحرية إلى مراكزهم ومقدمهم ، والأوشاقية الذين إقامتهم بالإسطنبول إلى المقدم عليهم من الطواشية ، ويرجع سائر الممالك السلطانية إلى مقدمهم الكبير ، ولا يكون في الغالب إلا من الطواشية الأمراء .

ويحتاج أيضا إلى أوراقٍ آخر تتضمن أسماء أمراء الميمنة وأمراء الميسرة ، والجالس — وهو المقدم — أمام قلب الجيش ، وهذه الأوراق تكون جملية يستغنى فيها بذكر مقدمي الألوف دون مضافيهم .

(٢٣)

ويتلو هذه الأوراق أوراق آخر — تتضمن أسماء الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان في الصيد والركوب للمتزهات وفي الميادين للعب بالكرة ، وفي غير ذلك ، هذا ما يحتاج إليه في الأمراء والممالك السلطانية ورجال الحلقة .

وأما أجناد الأمراء فإن مباشر الجيش يسترفع من دواوينهم أوراقا بعدة^(٢) أجناد كل أمير منهم ، يصدرها كاتب عدة الأمير على عدة نسخ بحسب المباشرين للجيش ، ويقول في صدرها ما مثاله : عرض رفعه^(٣) المملوك فلان الفلاني على ما استقر عليه الحال إلى آخر كذا ، والعدة خاصته ، وكذا كذا طواشيا ، ويشرح أسماء

(١) قال في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ : ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان كالحرس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . اه كلامه وإنما سميت هذه الطائفة بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون بجزيرة في النيل وهي جزيرة الروضة ، ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما في كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أى يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « هذه » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « رفعة » ؛ وهو تسخيف .

أَلْجُنْدَ ، وما أُقِطِعَ بِأَسْمِ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ إِقْطَاعٍ وَتَقْدِ وَمِكِيلٍ ، مَبْتَدِئًا بِرَأْسِ الْمَدْرَجِ
وَمَنْ يَلِيهِ فِي أَلْجُنْدِ ، ثُمَّ مَمَالِكِ الْأَمِيرِ وَالزَّامَةِ ، وَيَخْتَمُّهُمْ بِالنَّقِيبِ ، ثُمَّ يَعْينُ فِي آخِرِ
الْمَدْرَجِ مَا بَقِيَ لِخَاصِّ الْأَمِيرِ مِنَ النِّوَاحِي وَالْجِهَاتِ ، وما عَلَيْهِ مِنْهُ لِأَصْحَابِهِ مِنْ نَقْدٍ
وَمِكِيلٍ إِنْ كَانَ ، وَيَلْزَمُهُ عَمَلُ مَسِيرٍ عَلَى نِوَاحِي الْإِقْطَاعِ يَشْطُبُ^(١) كُلَّ جِهَةٍ بِأَسْمَاءِ
مَنْ أُقِطِعَتْ لَهُمْ ، وما بَقِيَ مِنْهَا لِلْخَاصِّ إِنْ كَانَ ، فَإِنْ كَانَ مَنْشُورَ الْأَمِيرِ قَدْ عُنِيَ فِيهِ
مَا هُوَ لَخَاصُّهُ وما هُوَ لِأَصْحَابِهِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتَضِعَ مِنَ الْمَعِينِ لَجُنْدِهِ مَا يَضِيفُهُ
لَخَاصِّهِ ، وَلَا يُنْعَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ خَاصِّهِ زِيَادَةً لِأَصْحَابِهِ ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ لَاحِقَةٌ بِقَوَاعِدِ
الْفَقْهِ ، فَإِنْ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي مَالِهِ دُونَ مَالِ غَيْرِهِ ، وَلَهُ أَنْ يُمَيِّزَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ ، فَإِذَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأُورَاقُ عَرَضَ جُنْدَ كُلِّ أَمِيرٍ
فِي مَجْلِسِ وَلِيِّ الْأَمْرِ بِمَشْهَدٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، فَمَنْ أَجَازَ وَلِيَّ الْأَمْرِ عَرَضَهُ حَلَاةً^(٢)
قُبَالَةَ اسْمِهِ ، وَيَعِينُ فِي حَلَاةِ سِنِّهِ وَلَوْنَهُ وَقَامَتَهُ ، ثُمَّ يَذْكُرُ حَلِيَّةَ وَجْهِهِ ، وَيَصِفُ
مَا يُمَيِّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَثَرٍ فِي وَجْهِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَنْ رَدَّهُ وَلِيَّ الْأَمْرِ مِنَ الْعَرَضِ
طَوَالَ الْأَمِيرِ بِإِقَامَةِ غَيْرِهِ ، فَإِذَا أَقَامَهُ وَعَرَضَهُ وَأَجَازَ وَلِيَّ الْأَمْرِ عَرَضَهُ حَلَاةً
عِنْدَ ذَلِكَ ، وَعَيْنَ تَارِيخِ عَرَضِهِ إِنْ كَانَ عَرَضَهُ بَعْدَ يَوْمِ الْعَرَضِ الشَّامِلِ ، وَيَرْقُمُ
الْمُبَاشِرَ بِقَلَمِهِ عَلَى رَأْسِ أُورَاقِ الْعَرَضِ تَارِيخَ عَرَضِ أَلْجُنْدِ ، وَتَسْتَحِقُّ هَؤُلَاءِ أَلْجُنْدُ
الْإِقْطَاعَاتِ وَالنَّقُودَ وَالْهَلَالِيَّ مِنْ تَارِيخِ عَرَضِهِمْ وَتَدْوِينِهِمْ فِي الدِّيَوَانِ ، وَالْأَمِيرُ
مِنْ تَارِيخِ مَنْشُورِهِ ، فَإِنْ مَاتَ جُنْدِيٌّ مِنْهُمْ أَوْ فَارَقَ الْخِدْمَةَ أَقَامَ الْأَمِيرُ عَوَضَهُ ،
وَعَرَضَهُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ ، وَأَثَبَتْ اسْمُهُ بِالْدِّيَوَانِ ، وَإِنْ قَطَعَهُ الْأَمِيرُ فَلَا يَخْلُقُ قِطْعُهُ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِسَبَبٍ كَالْعَجْزِ وَنَحْوِهِ فَلَهُ ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ سَبَبٍ فَلَا يَخْلُو :

(١) يَشْطُبُ : أَيِ يَقِيدُ كَمَا سَبَقَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٦ مِنْ صَفْحَةِ ٢٠٢ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .

(٢) حَلَاةٌ : أَيِ وَصْفُهُ ، وَالْحَلِيَّةُ : الْخِطَّةُ وَالصَّفَةُ .

إما أن يكون قَطْعُهُ له في قرب زمن إدراك المَغْل فلولى الأمر منعه من ذلك،
أو في غير وقت المَغْل، فإن عَرَضَ من هو أَكْفَى منه وأقْدَر على الجندية أَجِيزًا،
وإن عَرَضَ من هو دونه مُنْعَ أميره من ذلك، وألْزِمَ بِاسْتِمْرَارِ الكافي أو إقامة من يمثله
في الكفاية والقدرة؛ وإذا عَرَضَ الأمير أصحابه في السنة الثانية جَدَّدَ كاتبه أوراقا
بالعرض نظير الأولى، وشطب^(١) كاتب الجيش^(٢) حُلَى الجند من العَرَضِ الأول، ثم يقابلها
بالصورة الجديدة في وقت العَرَضِ الثاني، فإن وافقت وطابقت أجازته، وإن
اختلفت اَلْحُلَى وتباينت رَدَّه وطالع ولى الأمر به ليقع الإنكار على من تجاسر
على فعل ذلك لما فيه من التلبيس؛ فهذه هي القواعد التي استقرت في زماننا
والله أعلم.

- ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهد وحفظها، فإن كان بين يدي
السلطان ورسم له بإقطاع أمير أو جندي كتب مثالا بالإقطاع، وكتب السلطان
أو نائبه بقلمه أعلى المثال ما مثاله: يُكْتَبُ؛ وعين ناظر الجيش بقلمه تحت خط
السلطان أو نائبه ما مثاله: رُسم أن يُكْتَبَ بِاسْمِ فلان لَأَسْتَقْبَالَ مَغْلٍ سَنَةِ كذا، ولَأَسْتَقْبَالَ
كذا من مَغْلٍ سَنَةِ كذا؛ وخَلَّدَ الكاتب هذا الشاهد عنده، وكتب مثالا ثانيا مرثعا
بما مثاله: رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني المَلِكِي الفلاني — ويدعو
للسلطان — أن يُقَطَّعَ ويُقَرَّرَ بِاسْمِ فلان الفلاني — وَيَنْعَتَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ — ما رُسم
له به الآن من الإقطاع والنقد والمكيل إن كان فيه نقد أو مكيل في السنة، خارجا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) في الأصل: «جدا» بالجمع والبدال؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «الجندى»؛ وهو تحريف.

عن الجوالي والموارِيث الحَشْرِيَّة ^(٢) والرَّزْق ^(٣) الإِجْبَاسِيَّة ، إن كان الإِقْطَاع بالديار المصرية ؛
وإن كان بالشام قال : خارجا عن المَلِك والوقف ، ثم يقول : خُبْرُ فلان الفلاني ^(٤) ، إن كان
عن أحد ؛ وإن كان من آنِخاص أو مستجدا أو مستظهرا به عِيْنَه ، ويذكر خاصته وعِدَّتَه
وأتباعه ، أو بمفرده ، ثم يعيِّن جهات إِقْطَاعه ، ويثبت هذا المثل الثاني في الديوان ،
وتشمله علامة السلطان ونائبه ، ثم يُخَلِّد بديوان الإنشاء ، وهو شاهد الموقع ، ويكتب
منشوره بمقتضى ذلك المثل ، وتشمله علامة السلطان وخط نائبه ووزيره بالأمثال ،
ويثبت بديوان الجيش ثم بالدواوين ؛ وإن كان الكاتب في جهة خارجة عن باب
الملك من الممالك الشامية وأمره النائب بإقْطَاع أحد كتب مثالا بالإقْطَاع ،
وكتب النائب بأعلاه : يُكْتَب ، ثم يكتب عليه الناظر نحو ما تقدم ، وهو شاهد
الكاتب ، ثم يكتب المثل الثاني في ورقة مربعة بما مثاله : رَسِم بالأمر الشريف
العالى المولوى السلطانى المملكى الفلانى أن يُقْطَعَ ويُقَرَّرَ بِاسْمِ فلان ما رَسِم له به
الآن من الإِقْطَاع ، ويُعيِّن خُبْر ^(٥) من كان وسبب حاله عنه ، إما بوفاة ، أو بمفارقة ،
أو بانتقال إلى غيره ، أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لإخراج الإِقْطَاع عنه ،

(١) الجوالي : جمع جالية ، وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة ؛ وسيأتى الكلام عنها فى ذكر الجزية .

(٢) الموارِيث الحشرية : هى مال من يموت وليس له وارث خاص يتسرا به أو غيرها ؛ أو الباقي
بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عصب له انظر صبح الأعشى
ج ٣ ص ٤٦٤ .

(٣) فى الأصل : « الورق » وهو تحريف ؛ والرَّزْق بكسر ففتح وزان عنب : جمع رزقة بكسر الراء ،
وهى الجرأية : يقال : كم رزقك فى الشهر : أى جرايتك . (مستدرك الناج) والإِجْبَاسِيَّة بكسر الهمزة :
نسبة الى الإِجْبَاس ، وهو مصدر أحبست المال : اذا وقفته .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ ، ١٥٦ ؛ والذي فى الأصل : « خبر » ؛ وهو
تصحيف .

- وَيَكْتُبُ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ عَلَيْهِ بِالترجمة ، و يترجم عليه الناظر بقلمه تحت خطّ النائب بما مثاله : المملوك فلان يقبل الأرض وينهى أن هذا مثال كريم بأسم فلان المرسوم إثباته في جملة الأمراء والماليك السلطانية ، أو البحرية ، أو رجال الحائقة المنصورة ، أو رجال التركان ، أو العربان ، أو الجبلية بالملكة الفلانية ، أو بالجهة الفلانية بما رسم له به الآن من الإقطاع عن فلان ، والعدة خاصته ، وكذا كذا طواشياً ، أو بحسب ما يكون لأستقبال ما عين فيه على ما شريح باطنه ، والأمر في ذلك معذوق بإمضائه أو بما يؤمر به من الأبواب . ثم يثبت بديوان الجيش ، ويجهز إلى باب السلطان ، فإذا وصل إلى الباب كتب عليه الناظر ومن معه من الرفاق بالمقابلة ، وقوبل به ، ثم تشمله علامة السلطان أو نائبه بالكتابة ، ويخلد كاتب الجيش بالباب عنده ، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم ، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل إلى تلك المملكة شمل خطّ نائبها بالأمثال ، وكتب عليه ناظر الجيش ورفقته بالشبوت تحت خط ناظر الجيش بالباب ورفاقه ، ثم يثبت بالدواوين ، وينرج لرب الإقطاع على حكمه ، ويثبت إفراجه ، ويسلم إليه إقطاعه ، فهذه شواهد المناشير والأمثلة .
- وأما غيرها من شواهد الكشوف فعلى حسب الوقائع ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ويحتاج إلى ضبط أسماء من توجه بدستور إلى جهة من الجهات ، ويراعى انقضاء مدة الدستور ، ثم يكشف عنه ، ويطالب مقدّمه به ،

(١) في الأصل : « مارس » بدون الباء ، والسياق يقتضى إثباتها كما في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٥ ، أى هذا مثال بما رسم الخ .

(٢) كذا في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٩ ؛ والذي في الأصل : « خاصة » بدون ها .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

(٤) المراد بالدستور : الإذن . وإطلاقه على هذا المعنى إطلاق عامي ، انظر شرح القاموس .

وكذلك من توجهه إلى الحجاز وغيره ، وكذلك من تخلف عن العود مع الجيش المجرد
في المهمات ، فإعني ذلك حسب الطاقة والإمكان ، وإن تعذرت عليه معرفة من
تأخر بعينه يستعلم أخبارهم مجملة من مقدميهم ونقبائهم .

ويحتاج إلى أنه مهما انحلت من الإقطاعات . أو تعين من تفاوت
المدد عمن درج وفارق وانتقل ، أو ما تعين في خلال المدد بين منفصل ومتصل
يحرر ذلك ، ويكتب به حوطة جيشية يضمنها اسم رب الإقطاع المتصل ونواحي
إقطاعه ونقده وميكله إن كان ، ويعين استقبال الحوطة ، ويميز ما استحققه الديوان
من المغل ، وتصدر إلى ديوان التصرف بعد شمولها بالعلامة وثبوتها ، ويطلب المستوفي
بكتابة رجعة بوصول ذلك إليه أياً من عهده ، ويلزم المثبتون التعريف بذلك
وإضافة ما يتحصل منه ، فإن أتركاتب الجيش إصدار الحوطات إلى ديوان التصرف
حتى يفوت الزمن الذي يمكن فيه تحصيل ما فيها ، كان تحت دركه وتبعته ،
والله أعلم .

(١) في الأصل : « يستعمل » ؛ وفي حروفه قلب لا يستقيم به المعنى .

(٢) درج : أى مات .

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة .

(٤) المراد بالانتقال : الانتقال من إقطاع إلى إقطاع آخر .

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه كتاب الدواوين في زماننا بالحافضة ، أخذاً من السياق ،
وفي كتب اللغة أن الحوطة اسم من الاحتياط ، وهو الأخذ بالحزم والثقة ؛ والحوط : الحفظ .

(٦) المستوفي : هو الذى يضبط الديوان ، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك ؛
وفي بعض المباشرات قد ينقسم المستوفى إلى مستوفى أصل ، ومستوفى مباشرة ؛ ولكل منهما أعمال تخصه
صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧) الدرك بالتحريك والتبعة كلاهما بمعنى واحد ، ومنه ضمان الدرك فى البيع ، وتسكن راؤه أيضاً .

ويحتاج مباشر الجيش^(١) إلى مراجعة جرائده : الجيشية والإقطاعية وأوراق العدة في كل وقت من غير احتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماء الجند ونواحي إقطاعهم ، فإنه يصدد أن يسأل عن شيء من ذلك بين يدي ملك أو نائب ، فإن أحرر الجواب بالجملة^(٢) إلى أن يكشف عنه ربما ينسب إلى عجز فيتعين أن يكون على خاطره من جليات الأحوال ما يجيب به في المجلس على الفور ، ولا يتأتى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه ، والناظر إلى ذلك أحوج من غيره من المباشرين ، لأنه المسؤول والمخاطب في غالب الأوقات ، والله أعلم بالصواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة الحلي^(٣) واختلافها على ما ذكره في فصل الوراقة ، ولا بد له من معرفة الأوضاع التي اصطلاح عليها كتاب الجيوش في كتابة الحلي من الاختصار ، فهذه أمور كلية لا بد لمباشر الجيش من معرفتها وإتقانها .

ويتجنب مباشر الجيش أن يرقم بقلمه عدة جيش تصريحاً ، لما يتعين من إخفاء عدته وذكر تكثيره ، فإنه إن وضع ذلك بقلمه لا يأمن من الإطلاع عليه

- (١) لعله : « بالحالة » كما يرشد إليه قوله بعد : « من جليات الأحوال ما يجيب به » .
- (٢) الحلي : جمع حلية ، وهي الصفة والهيئة وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السفر .
- (٣) في كتب اللغة أن الوراقة هي حرفة من يوزق ويكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التي اصطلاح عليها الكتاب فيما يكتبونه من الأوراق ، كما يستفاد مما يأتي في كتابة الحكم والشروط ، فإنه ذكر فيما يحتاج اليه كاتبها أن يكون قد أتقن صناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب في كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعد ذلك ما نصه : وأما معرفة صناعة الوراقة في الأمور التي ذكرناها فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذي لب لأن الكاتب إذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما استقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومنا بعة الكلام وسياقته وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألفاظه الخ .

(٤) في الأصل : « ويتجنب » ؛ وهو تصحيف .

(١) فَيَشِيعُ وَيَذِيعُ ، وقد يَتَّصِلُ بالعدوِّ والمعاندِ (٢) والمُنَاوِي فَيَتَرْتَبُ عَلَيْهِ من الفساد ما يَتَرْتَبُ وهذا بابٌ يجب على كاتب الجيش الاحتفال به ، والاحترازُ من الوقوع فيه ، وكتمانه عن سائر الناس ؛ وإن دعت الضرورة إلى تسطير ذلك خشيةً (٤) أن يسأله وليُّ الأمر عن شيء منه ، فليكن وضعه لذلك رمزا خفياً يصطاح عليه مع نفسه لا يعرفه إلا هو ، أو من له دُرْبَةٌ بمباشرة الجيش .

ويتجنب أن يكشف عِبرةً إقطاع أو متحصّاه ، أو يذكر ذلك لأحد إلا بمرسوم ولي الأمر ، ثم يذكره باللفظ دون الخط ، ووجود الاحتراز كثيرة ، وهي بحسب الوقائع ، فيتعين على مباشر الجيش ملاحظة ذلك والاحتراز من الوقوع فيما يُنتقد عليه ، أو يصل سبب ضررٍ منه إليه . هذا ما أمكن إirاده مما يحتاج مباشر الجيش إلى اعتماده ؛ والله أعلم .

(٣١)

وأما مباشرة الخزانة — فالعمدة فيها على العدالة والأمانة ، لأن خزان الملوكة في هذا العصر اسعتهما ، وكثرة حواصلها ، وعظم ذخائرها لا تتضبط بسياقة ، فإنه لو طوّل كاتب الخزانة بعمل سياقة لحواصلها عن سنةٍ احتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنة كاملة لا يشتغل فيها بغيرها ، فإذا تحررت سياقة السنة في آخر السنة الثانية وكشفها مباشر الأصل وحررها في مدة أخرى من السنة الثالثة فانت المصلحة المستقبلية ، وتعطل على المباشر ما بعد تلك السنة ، لا شغاله بنظر تلك السياقة ، فإذا تقرر عجز (٦)

(١) في الأصل : « يسيع » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) في الأصل : « بالعدد والمعاند » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٣) الاحتفال به : أى الاهتمام بأمره .

(٤) في الأصل : « حسبة » ؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « بنظم » بالميم ؛ وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

الكتاب عن عمل السِّيَاقَةِ بِهَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ فَقَدْ تَعَيَّنَ أَنَّ الْعَمْدَةَ فِي مُبَاشَرَتِهَا عَلَى الْأَمَانَةِ وَالْعَدَالَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ كَاتِبُهَا إِلَى أُمُور :

مِنْهَا ضَبْطُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ حُمُولِ الْأَمْوَالِ وَالْأَصْنَافِ ، وَيُقَابِلُ مَا يَصِلُ مِنْهَا عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَيَحْتَزِرُهُ بِالْوِزْنِ وَالذَّرْعِ وَالْعَدَدِ وَالْأَحْمَالِ عَلَى آخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِ وَأَنْوَاعِهِ وَأَوْصَافِهِ ، وَيُمَيِّزُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالثَّغُورِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَمَالِكِ ، وَمَا يَصِلُ مِنْ الْهَدَايَا وَالتَّقَادِمِ عَلَى آخْتِلَافِهَا ، فَيُضَيِّفُ كُلَّ نَوْعٍ إِلَى نَوْعِهِ ، وَصَنِفٍ إِلَى صَنْفِهِ ، وَكَذَلِكَ يَحْتَزِرُ مَا يَبْتَاعُهُ مِنَ الْأَصْنَافِ الَّتِي تَدْعُو الْضَرُورَةُ إِلَيْهَا وَجَرَتْ الْعَادَةُ بِاتِّبَاعِهَا .

وَمِنْهَا مَعْرِفَةُ عَوَائِدِ أَرْبَابِ الصَّلَاتِ وَالْإِنْعَامِ ، وَمُصَارِيفِ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ عِنْدَ وَلَايَاتِهِمْ ، وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَوَائِدُهُمْ مِنَ الْإِنْعَامِ فِي خِلَالِ مُبَاشَرَاتِهِمْ بِالْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لَذَلِكَ وَغَيْرِ الْأَسْبَابِ ، وَعَوَائِدِ أَرْبَابِ التَّقَادِمِ وَالصَّنَاعِ وَغَيْرِهِمْ .

وَمِنْهَا ضَبْطُ مَا يَصِلُ إِلَى الْخِزَانَةِ مِنْ تَقَادِمِ الْمُلُوكِ وَالنُّوَابِ ، وَيُقَابِلُ مَا يَصِلُ مِنْهَا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَيَحْتَزِرُ زِيَادَتَهُ مِنْ نَقْصِهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى خَاطِرِهِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : «لَأَنَّ» ؛ وَاللَّامُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «فَضْلٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) التَّقَادِمُ : جَمْعُ تَقْدِمَةٍ بِكَسْرِ الدَّالِ ، وَهِيَ الْهَدِيَّةُ ؛ فَعُطِفَ عَلَى الْهَدَايَا مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْمُرَادِفِ .

(٤) الْمُرَادُ بِالْعَوَائِدِ هُنَا : الصَّلَاتُ ، وَاحِدُهُ عَائِدَةٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : «وَتَصَارِيفٌ» بِالتَّاءِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْمُرَادُ بِالْعَوَائِدِ جَمْعُ عَادَةٍ . كَمَا فِي الْمَصْبَاحِ الْمُنِيرِ ، وَلَمْ نَجِدْ هَذَا الْجَمْعَ فِي غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ ؛

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ نَبَهْنَا عَلَى ذَلِكَ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ١ مِنْ صَفْحَةِ ١٣٩ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .

فإن سألته ولي الأمر عنه أجابه ، وإلا فلا يبدؤه ، ويضبط عادات مُهاداة الملوك
وما جُهِزَ إلى كلٍّ منهم في السنين الحالية ، وما كان قد وصل من هداياهم ، وما جرت
عليه عادات رسالهم وقصَادِهِمْ^(١) من التشاريف والإنعام .

ومنها ضبط ما جرت به العادة من كُسا أرباب العوائد المقررة في كل سنة^(٢)
على اختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والماليك السلطانية وغيرهم ،
وتواريخ صرف الكسوة اليهم .

ومنها تجهيز ما جرت العادة بأن يُجهز في خرائن الصحبة عند استقلال ركاب
السلطان من مقر مملكه ، إما إلى الصيد والترحلة ، وإما لكشف مملكه عند أنتقاله^(٣)
من مملكة إلى أخرى ، أو في حروبه عند ملاقات الأعداء ، فيجهز ما جرت به العادة
في ذلك ، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم ولي الأمر ، ولا يستكثر من استصحاب
صنف من الأصناف عند توجهه إلى معدن ذلك الصنف ومظنته ، ولا إلى الخزانة^(٤)
منه بحمله ، بل يستصحب منه ما يكون معه ذخيرة واحتياطاً ، إذ لو طاب الملك ذلك
الصنف في مسيره قبل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يستد به
الضرورة ، ولا يعتذر بأنه ما استصحبه معه بحكم توجهه إلى معدنه ، وأنه فعل
ذلك للصاحبة الظاهرة ، فإن الملوك لا تحمل مثل ذلك ، ولا تصبر على أن يفقد

(١) في الأصل : « ونضادهم » ؛ وهو تحريف .

(٢) العوائد : الصلات .

(٣) في الأصل : « ممالكه » والياء زيادة من النسخ .

(٤) في الأصل : « بالجملة » ؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة ، والمعنى على ما أثبتنا :

أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة ، بل يحمل منه إليها ما تدعو الحاجة إلى جملة .

من ذخائرها ما تطلبه ؛ ويستكثر من استصحاب الصنف المعدوم في ذلك الوجه الذي يتوجه إليه ، ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه في مسيره وعوده ؛ والله أعلم .

(١) ومنها ضبط ما يتسلّمه الصّناع من مُزركش وخياط وفَتّاء ونَجّاد وسَرّاج^(٢) وخرَدقوشى وغيرهم بالوزن والذّرع والعدد ، ويُحرّزه عند استعادته من صانعه .

ومنها تحرير ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يُحمل منها في كلّ مُدة ليطالب به إن تأخر عن وقته ؛ وإن قلّ صنف من الأصناف عنده يبادر بمطالبة وزير المملكة أو مدبرها بذلك ليخاّص من عُهدته ، وعلى وزير المملكة ومدبرها طلب ذلك الصنف من مظانه وحمله إلى الخزانة .

وأما ملبوس الملك المختص بنفسه وعادته في التفصيل والحبس والطول والسّعة^(٤) فهو أمر متعلّق برأس نوبة الجندارية^(٥) ، وهو المقدّم عليهم ، فعليه أن يحضّر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافق لغرضه ، فيفصل منه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل ، وعلى معلّم الخياطين الدّرك في طوله وسعته وهندامه ، ولا يستغنى المباشرة عن معرفة ذلك ، ولا يستغنى أيضا عن معرفة

(١) في الأصل : « وفيها » ؛ وهو تحريف .

(٢) النجاد بتشديد الجيم : من يعالج الفرش والوسائد ويخيطها .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم في كتاب المعرب والدخيل للمدني المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة وورد في هذا الكتاب في تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يقولها أهل الحرمين لصانعي السروج ونحوها ، وليس له أصل في اللغة العربية اه والذي في الأصل « خردقوسى » بالقاف والسين ، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعله يريد بالحبس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

قِيم الأشياء على اختلافها وعادة التفصيل والترفية^(١) والجنس^(٢) والحيث^(٣) وإيشارك رب كل صنعة في صناعته بنظره ولسانه ، ولا يكون في ذلك مقلدا جملة ، بل يشاركتهم فيما هم فيه ، وعليهم الدرك^(٤) دونه فيما لعله يعرض في ذلك من خال إن وقع ، لأن هذه الصناعات زائدة على وظيفته ولازمة لأوائك^(٥) ، فأثما رجل آجتمعت فيه هذه الأوصاف تعين على ولي الأمر ندبه لمباشرة الخزانة ، وقرره كفايته ، وألزمه إن امتنع .

وأما مباشر بيت المال — فعمدته على ضبط ما يدخل إليه وما يخرج منه ، ويحتاج في ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقيم لكل عمل من الأعمال وجهة من الجهات أوراقا مترجمة^(٦) باسم العمل أو الجهة ، ووجود أموالها ، فإذا وصل إليه المال وضع الرسالة الواصلة^(٧) قريبة^(٨) من ذلك العمل ، ثم شطبها^(٩) بما يصح عنده من أوصل إليه ، وذلك بعد وضعه في تعليق المياودة ، فإن صح الواصل صحبة الرسالة كتب لمباشر ذلك العمل رجعة^(١٠) بصحته ، وإن نقص ضمن رجعته : من جملة كذا ، وأستثنى بالعجز والرد ، وبرز بما صح ، وأعاد الرد على مباشر ذلك العمل وأثبت في بيت المال ما صح فيه ، فإن كان العجز عن اختلاف الصنجات^(١١) عينه في رجعته

(١) في الأصل : التقربة ؛ وهو تحريف إذ لم نجد في راجعناه من المظان والترفية : مصدر رفا الثياب بتشديد الفاء : إذا لأم خروقها ، والتشديد في هذا الفعل للتكثير والمبالغة . وهو وإن لم يوجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة فقد ورد في شعر أبي العلاء المعري ، قال :

ألقى عليها جليسي في الدجى حمى * فتقام عنها بأثواب يرففها

انظر هذا البيت في لزوم ما لا يلزم ص ٥١ طبع مضبوطة المحروسة بتصر .

(٢) في الأصل : «العترة» ؛ وهو تحريف إذ لم نجد فيما بين أيدينا من المظان ؛ والجنس : من جندرت الثوب ، إذا أعدت وشبه بعد ذهابه قال الجوهري : وأظنه معرب .

(٣) من ذلك العمل : أي من أوراق ذلك العمل .

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٥) الصنجات : جمع صنجة بفتح فسكون ، وهي ما يوزن به ؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح مادة «سنج» والسين فيها أفصح من الصاد ؛ وهو معرب .

ولا شيء على مباشر العمل ، وإن كان مع اتفاقها فلا يعتد لمباشر العمل أو الجهة إلا بما صح في بيت المال .

- ويحتاج كاتب بيت المال إذا عمل جامعةً لسنة إلى أن يضم كل مال وصل إليه إلى ما هو مثله ، من الخراج والجوالي والأنحاس وغير ذلك بحسب ما يصل إليه ، ويفصل جملة كل مال بنواحيه التي وصل منها ، ويستشهد فيه برسائل المحمول ، ويضيف إلى جملة ما انعقد عليه صدر الجامعة من الأموال ما أنساق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التي قبلها ، ويفدك^(١) [بعد ذلك]^(٢) ، ويعرف ما لعله صرفه من نقد بنقد في توارينه ، ويستقر بالجملة بعد ذلك ، ثم يشرع في الخصم ، فيبدأ منه بما حمله إلى المقام على يد من حمل على يده وتسلمه ، من الخزندارية والجمدارية وغيرهم إن كان ، ثم يذكر ما نقله إلى الخزانة ويستشهد فيه برجعاته ، وما نقله إلى الخوايج خاناه والبيوت والعائر وغيرها بمقتضى استدعاءات هذه الجهات ووصلات مباشريها ، وفي أرباب الجاميكات والرواتب والصلات بمقتضى الاستثمارات والتواقيع السلطانية ، فإذا تكامل الحمل والمصروف عقد عليهما جملة وساق ما بقي إلى الحاصل ، والله أعلم .

- وطريق مباشر بيت المال في ضبط المصروف أن يبسط جريدة على ما يصل إليه من الاستدعاءات والوصلات من الجهات ، وأسماء أرباب الاستحقاقات

- (١) يقال : فذلك الحاسب حسابه . إذا أنهاد وفرغ منه ، وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب : فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .
- (٢) موضع هاتين الكلمتين في الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .
- (٣) انظر تفسير الخزندارية والجمدارية في الحاشيتين رقم ٣ و ٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .
- (٤) في الأصل : « استدعاءات » وهو تحريف .
- (٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .
- (٦) في الأصل : « الاستثمار » ؛ بالثاء ، وفيه تصحيف ونقص ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

والجائميّات والرواتب والصّالات ، وما هو مقرّر لكلّ منهم في كلّ شهر بمقتضى
 توقيّعهم أو ما شهدت به الاستمارات القديمة المخدّدة في بيت المال ، ويشطب
 قبالة كلّ اسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقداً من بيت المال ، أو حوالة
 تُفرّع على جهة تكون مقرّرة له في توقيّعه ، ويوصل إلى تلك الجهة ما فرّعه عليها ،
 وكذلك إذا أحال ربّ استحقاق غير ثمن مبيع أو غيره على جهة عادتها تحمّل إلى بيت
 المال سوغ ذلك المال في بيت المال ، وأوصاه إلى تلك الجهة ، والتسويغ
 في بيت المال هو نظير المجرى ، وإذا وصل إليه استدعاء من جهة من الجهات
 أو وصول وضعه في جريدته ، وخصمه بما يقبضه لربه ، ويُشهد عليه بما يقبضه ،
 ويؤرد جميع ذلك في تعليق المياومة .

وأما مباشر أهراء الغلال — فبني أمره أيضاً على ضبط ما يصل
 إليه ، وما يُصرف من حاصله ، ويحتاج في مبدأ مباشرته إلى تحرير ما أنساق من
 حواصل الغلال بأصنافها ، وإن أمكنه تمييز ذلك بينه ، ويكون أتمّ لعمله ، ثم يسط
 جريدة يرصع فيها أسماء نواحي الخاّص السلطانيّ التي تصل الغلال منها إلى الأهراء

- (١) يشطب : أى يقيد كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .
 (٢) في الأصل : « بفرع » ، وهو تحريف . (٣) في الأصل : « مبيع » ، بالذ ، وهو تصحيف .
 (٤) في الأصل : « صوغ » ، بالصاد ، وهو تحريف اذ لم تنف على معنى له يناسب السياق . ولعل
 صوابه ما أثبتنا كما استفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال في نظريّة بيت المال ما نصه : وموضوعها
 حمل حول الملكة الى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا الخ .
 والتسويغ : التجويز ، يقال : سوغه له ، أى جوزه ، والمراد به هنا : الإذن في تناول الاستحقاق
 من جهة معينة تسيرا وتسهيلا على الآخذ (الناج) .
 (٥) في الأصل : « والتسويغ » ، بالصاد ، وهو تحريف انظر الحاشية السابقة .
 (٦) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل . (٧) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥
 من هذا السفر . (٨) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

- (١) فإذا جاءت رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت أسم الجهة وعبر ما وصل قرينها، فإن صح صحتها كتب لتلك الجهة رُجعة بالصحة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المركب أو الظهر الذي حمل ذلك الصنف قد سَفَر من ديوان الأصل، أو سَفَره مباشر العمل من جهته، فإن كان قد سَفَر من ديوان التسفيرات طالب مباشر الأهرام متقدم رجال المركب والأمين المسفّر عليه بالعجز، وألزمهما بحمله، فإن كان قد سَفَر من الأعمال كان درك ذلك على من سَفَره، ومباشر الأهرام بالخيار بين أن يطالب محضر الغلة بالعجز، أو يرجع على مباشر العمل به، ويكون مباشر العمل هو المطالب لمن سَفَره، والأولى طلب محضر الغلة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المباشر الذي سَفَره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يعد كان مباشر الأهرام قد أضر بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغرم مع قدرته وتمكنه من استرجاعه ممن عدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك في التفريط، وإن وصلت إليه الغلة متغيرة تغيراً ظهر له منها أنها خلطت بغيرها، إما بوصول عين تلك الغلة إليه، أو بقرينة الحال التي يعلم منها أن تلك الغلة لا يوجد مثلها من فلاح، ولا يُعتد بها من خراج السلطنة اظهور غلتها، أو وصلت إليه الغلة مبلولةً بللاً ظاهراً لتزيد عند الكيل وتتميز نظير ما أخذ منها، فله أن يعمل لذلك معدلاً، وهو أن يكيل منها جزءاً معلوماً ويغربله حتى يصير مثل العين التي عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالته

(١) في الأصل : « هذه » وهو تحريف .

(٢) يقال عبرت الشيء : اذا نظرت كم هو كيلا أو وزنا .

(٣) في الأصل : « الغريم » ؛ والياء زيادة من النسخ .

(٤) الغاث بفتحين : اسم لما تخلط به الحنطة ، يقال : غثت الحنطة بالشعير : أى خلطتها به

(المصباح) .

(٥) تميز : أى ترتفع ، وهو من الميز بمعنى الرفعة ، كما في مستدرك التاج .

٣٩

الأولى، ويحرر العجز على هذا الحكم، ويطالب به مُحضَر الغلة؛ وينبغي له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخلطها بغيرها، فإنها بعد بللها لا تحمل طول البقاء؛ هذا ما يعتمد في القبض .

وأما في المصروف، فإن كان إصاحب جارية أو صلة أو إنعام أو تقا^(١) لفلاح صرف ذلك من عرض حاصله، ويراعى في صرف التقاوى أن تكون من أطيب الغلال وأفضلها، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند استيفاء الخراج؛ وإن كان ما يصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم المخازن، أو للإسطبلات والمناخات برسم العليق غربله، وحرر نقصه، وأورده في جامعته من الفذلكة^(٢) واستقرار الجملة؛ ومباشرة الأهرام مناسبة في أوضاعها لمباشرة بيت المال .

ذكر مباشرة البيوت السلطانية

وهي الحوائج خاناه، والشراب خاناه، والطشت خاناه، [والفراش خاناه] ^(٤)، والسلاح خاناه؛ وأمر البيوت معذوق^(٥) بأستاذ الدار ^(٦) .

فيحتاج مباشر الحوائج خاناه إلى أمور: منها ما يحتاج إليه من راتب السباط العام والطارئ — وهو الطعام الثاني الذي يُمَدَّ بعد قيام السلطان من المجلس العام، ويأكله

(١) التقاوى من الحبوب: ما يعزل لأجل البذر؛ وهي عامية (مستدرك التاج) .

(٢) في الأصل: « وأن »؛ والواو زيادة من النسخ .

(٣) الفذلكة: حاصل الحساب، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السفر .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التي سيذكرها فيما يأتي .

(٥) في الأصل: « وأمر »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) معذوق: أي منوط ومرتبطة كما يناط العذق بكسر العين — وهو القنو — بالنخلة؛ وقد ورد

هذا اللفظ في مواضع من هذا الكتاب وفي مؤلفات أخرى مراداً به هذا المعنى .

خوَصَّ المَلِكَ ومن يَحْضُرُهُ بين يدي السلطان ، وهو أَخْصُّ من السَّباط الأول —
وطارئ الطارئ وهو الطعام الثالث الذي يُمدَّد بعد رفع الطارئ ، ومنه يأكل الملك
وخوَصَّهُ ، وقد يأكل السلطان من الطارئ الذي قبله ، فيحترق ما يحتاج إليه
من لحوم وتوابل وخَضْرَواتٍ وأَبَازِيرٍ وتَحَالٍ وقلوبٍ وطيبٍ وبنجور وأحطاب
وغير ذلك ، ولذلك عندهم معدَّلٌ قد عرفوه فلا يتجاوزده ، فإنه إن صرف زيادة عنه
بغير سبب ظاهر خرج عنه وكان تحت دَرَكِهِ .

ومنها معرفة مقادير الأسمطة في أوقات المهمات والأعياد ليجرى الأمر فيها
على العادة ، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تعاهد أسماء الحوائج خاناه ، فيستدعى ما يراه قد قلَّ عنده منها قبل
نفاده بوقت يمكن فيه تحصيله ، فإن أُنْزِلَ طَلَبَ ذلك إلى أن ينفد ، أو طلبه في وقت
ولم يبقَ عنده منه ما يكفيه إلى أن يأتيه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشرة تحت
دَرَكِ إهماله ، ومتى طَلَبَ ذلك في وقته وطالع ولي الأمر به فقد خَاصَّ من عَهْدَتِهِ .
ويحتاج إلى بسط أسماء مَنْ يُعَامَلُ بالحوائج خاناه من قصاب وحيواني
وطيوري وغيرهم ، ويَحْضُرُ لِكُلِّ منهم ما أحضره في كل يوم ، فإذا اجتمع له من ذلك

(١) الأَبَازِيرُ : جمع أَبْزَارٍ ، وهو جمع بزر بالفتح والكسر ، فأَبَازِيرُ جمع الجمع .

(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والفسق وغيرها مما يؤكل قلبه ، كما يستفاد من خطط
المقريزي ج ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق في الكلام على دار الفطرة .

(٣) «عنه» : أى عن المعدل .

(٤) في الأصل : «اشتاله» ؛ وهو تحريف .

(٥) من يعامل : أى من يعاملهم ، وهم الذين يشتري منهم الأصناف المطلوبة للحوائج خاناه ؛ والذي
في الأصل : «من العامل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٦) في الأصل : «ويحضر» بالضاد ؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبته جرد له محاسبة ضمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثمنه ، إما بتعريف الحسبة ، أو بعادة استقرت له ، وأحاله بمبلغ ما وجب له على بيت المال ، أو استدعى من بيت المال ما يُنفق منه ^(١) وأشهد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسماء أرباب الرواتب السلطانية وأرباب الصلوات ، وما لكلِّ منهم في كلِّ يوم ، وخصمه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة ، صنفًا أو حوالة ، ويراعى حال من مريض من الممالك السلطانية ويُقال من اللحم إلى المزاوي ^(٢) أو المساليق فيقطع مرتبته من اللحم في مدة مرضه ، ونظير ذلك من التوابل في مدة مرضه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسل الواردين ، والأضياف المترددين ، ومرتب الصدقة في شهر رمضان ، وعادات الأضياف والصلوات في عيد النحر ، فيجرى الأمر على حكم العادة ، ويضبط جميع ما يصل إليه من ديوان المتجر ومطابخ السكر وغيرها ، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف ، ويضبط أيضا ما استقر في كلِّ ليلة من الوقود من شمع وزيت ، ويصرف على ما استقر عنده ، وإذا ساءل شمع الوقود إلى الطشتدارية وزنه عليهم ، وعبره عند إعادته في بكرة النهار ليتميز له النقص ،

(١) عبارة الأصل : « ما نفق فيه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولعله يريد جمع « مزورة » بتشديد الواو المفتوحة ، وهي مرقعة يطعمها المريض ، وهي مولدة ، كما في شفاء الغليل ، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من المظان .

(٣) في الأصل : « المصاليق » بالصاد ؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان .
والمساليق : جمع مسلوق ، وهو من سالت البقل ونحوه : إذا أغلته بالنار ؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة ، وهو ما طبخ بالماء وحده .

(٤) في الأصل : « والأصناف » ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره : أى نظر كم وزنه .

وَيَضْبِطُ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَصِلُ إِلَيْهِ وَيُنْزِلُ عَنْهُ مِنْ عَادَاتٍ مِنْ قَنِيعٍ ^(١) وَتَبَتَّلَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَرِدُ وَمَا يُرْتَّبُ وَيَزَادُ وَيُقَطَّعُ .

وأما الشراب خاناه — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكر والأشربة ^(٢) والدرياقات ^(٣) والسفوفات ^(٤) والمعاجين والأقراص ^(٥) والأقسما ^(٦) والفقاع ^(٧) والبلح ^(٨) والأبقال ^(٩) والحلويات ^(١٠) والجوارشات ^(١١) والنواكه ، وما يجرى هذا المجرى ؛ وأمر هذا البيت الخاص ^(١٢) معذوق ^(١٣) بأمير مجلس ، والعام ^(١٤) بأستاذ الدار ؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف ،

(١) عبارة الأصل : « من داءات ما نعق » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الزواجب التى جعلت للزهاد والمنقطعين إلى العبادة من طعام وشراب .

(٢) الدرياق والترياق بالدال والتاء : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسي معرب .

(٣) الأقسما : شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون ويطرح فى ذلك يسير من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء الغليل أن الأقسما : نقيع الزبيب ، قال : وأظنه معرب « أبقسا » .

(٤) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، وسمى بذلك لما يرتفع فى رأسه ويعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يبتل ويخفف ويطحن ويضاف إليه من دقيق الحنطة قدر مثليه . إلى آخر ما ذكر فى كيفية صنعه .

(٥) الحلويات : جمع حلوى بفتح فسكون : نسبة إلى الحلوى بقصر الألف .

(٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ؛ وفى المعجم الفارسي الانجليزي تأليف ستاينجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر ، وأنه يساعد على الهضم .

(٧) فى الأصل : « خاص » بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : « والعام » .

(٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك في عقد الأشربة والحلويات، وما يعقده للشروب وما يصرفه من ذلك، ومعرفة عادات الأسمطة والطوارئ والرواتب المقررة في كل يوم، فيجري الأمر فيها على العادة المستقرة، وما يستدعيه السلطان على حسب الاتفاق، وما يصرف للرضى من الممالك السلطانية من أنواع الأشربة والمعاجين وغيرها بمقتضى أوراق الأطباء؛ هذا ما يعتمد عليه مباشرها والله أعلم .

وأما الطشت^(١) خاناه — فهي بيت تكون فيه آلة الغسل والوضوء، وقماش^(٢) السلطان البياض الذي لا بد له من الغسل، وآلة الحمام، وآلات الوقود؛ فيكون في هذا البيت من الآلات : الطشت^(١) والأباريق والسخانات والطاسات والكراسي^(٣) والستائر^(٤) واللبابيد^(٤) المختصة بالحمامات والسجادات^(٥) والتمرققات^(٥) والمناشف وفوط الخدمة ومقاعد الجلوس من الجوخ والبسط، وغير ذلك، والمباخر وأنواع البخورات والطيب والغوالي^(٦) وماء الورد والمسك، وغير ذلك من الأصناف التي تلائم هذا البيت؛ ويستدعى ما يحتاج إليه برسم هذا البيت من الحوائج خاناه والخزانة؛ والله أعلم .

(١) الطشت بالشين المعجمة لغة في الطشت بالسين المهملة؛ وقد نقلت هذه اللغة في شروح الشفاء، فقييل : هي خطأ، وقيل : بل هي لغة .

(٢) الذي يستفاد من مستدرك التاج وكتاب المعرب والدخيل للذنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عامي .

(٣) البياض : أى ذو البياض؛ فوجه الوصف به ظاهر .

(٤) كذا ورد هذا الجمع في الأصل؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة؛ والمراد بها هنا : اللبود، وهى البسط من الصوف الملتبذ، واحده لبذ بكسر اللام .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا «التمرققات»؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . والتمرققات بضم النون والراء : الوسائد .

(٦) الغوالى : جمع غالية، وهى ضرب من الطيب؛ وإنما سميت بهذا الاسم لأنها أخلاط تغلى على النار مع بعضها، وأول من سماها بذلك سايان بن عبد الملك (انظر تاج العروس) .

- وأما الفراش خاناه - فيكون فيها أنواعُ الفرش والخيام والخزكاهات^(١) والتخوت وقصور الخشب التي تُنصب في الدهاليز، وحمامات الخشب التي تُنقل على الظهر في الأسفار، وما يتعلق بذلك من اللبابيد^(٢) وشلائت^(٣) النوم وغير ذلك؛ وهو بيت متسع فيه حواصل كثيرة لها قيم جلية تحتاج إلى ضبط ومعرفة، فإن مباشر هذا البيت يحتاج إلى معرفة ما يحتاج إلى استصحابه في أسفار السلطان لخاصته ولما يليكه على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُنصب برسم آدر السلطان ومن يتبعها من الخدام وما يُنصب برسم البيوت السلطانية الخزائن فما دونها، وما يُنصب لأرباب الوظائف من المباشرين الذين يكونون في صحبة الركاب السلطاني، ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية والكلابزية^(٧) والجواري؛ ويميز بين خيام الصيد والنزه والأسفار والحروب، وغير ذلك من الحركات التي يحتاج فيها إلى استصحاب الخيام
- ١٠

(٤١)

- (١) في الأصل : « والخزكاهات » ؛ وهو تصحيف اذ لم نقف عليه في اراجعناه من المظان . والخزكاهات : جمع خرگاه . وأصله بالفارسية « خرجاه » ، ومعناها : القبة ، كما في المعجم الفارسي الانجليزي تأليف ستينجاس .
- (٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .
- (٣) الشلائت : لفظ يستعمله العامة ويريدون به الفرش المحشوة . ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا .
- (٤) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
- (٥) في الأصل : « الخاصة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده .
- (٦) الآدر : جمع دار .
- (٧) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير المباشرين حتى الكلابزية » وفيها تكرار وقع من الناسخ ؛ واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا ؛ والكلابزية : هم الذين يكلفون بخدمة الكلاب والقيام عليها ، كما يستفاد من كتاب معبد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدن . وفي شفاء الغليل : أن الكلبزية هي المعرفة بحال الكلاب السلوقية .
- (٨) في الأصل : « خادم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق .
- ٢٠

ولكل حركة منها ما جرت به العادة من خيام المقيم والسفر^(١)، ويعرض ما يسلمه للفرّاشين عليهم، ويضبط صفاته عند السفر، ويستعيد منهم عند العود بعرض ثانٍ، وكذلك ما يسلمه لأرباب الوظائف، ويضبط أيضا ما يتسلمه الصّناع الذين يفصلون الخيام الحديد وغيره من آلات الفرّاش خاناد : من فُماش بياض ومصبوغ^(٢) وغزل وجلود ومشمّعات وشعر وأخشاب، وغير ذلك، ويعرف عوائدهم في الأجر^(٣)، ويحاسبهم على ما يستحقونه من الأجر بحسب أعمالهم فيحيلهم بمبلغه .

وأما السلاح خاناه — فهي من أعظم البيوت وأهمّها، وأمرها راجع^(٤) الى أمير سلاح، وعلى المباشرفيها حفظ ما يدخل إليها، وضبط ما يخرج منها مما يتسلمه السلاح دارية والزرد كشية^(٥) والحرب دارية والرّيح دارية من أنواع السلاح وأصنافه اذا ركب السلطان أو جلس في المجلس العام، واستعادته منهم، وإعادته لهم، والاعتداد لهم بما أنعم به السلطان وزهّبه مما كان بأيديهم، ويوصل ما يصل الى السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرها، وما يصل اليه من سيوف الأمراء الذين يرسم^(٦) بأعتقالهم، وما يحمل اليه من سلاح من توفى من الأمراء على جارى العادة . « ويميز ذلك من غيره » وعليه أن ينبّه أمير سلاح على ما عنده من العدد التي نخشى عليها التلف

(١) في الأصل : « والسبق » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالبياض : ذو البياض ، كما سبق في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر .

(٤) لعله : « لها » .

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « ويمين » ؛ وهو تحريف . وقد وردت هذه الجملة في الأصل قبل قوله :

« وما يحمل اليه » وسياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

بتطاول المدة ليأمر بكشفها وإصلاحها : من مسح ودهان وصقل وجلاء وشحذ^(١) وتثقيب وتخز، وغير ذلك .

وجميع ما قدمنا ذكره من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلمية ، بل العملية خاصة ، فإن علوم الكتابة إنما تظهر في نظم الحسابات ، ولا تُنظم فيما قدمناه ، والعمدة في صناعة الكتابة على مباشرة الهلالى والخراجى على ما يأتى بيان ذلك . إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات أموال الهلالى ووجوهها وما يحتاج إليه مباشرها^(٢)
والهلالى عبارة عما تُستأدى أجوره مشاهرة ، كأجر الأملاك المسقفة من الأدر^(٣)
والخوانيت والحمّامات والأفران وأرحية الطواحين الدائرة بالعوامل^(٤) ، والراكبة على المياه^(٥)
المستمرة الجريان ، لا الطواحين التى تدور بالمياه الشتوية فى بعض نواحي الشام ،
فإنها تجرى مجرى الخراجى ، وسندكر ذلك إن شاء الله فى موضعه ، ومما نورد فى أبواب
الهلالى عداد الأغنام والمواشى ، ومن الهوائى^(٦) الجهات الهلالية المضمونة والمحولة ،
والذى يعتمد عليه مباشره أن يتخير لكل جهة من يستأجرها بقيمتها ، وما لعله يتعين

(١) فى الأصل : « ونجد » بالنون والداال ؛ وهو تحريف .

(٢) يريد بالوجود هنا : الطرق ، أى طرق الكتاب واصطلاحاتهم فى كتابة هذه الأموال ، فلا تكرار
بينه وبين قوله : « جهات » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السفر .

(٤) الأرحية : جمع رحي ، وهذا الجمع نادر ، بل نقل الأزهري عن أبي حاتم أنه خطأ وأن الصواب
فى جمعه أرحاء .

(٥) العوامل : البقر .

(٦) المراد بالهوائى : ما ليس له سقف ؛ وعبارة المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق :
« والجهات الهوائية المضمونة والمحولة » .

من الحِيطَة^(١)، ويلزم المستأجر بكتابة إجارة شرعية لمدة معلومة بأجرة معينة؛ ويخلدّها في ديوانه؛ وإن كانت الجهة هوائية ألزم ضامنها بكتابة حجة بمبلغ الضمان، وطالبه بمن يكفله من الضمان الأملاء^(٢) القادرين بالمال في الذمة^(٣)، فإن تعدّر في الوجه^(٤)؛ فإذا خلّدت الحجة عنده كتب له من ديوانه تقريراً عين له فيه استقبال مدة ضمانه، ومبلغ الضمان وأقساطه مبسوطاً أو منجّمة^(٥)، ويذكر فيه ما يستأديه من رسوم تلك الجهة على ما تشهد به الضرائب المخدّة في الديوان، وسلم إليه؛ فإذا تكاملت عنده إجازات الأملاك وحجج الضمان بسط على ذلك جريدة يشرح فيها الجهة، وأسم مستأجرها أو ضامنها، واستقبال مدة إيجاره أو ضمانه، ومبلغ الأجرة أو الضمان في السنة والشهر واليوم؛ وإنما ذكرنا اليوم لما يتحصّل من أقساط أيام سلوخ الشهور الناقصة^(٦)، ولمّا كانت العادة جارية به من استخراج قسط يوم التعديل من سائر ضمان الجهات

٤٢

(١) في الأصل : «الغبطة» بالغين والباء الموحدة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ والحِيطَة اسم من الاحتياط؛ والمعنى أنه يلزمه القيام بما يتعين عليه من الاحتياط والأخذ بالثقة في إجارة كل جهة .

(٢) «الأملاء» بهمزتين : جمع ملىء، وهو الثقة الغنى، وقد أولع الناس فيه بترك الهمة وتشديد الياء .

(٣) «بالمال» متعلق بقوله : يكفله .

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه، أى ان تعدّر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنياً .

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا : المدفوعة مرة واحدة، كما تدل عليه مقابله بالمنجّمة؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، فاعلمه اصطلاح الكتاب الدواوين في زمن المؤلف لأن دافع المال يبسطه في المجلس ولا يؤجله .

(٦) المنجّمة : هى التى يقدر عطاؤها في أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساناة؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها، فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى .

(٧) الإيجار مصدر آجر، يقال : آجرت زيدا الدار مثلاً اذا أكريتها .

(٨) في الأصل : «لوح» باللام والحاء؛ وفيه نقص وتصحيف .

- الهوائية ، وهو قسطن يوم واحد في سائح ثلاث سنين يؤخذ من الضمان خالصا للديوان
زيادة على الأقساط ، وهذا يستأدى في بعض أقاليم الشام ، وإنما أوردناه خشية
الإخلال به ، ويكون بسطه لذلك في يمنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذي
يتخلله خيط الجريدة ، فإن اتفق في جهة زيادة في أثناء السنة قررنا في تعليق المياومة ،
ووضعها في الجريدة بما صورته : ثم استقرت بأسم فلان لاستقبال التاريخ الفلاني
بكذا وكذا ، العبرة كذا ، والزيادة كذا ، ويحاسب المستأجر أو الضامن المنفصل
عما استحق عليه إلى حين انفصاله ، ويلزمه بالقيام به ، وذلك بعد أن يعرض
على الضامن المستقر ما زاد عليه ، فإن اختار قبول الزيادة على نفسه قبل ذلك منه ،
وكان ذلك له ، فإن زيدت عليه في الوقت زيادة ثانية لم يكن له الاستمرار في الجهة
إلا بزيادة على تلك الزيادة الثانية ، وإذا انقضت مدة مستأجر أو ضامن وأراد
الخروج من تلك الجهة ، فإن كان قد غلق ما عليه من الأجرة أو الضمان لم يكن
للمباشر إلزامه بالاستمرار بها ، وإن أنطرد عليه باقي كثيرا كان أو قليلا لزمه استئناف
عقد جديد نظير العقد الأول ، هذا اصطلاحهم في الديوان ، ولهم اصطلاحات
أيضا نحن نذكر ما تيسر منها ، إذ لا يمكن الإحاطة بجميعها لاختلاف أحوال
المباشرات ، ولو استقصينا ذلك لطال ، فمن اصطلاحاتهم أن المباشر يسلم للمستأجر
الطاحون عند أذان المغرب من اليوم الذي حصل فيه الإيجار أو الزيادة لاستقبال

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « علق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب سياق الكلام ؛ وعلق بالعين المعجمة وتشديد اللام : أى تم وكل ، وهذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة في زماننا ؛ ولم نجده فيما راجعنا من كتب اللغة ، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(٣) في المصباح وغيره أنه لا يقال انطرد إلا في لغة رديئة .

اليوم الثاني، ويسلم الحمام من وقت التسبيح، ويسلم بقية الجهات لاستقبال غرة
النهار؛ وإذا دخل ضامن نيلة قوم^(١) للمنفصل ماله بالحواي من مياه الأصباغ المختلفة
بالقيمة العادلة، ولا يمكن من أخذ ذلك من المصبغة لما فيه من الإضرار بهما،
أما ضرر المنفصل فلفساد المياه، وأما ضرر المتصل فلا أنه يتعطل مدة إلى أن
تختمر له مياه غيرها، ولا يمكن ضامن المصبغة المنفصل من أخذ خابية وإن كانت
ملكه، بل القيمة عنها، هذا أصطلاحهم؛ وليحترز مباشر الجهات الهلالية من قبول
زيادة بسطا في جهة منجمة قد مضت أقساطها الخفيفة وبقيت الأقساط الكبار،
لما يحصل في ذلك من التفاوت والنقص على الديوان مع وجود الزيادة الظاهرة،
مثال ذلك أن تكون جهة مضمونة في كل سنة بأربعة آلاف درهم منجمة، قسط
سنة شهور ألف درهم، وقسط الستة شهور الثانية ثلاثة آلاف، فأنقضت الستة
الأول، وحصلت زيادة في الجهة في أول الستة الثانية^(٢) مبلغ خمسمائة درهم في السنة
على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسط الستة شهور الثانية ألفين ومائتين
ونحسين درهما، وهي على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على
هذا الحكم نقصا، فيراعى المباشر ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا
لازما، ومهما استخرجه المباشر من مستأجر أو ضامن أو أجراه بوصول^(٣) لرب استحقاق
أو ثمن صنف، أو غير ذلك من وجوه المصارف أورده في تعليق المياومة، وصورة
وضعه لذلك أن يرصع المحضر أو المجرى عن يمنة القائمة، ويخصم عن يسرتها قبالة^(٤)

(١) في الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقضى ما أثبتنا.

(٢) في الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: «السنة»؛ وهو تصحيف.

(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين الناس في معاملاتهم بالإيصال. وفي شفاء
الغليل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر محسن، إلا أنها وقعت في الأشعار النازلة كثيرا.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

المُجَرَّى ، فيقول في يَمْنَتِها : من جهة فلان كذا ، وفي مَقَابَلَتِهِ : ينصرف في كذا ،
 ثم يَشْطُبُ^(١) المُخَضَّرَ والمُجَرَّى من تلك الجهة في يَسْرَةٍ قائمةٍ أَلْجَرِيدَةِ التي بَسَطَهَا قُبَالَةَ كُلِّ
 أَسْمٍ أَسْتَخْرِجَ مِنْهُ أَوْ أَجْرَى عَلَيْهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي مَدَّةِ السَّنَةِ ، وَيَرْمِزُ عَلَى تَعْلِيْقِهِ إِشَارَةً
 أَلْخِدْمَةِ عَلَى أَلْجَرِيدَةِ ، وَصُورَتُهُ [لَه] ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَتَبَ وَصُولًا رَمَزَ عَلَيْهِ إِشَارَةً
 الْكِتَابَةِ ، وَصُورَتُهُ لَه ، فَإِذَا أَنْقَضَتِ السَّنَةُ عَمِلَ مُحَاسِبَةً كُلَّ جِهَةٍ بِمَا أَسْتَخْرِجَهُ
 مِنْ مُسْتَأْجَرِهَا أَوْ ضَامِنِهَا وَأَجْرَاهُ عَلَيْهِ ، وَعَقَدَ عَلَى ذَلِكَ جُمْلَةً ، فَإِنْ كَانَ الْمُسْتَخْرِجُ
 وَالْمُجَرَّى نَظِيرَ الْأَجْرَةِ أَوْ الضَّامِنَ فَقَدْ تَغَلَّقَتْ^(٢) تِلْكَ أَلْجِهَةُ عَنْ تِلْكَ السَّنَةِ ، وَإِنْ زَادَ
 الْمُسْتَخْرِجُ عَلَى الْأَجْرَةِ أَوْ رَدَّهَ فِي حِسَابِهِ مَضَافًا ، وَيُسَمِّيهِ : زَائِدَ مُسْتَخْرِجٍ ، عَلَى مَا يَأْتِي
 بَيَانُهُ فِي كَيْفِيَّةِ الْأَوْضَاعِ الْحِسَابِيَّةِ ، وَأَعْتَدَ^(٣) لَهُ بِذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَإِنْ تَعَيَّنَ
 لِلضَّامِنِ أَوْ الْمُسْتَأْجِرِ أَعْتَدَادٌ بِمَا يَجِبُ الْأَعْتَدَادُ بِهِ كِبَطَالَةِ الْحَمَّامَاتِ مِنْ أَنْقِطَاعِ الْمِيَاهِ عَنْهَا
 أَوْ وَقُوفِهَا فِيهَا ، وَإِصْلَاحِ الْقُدُورِ ، وَعُطِّلَ الْعِمَارُ ، وَبَطَالَةِ الطَّوَا حِينَ لَا تَنْقُطِعُ الْمِيَاهُ
 وَأَنْكَسَارِ الْأَحْجَارِ أَوْ السَّهَامِ أَوْ الْعُدَدِ ، أَوْ حَصُولِ جَائِحَةٍ أَرْضِيَّةٍ أَوْ سَمَائِيَّةٍ كَأَنْقِطَاعِ^(٤)
 الْأَجْلَابِ عَنْ أَلْجِهَاتِ الْهَوَائِيَّةِ بِسَبَبِ مَدَاوِمَةِ الْأَمْطَارِ ، أَوْ سَقُوطِ الثَّلُوجِ ، أَوْ طُرُوقِ
 عَدُوٍّ لِلْبِلَادِ ، أَوْ حَادِثَةٍ عُطِّلَتْ تِلْكَ أَلْجِهَةُ بِسَبَبِهَا أَعْتَدَ لَهُ بِقِسْطِ تِلْكَ الْمَدَّةِ مُحْسُوبًا

(٣٣)

- ١٥ (١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .
 (٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقضى بإثباتها .
 (٣) في الأصل : « تَغَلَّقَتْ » بالعين ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .
 « وتَغَلَّقَتْ » الخ : أى تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الضمان ، كما يرشد اليه السياق ؛ وهو استعمال
 عامى كما سبق توضيح ذلك في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .
 ٢٠ (٤) في الأصل : « وامند » ؛ وهو تحريف . وفي المصباح انه يقال : اعتددت بالشئ ، أى أدخلته
 في العد والحساب .
 (٥) في الأصل : « حاجة » ؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والنازلة .
 (٦) الأجلاب بفتح الهمزة : جمع جلب بالتحريك ، وهو المجلوب .

(١) "هذا إذا شرط ذلك في تقريره" (٢) على ما يأتي شرح ذلك ؛ هذا ما يعتمد عليه المباشر للجهات الهلالية في أصولها .

وأما مضافاتها فلا فرق بينها وبين سائر الأموال ، وسيرد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصلاً ؛ وقد أصطلح بعض مباشرى الجهات على إيراد أحكار البيوت والخوانيت ، ورَّيع البساتين التي تُستخرج أجورها مشاهرةً ، ومصايد السمك ، ومعاصر الشَّيرج (٤) والزيت في مال الهلالي ؛ ومنهم من يوردها في أبواب الخراجي ، وهو الأتيق ، وإنما نبهنا عليه لبيان الاختلاف فيه ، ولا أرى في إيراد رَّيع البساتين في مال الهلالي وجهها ، بل يتعيَّن ألا يرد إلا في أبواب الخراجي ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون في أرض البستان مسكنٌ يستحقُّ أجرةً ، قلنا : إن أمكن إفراد ذلك المسكن بأجرة معينةٍ تُقيدُ أمواله في أموال الهلالي دون البستان ، وإن تعذر إفراده وأوجرا بعقدٍ واحدٍ فالمسكن هنا فرعُ البستان ، والفرعُ يتبع الأصل ولا ينعكس ، وهذا ما نلخصناه من حال مال الهلالي (٥) ، فلنذكر الجوالي .

(١) وردت هذه الجملة في الأصل قبل الجملة السابقة ، أي قبل قوله : « اعتد » الخ ؛ والسياق يقتضي تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « تقليله » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه قوله في صفحة ٢٢٩ س ٤ : « كتب له من ديوانه تقريراً » الخ .

(٣) في الأصل : « أصولها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ، كما في خطط المقریزی ج ٢ ص ٩٣ طبع المعهد الفرنسي .

(٤) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبرة في مستدرک التاج مادة « شرح » بالمعجمة ، وذكر أن العوام ينطقون به بالسین المهملة مكسورة ؛ وهو دهن السمسم .

(٥) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمة وما ورد فيها من الأحكام الشرعية
وأول من ضربها وقررها على الرؤوس وما اصطلح عليه
كتاب التصرف في زماننا من استخراجها وموضع إيرادها
في الحساب ونسبتها في الإقطاعات الجيشية وما يلزم
مباشرها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

- أما الأحكام الشرعية فالأصل في وجوبها قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ وقد ورد في هذه الآية تأويلات ذكرها أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - رحمه الله - في الأحكام السلطانية ، نحن نذكرها على ما أورده ، قال : أما قوله : « الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » فأهل الكتاب ^(١) [وإن] كانوا معترفين بأن الله سبحانه واحد ، فيحتمل [نفى] هذا الإيمان بالله تأويلين ، أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثاني : لا يؤمنون برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن تصديق الرسل إيمان بالمرسل ، وقوله : « وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يحتمل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيد اليوم الآخر وإن كانوا معترفين بالثواب والعقاب ، والثاني : لا يصدقون بما وصفه الله تعالى من أنواع العذاب ، وقوله تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » يحتمل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن نسخة الأحكام السلطانية طبع ألمانيا ، وقد أثبتناها

عن نسخة الأحكام السلطانية طبع مصر اذ بها يستقيم الكلام .

أحدهما : ما أمر الله سبحانه بنسخه من شرائعهم ، والثاني : ما أحله لهم وحرّمه عليهم ؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» فيه تأويلان ، أحدهما : ما في التوراة والإنجيل من اتباع الرسول — وهو قول الكلبي — ، والثاني : الدخول في دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ، وقوله : «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» فيه تأويلان ، أحدهما : من أتباع^(١) الذين أُوتوا الكتاب ، والثاني : من الذين ملّتهم الكتاب ، لأنهم في أتباعه كإيتائه ؛ وقوله : «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ» فيه تأويلان ، أحدهما : حتى يدفعوا الجزية ، والثاني حتى يضمّنوها ، لأنه بضمّانها يجب الكف عنهم ؛ وفي الجزية تأويلان ، أحدهما : أنها من الأسماء المجعّلة التي لا يُعرف منها ما أريد بها إلا أن يرَدَّ بيان^(٢) ، والثاني : أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل ؛ وأسمها مشتق من أجزاء ، وهو إما جزاء على كفرهم ، أو جزاء على أماننا لهم ؛ وفي قوله : «عَنْ يَدِ» [تأويلان ، أحدهما : عن غنى وقُدرة^(٣) ، والثاني : أن يعتقدوا أن لنا في أخذها منهم يداً وقُدرةً عليهم ؛ وفي قوله] : «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأويلان ، أحدهما : أذلاء مساكين^(٤) ، والثاني : أن تُجرى عليهم أحكام الإسلام . وقال غيره : الصغار أن يضرب على فكّ الذمّي برءوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضرباً لطيفاً غير مؤلم . وقال الماوردي :

٤٤

(١) إنما قدر هذا المضاف لأن الذين أُوتوا الكتاب أنفسهم لم يكونوا في زمن الإسلام فتؤخذ منهم الجزية ؛ والذي في نسخ الأحكام السلطانية «من أبناء» وكذلك في كتاب الحاوي الكبير للماوردي المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعي ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) في الأصل : «كإيتائه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فان الإيتاء هو مصدر «أوتوا» لا «الإيتان» ؛ والمعنى أنهم في أتباعه كأنهم أُوتوا الكتاب ؛ والذي في الأحكام السلطانية : «كأبنائه» ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : «تروتان» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما في الأحكام السلطانية ص ٢٤٧ طبع ألمانيا .

(٤) هذه النكلة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) في الأصل : «مسألين» ؛ وهو تحريف .

فيجب على ولي الأمر أن يضرب الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقترؤا بها في دار الإسلام؛ ويلتزم لهم ببذلها حقين : أحدهما الكف عنهم، والثاني الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين؛ روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم : "احفظوني في ذمتي"^(١) قال الماوردي : ولا تؤخذ من مرتد ولا دهرى ولا عابد وثن، وأخذها أبو حنيفة من عبدة الأوثان من العجم، ولم يأخذها منهم إذا كانوا عرباً؛ وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكتابهم التوراة والإنجيل، وتجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم؛ وتؤخذ من الصابئين والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم وإن خالفوهم في فروعه، ولا تؤخذ منهم إن خالفوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم؛ ومن جهلت حاله أخذت جزيته، ولا تؤكل ذبيحته؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تجب على صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد، لأنهم أتباع وذراري؛ ولو تفردت امرأة منهم [عن]^(٢) أن تكون تبعا لزوج أو نسبي لم تؤخذ منها الجزية، لأنها تتبع لرجال قومها وإن كانوا أجنب

(١) أراد : في أهل ذمتي .

(٢) في الأصل : «غرباء» ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مذهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح (تاج العروس) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أي اليهود — في بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام وقولهم : «لا مساس» ، وزعمهم أن نابلس هي بيت المقدس؛ وهم صنفان : الكوشان، والدوشان؛ واليهم نسب السامري الذي عبد العجل (تاج العروس) .

(٥) في الأصل : «والأحرار» ؛ والواو زيادة من النسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها؛ والذي في نسختي الأحكام السلطانية طبع ألمانيا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : «على» ؛ وهو تحريف .

منها ، ولو تفردت امرأة في دار الحرب فبذلت الجزية للأقام في دار الإسلام لم يلزمها ما بذلته ، وكان ذلك منها كالحببة لا يؤخذ منها إن امتنعت ؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مُشَكَّل ، فإن زال إشكاله ^(١) وبأن رجلاً أخذت منه في مستقبل أمره وداضيه ، وأختلف الفقهاء في قدر الجزية ، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما ، وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما ^(٢) وضرب يؤخذ منه اثنا عشر درهما ، [بفعلها مقدرة الأقل والأكثر] ^(٣) ومنع من آجتهد الولاية فيها .

وقال مالك : لا يقدر أقلها ولا أكثرها ، وهي موكولة إلى آجتهد الإمام في الطرفين .

وذهب الشافعي إلى أنها مقدرة الأقل بدينار لا يجوز الاقتصار على أقل منه ، وعنده أنها غير مقدرة الأكثر ، يرجع فيه إلى آجتهد الولاية ، ويحتد رأيه في التسوية بين جميعهم ، أو التفضيل بحسب أحوالهم ، فإذا آجتهد رأيه في عقد الجزية معهم على مرضاة أولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأعقابهم قرنا بعد قرن ، ولا يجوز لوإل بعده أن يغيره إلى زيادة عليه أو نقصان منه .

١٥ (١) في الأصل : « زاد » بالدال ؛ وهو تحريف .

(٢) الذي في الأحكام السلطانية : « وقراء » ؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصنفين السابقين بقوله : « أغنياء » « وأوساط » .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما أتى في قول مالك والشافعي .

٢٠ (٤) في الأصل : « والتفصيل » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في الأحكام السلطانية ص ٢٤٩ طبع ألمانيا .

(٥) أن يغيره ، أي أن يغير عقد الجزية .

وَيُشْتَرَطُ عَلَيْهِمْ فِي عَقْدِ الْجُزْئِ شَرْطَانِ : مُسْتَحَقٌّ وَمُسْتَحَبٌّ ، أَمَّا الْمُسْتَحَقُّ^(١)
 فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ : أَحَدُهَا أَلَّا يَذْكُرُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بِطَعْنٍ فِيهِ وَلَا تَحْرِيفَ لَهُ ،
 وَالثَّانِي أَلَّا يَذْكُرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَكْذِيبٍ لَهُ وَلَا آزْدِرَاءٍ بِهِ ،
 وَالثَّلَاثُ أَلَّا يَذْكُرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ بِذَمٍّ لَهُ وَلَا قَدْحٍ فِيهِ ، وَالرَّابِعُ أَلَّا يُصِيبُوا^(٢)
 مُسَلِمَةً بَزْنِيًّا وَلَا بِأَسْمِ نِكَاحٍ ، وَالْخَامِسُ أَلَّا يَفْتِنُوا مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ وَلَا يَتَعَرَّضُوا^(٣)
 لِمَالِهِ وَلَا دِمِهِ ، وَالسَّادِسُ أَلَّا يُعِينُوا أَهْلَ الْحَرْبِ وَلَا يُؤْوُوا أَغْنِيَاءَهُمْ ، فَهَذِهِ السِّتَةُ
 حَقُوقٌ مُلْتَزِمَةٌ بِغَيْرِ شَرْطٍ ، وَإِنَّمَا تُشْتَرَطُ إِشْعَارًا لَهُمْ ، وَتَأْكِيدًا لَتَغْلِيظِ الْعَهْدِ عَلَيْهِمْ ،
 فَيَكُونُ أَنَّهَا كُنْهًا بَعْدَ الشَّرْطِ نَقْضًا لِعَهْدِهِمْ .

وَأَمَّا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ : أَحَدُهَا تَغْيِيرُ هَيَاتِهِمْ بِلُبْسِ الْغِيَارِ وَشَدِّ الزُّنَارِ ، وَالثَّانِي^(٤)
 أَلَّا يَعْلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَبْنِيَةِ ، وَيَكُونُوا إِنْ لَمْ يَنْقُصُوا مُسَاوِينَ لَهُمْ ، وَالثَّلَاثُ أَلَّا^(٥)
 يُسَمِعُوهُمْ أَصْوَاتَ نَوَاقِدِهِمْ ، وَلَا تِلَاوَةَ كِتَابِهِمْ ، وَلَا قَوْلَهُمْ فِي عُنْزِيرِ الْمَسِيحِ ، وَالرَّابِعُ^(٦)
 أَلَّا يَجَاهِرُوهُمْ بِشَرْبِ خَمْرِهِمْ ، وَلَا بِإِظْهَارِ صُلْبَانِهِمْ وَخَنَازِيرِهِمْ ، وَالْخَامِسُ أَنْ يُخْفُوا
 دَفْنَ مَوْتَاهُمْ وَلَا يَجْهَرُوا بِنَدْبٍ عَلَيْهِمْ وَلَا نِيَاحَةٍ ، وَالسَّادِسُ أَنْ يُمْنَعُوا مِنْ رُكُوبِ
 الْخَيْلِ عِتَاقًا وَهَجْنًا ، وَلَا يُمْنَعُوا مِنْ رُكُوبِ الْبَغَالِ وَالْحَمِيرِ ، قَالَ : فَهَذِهِ السِّتَةُ الْمُسْتَحَبَّةُ

١٥ (١) كَذَا فِي نَسْخِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « فِيهِ أَشْيَاءٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ
 وَيُرْشَدُ إِلَى مَا أُثْبِتَ أَيْضًا مُقَابَلَتُهُ بِقَوْلِهِ الْآتِي : « وَأَمَّا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَعِينُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « ذَمُّهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْغِيَارُ : عَلَامَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ كَالزُّنَارِ ؛ قَالَ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ نَقْلًا عَنْ شَرْحِ الْمَهْذَبِ : الْغِيَارُ أَنْ يَخْطُوا

٢٠ عَلَى ثِيَابِهِمُ الظَّاهِرَةَ مَا يَخَالَفُ لَوْنَهُ لَوْنَهَا ، وَتَكُونُ الْخِيَاطَةُ عَلَى الْكَتِفِ دُونَ الذِّيلِ ، وَالْأَشْبَهُ أَلَّا تَخْتَصَّ
 بِالْكَتِفِ . اهـ

(٥) الزُّنَارُ وَزَانُ رِمَانٍ : مَا يَلْبَسُهُ الذِّمِّيُّ يَشُدُّهُ عَلَى وَسْطِهِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « أَنْ لَا يَخْفُوا » ؛ وَقَوْلُهُ : « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ مَفْسُودَةٌ لِلْعِنَى .

لا تلزم بعقد الذمة حتى تُشترط فتصير بالشرط ملتزمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضا للعهد، لكن يؤخذون بها إجباراً، ويؤدبون عليها زجراً، ولا يؤدبون إن لم يُشترط ذلك عليهم، ويحتاط به .

[وتجب الجزية عليهم] في كل سنة مرة واحدة بعد انقضاءها بالشهور الهلالية، ومن مات منهم في أثناء السنة أخذ من تركته بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان ما لزم من نزيته ديناً في ذمته يؤخذ منه، وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته، ومن بلغ من صغارهم، أو أفاق من مجانينهم أسقطت به حول [ثم أخذ] بالجزية ويؤخذ الفقير بها إذا أيسر، ويُنْتَظَرُ بها إذا أعسر، ولا تسقط عن شيخ ولا زمن، وقيل: تسقط عنهما وعن الفقير، ولأهل العهد إذا دخلوا دار الإسلام الأمان على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها أربعة أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنة إلا بجزية، وفيما بين الزمانين خلاف، ويلزم الكف عنهم ك أهل الذمة، ولا يلزم الدفع عنهم، وإذا آمن بالغ عاقل من المسلمين حربياً لزم أمانه كافة المسلمين، والمرأة

(١) في الأصل: «يوجدون»؛ وهو تصحيف .

(٢) في الأصل: «اخبارا» بالخاء؛ وهو تصحيف .

(٣) في الأصل: «ويؤذنون»؛ وهو تصحيف .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول؛ ولم ترد في الأحكام السلطانية؛ والمعنى أنه ينبغي للامام أن يحتاط باشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه .
(٥) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها؛ وعبارة الأحكام السلطانية ص ٢٥١ طبع ألمانيا: «ولا تجب الجزية عليهم في السنة الا مرة واحدة .

(٦) هذه الاءاء والباء ساقطتان من الأصل؛ والسياق يقتضي إثباتهما؛ كما في الأحكام السلطانية .

(٧) هذه التكملة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا .

(٨) كذا في الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر؛ والذي في الأصل:

«دون»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

في بذل الأمان كالرجل ، والعبد فيه كالحر ؛ وقال أبو حنيفة : لا يصح أمان العبد إلا أن يكون مأذونا له في القتال ؛ وإذا تظاهر أهل الذمة والعهد بقتال المسلمين كانوا حربا لوقتهم ، يقتل مقاتلتهم ، ويعتبر حال من عدا المقاتلة منهم بالرضا بفعالهم والإنكار له ؛ وإذا امتنع أهل الذمة من أداء الجزية كان نقضا لعهدهم ؛ وقال أبو حنيفة : لا ينتقض به عهدهم إلا أن يلحقوا بدار الحرب ، وتؤخذ منهم جبرا كالديون ؛ وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبي ذراريهم ما لم يقاتلوا ، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مآمنهم من أدنى بلاد الشرك ، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها ؛ فهذه هي الأحكام الشرعية في أمر الجزية .

- وأقول ما ضربت الجزية وجعلت على الرؤوس في خلافة عمر بن الخطاب —
 رضى الله عنه — وكانت قبل ذلك تحمل قطائع ؛ وأختلف : هل استأداها سلفا
 أو عند انقضاء الحول .

(١) هذه الواو سائطة من الأصل ؛ والسياف يقتضيها .

(٢) في الأصل : « ولا بني » ؛ وهو تحريف .

- (٣) في كتب الفقه ما يفيد أن الجزية كانت على الرؤوس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب من كل حالم
 دينارا ولم يفضل . وروى مسروق عن معاذ بن جبل أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
 وأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافرا ، انظر كتاب الحاوى الكبير للساوردي ج ١٩ من النسخة
 المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٧٢
 طبع المطبعة السلفية . والمعافر : ثياب تصنع باليمن . أما ما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
 عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات ، فأخذ من الأغنياء ثمانية وأربعين درهما ، ومن المتوسطين أربعة
 وعشرين درهما ، ومن الفقراء اثني عشر درهما ، وذلك في سواد العراق لما افتتحه ، انظر كتاب الخراج
 لأبي يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبي هلال العسكري المحفوظ
 منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ . ولم يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر .

وأما ما أصرّطاح عليه كُتّاب التصرف في زماننا هذا من استخارجها وموضع إيرادها في حُسباناتهم ، فهم يستخرجونها سلفاً وتعجّيلاً في غُرة السنة ، وفي بعض الأقاليم تُستخرج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين ؛ وتُورد في الحُسبانات قلماً مستقلاً بذاته ، بعد الهلالى وقبل الخراجى ، وسبب تأخيرها عن الهلالى أنها تُستأدى مُسانةً ، وسبب تقدّمها على الخراجى ما ورد من وجوبها مشاهرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء ؛ وقد تقدّم ذكر الحكم فيمن أسلم أو مات في أثناء الحول ، وأنه لا يلزمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته ، فلذلك وردت بين الهلالى والخراجى .

وأما نسبتها في الإقطاعات الجيشية عند خروج إقطاع ودخول آخر فإنها تجرى مجرى المال الهلالى ، لأنها تُستخرج على حكم شهور السنة الهلالية دون الشمسية ؛ فإن تعجلها مُقطع في غُرة السنة على العادة وخرج الإقطاع عنه في أثناءها بوفاة أو نقلة إلى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور السنة إلى حين انتقاله ، لا على حكم ما استحق من المغل ؛ ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود ؛ وإن تخلّل بين المنفصل والمتصل مدّة كان قسطها للديوان ، يرد في جملة المحلولات من الإقطاعات .

- (١) كذا في الأصل ؛ ويوضح ذلك ما ورد في خطط المقرئى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى ؛ وعبارته : عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الإقطاع .
- (٢) كذا في كتاب الخطط للمقرئى ؛ والذي في الأصل : « لاستقبال » باللام مكان « من » وما أثبتناه هو مقتضى السياق .
- (٣) كذا في كتاب الخطط للمقرئى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى ؛ والذي في الأصل : « النفوذ » ؛ وهو تصحيف .

وأما ما يلزم مباشر الجوالى وما يحتاج الى عمله ، فالذى يلزمه أن
يدسّط جريدةً على أسماء الذمة ^(١) بمقتضى الضريبة المرفوعة إليه ، أو الكشف الذى
كشّفه إن كان العمل مفتوحاً أو مستجداً ، يبدأ فيها بذكر أسماء اليهود ، ويثنى ^(٢)
بالسامرة لأنهم شعبٌ منهم ، ويثلث بالنصارى ، وإن كان فى عمله طائفةٌ من ^(٣)
الصابئة والمجوس ذكرهم بعد النصارى ، وفى بعض بلاد الشام تؤخذ الجزية من
طائفة تُعرف بالشمسية ، يوحدون الله تعالى وينكرون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ،
ومنهم من يقول بنبوة عيسى عليه السلام وأن لا نبى بعده ، ويكون بسط الكاتب لهذه
الجريدة على التقفية إذا كانت الأسماء كثيرة ، ليسهل عليه بذلك الكشف والشطب ،
وإذا استخرج جاليةً أوردّها فى تعليق المياومة ، وكتب له بها وصولاً ، وشطبها عن ^(٤)
أسم من استخرجت منه فى جريدته ، ويرمز فى تعليقه إشارة الكتابة والخدمة على
ما تقدّم بيانه فى الهلالى .

ويحتاج مباشر الجوالى فى كلّ سنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامرة
وقسيس النصارى أو أسقفهم ^(٥) بكتابة أوراق يسمونها : الرّقاع بمن عند كلّ منهم ^(٦)
من الرواتب ، وما لعله استجدّ من الطوارىء والنوابت ، ويعين فى آخر الرّقاع من ^(٧)

١٥ (١) أسماء الذمة : أى أسماء أهل الذمة . (٢) يريد بالعمل : البلد . (٣) مفتوحاً :
أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب . (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر .
(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .
(٦) فى الأصل : «أو استفهم» ، وهو تحريف ، والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها فوق القسيس
ودون المطران .

٢٠ (٧) يريد بالرواتب : المقيمين ، وهو من رتب رتباً إذا أقام بالبلد ، كما فى المصباح ؛ وإنما جمعه على
فواعل لأن واحده «راتبة» ، صفة للطائفة .
(٨) فى المصباح أن استجدّ قد يستعمل لازماً — أى بمعنى تجدد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم .
(٩) الطوارىء : الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه . والنوابت : جمع نابتة ، أى النشء الصغار ،
والمراد بهم هنا من دون البلوغ .

أهتدى بالإسلام ، ومن هلك بالموت ، ومن تسحب من العمل ، وإلى أى جهة
توجه ، ويجعل تلك الرقاع شاهداً عنده بعد الإشهاد فيها على الصادرة عنه بأنه لم يُخلَّ
بشيء من الأسماء ، ويلزمه بكتيبٍ مَشاريحٍ بمن ضمن رقاعه أنه أهتدى أو هلك أو تسحب^(١)
كل اسمٍ بمشروح ، ويخلد المشاريح عنده ويشطبها على جريدته ؛ والكتاب في إيراد
من أهتدى ونزع وهلك مختلفون : فمنهم من يوصل العدة المستقرة عنده عن يمنية^(٢)
العمل ، ويستثنى بالتعدية عن أهتدى وهلك وتسحب ، كل اسم بمقتضى مشروحه^(٣)
المشهود فيه ، ويبرز بما تحرر بعد ذلك ؛ ومنهم من يوصل الجميع على ما استقرت^(٤)
عليه الحال إلى آخر السنة الماضية ، ويستخرج ممن استخرج منه ، ويعتد بما يجب^(٥)
على المهتدى والهالك والمتسحب محسوبا في باب المحسوب قبل فذاك الواصل^(١)
في الرقاع — على ما نبيته إن شاء الله في الأوضاع الحسابية — ويكون ماعلى النازحين
موقوفا إلى أن يتحرى أمرهم ؛ فإن عاد أحد منهم إلى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام
بالجزية في بلد آخر استخرجت منه ، ووردت في باب المضاف في حساب السنة ،
وإن كان قد قام بالجزية في بلد آخر وأحضر وصول مباشر تلك الجهة بما اعتد له

(١) تسحب : أى نزع من بلد إلى بلد آخر ، ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة بهذا المعنى ،

والظاهر أنها عامية .

(٢) في الأصل : « عن » ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٤) يريد بالعمل هنا : ما يسميه الكتاب بالقائمة ، كما يرشد إليه السياق ، وسيأتى هذا اللفظ مراداً

به هذا المعنى في موضع آخر ، وسننبه عليه في مكانه .

(٥) يقال : اعتددت بالشيء : أى أدخلته في العد والحساب (المصباح) .

به عن تلك السنة ، ^(١) نَقَلَ مَبْلَغَ الْوُصُولِ عَلَى تِلْكَ الْجِهَةِ الَّتِي حَضَرَ وُصُولُهَا قَرِيبَتْ أَوْ بَعْدَتْ ، وَأَسْتَشْهَدَ فِي حِسَابِهِ بِمَقْتَضَى الْوُصُولِ ؛ وَكِلْتَا الطَّرِيقَتَيْنِ سَائِغَةٌ عِنْدَ الْكِتَابِ ؛

- وَأَمَّا النَّوَابِتُ وَالطَّوَارِئُ فَإِنَّهَا تَرِدُ فِي بَابِ الْمُضَافِ بِاتِّفَاقِ الْكِتَابِ فِي أَوَّلِ سَنَةٍ ، وَتَسْتَقِرُّ أَصْلًا فِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَمَا بَعْدَهَا ؛ وَيَحْتَاجُ الْمُبَاشِرُ إِلَى تَفَقُّدِ أَحْوَالِ النَّوَابِتِ فِي كُلِّ مَدَّةٍ لِاحْتِمَالِ بُلُوغِ صَبِيِّ^(٢) فِي أَثْنَاءِ الْحَوْلِ ، وَاخْتِبَارِ ذَلِكَ بِأُمُورٍ شَرْعِيَّةٍ وَاصْطِلَاحِيَّةٍ : أَمَّا الشَّرْعِيَّةُ فَبِإِنْبَاتِ الشَّعْرِ^(٣) الْحَشِينِ ، أَوْ بِكَمَالِ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ ؛^(٤) وَأَمَّا الْاصْطِلَاحِيَّةُ فَبِإِنْفِرَاقِ رَأْسِ الْأَنْفِ ، وَغِلَظِ الصَّوْتِ ، وَبِظُهُورِ شَيْءٍ عَلَى حَلْمَةِ الثَّدِيِّ مِنْ بَاطِنِهِ كَالثَّرْمُسَةِ ، وَبِأَنْ يُدَارَ خَيْطٌ عَلَى عُنُقِ الصَّبِيِّ مَرَّتَيْنِ تَحْرِيرًا ، ثُمَّ يُوضَعُ طَرَفُ الْخَيْطِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ وَتُدْخَلُ الْأَنْشُوطَةُ^(٥) فِي رَأْسِهِ ، فَإِنْ دَخَلَتْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى بُلُوغِهِ ، وَإِلَّا فَلَا ؛ وَاصْطَلَحَ بَعْضُ مُبَاشِرِي الْجَوَالِي فِي بَعْضِ الْأَقَالِمِ عَلَى إِلْزَامِ عُرْفَاءِ الذِّمَّةِ بِالْمَطَالَعَةِ بِكُلِّ صَبِيٍّ يُوَلَدُ لَوْ قَتَلَهُ ، وَبِمَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ ، وَيُرْصَعُ أَسْمَاءُهُمْ^(٦)
- ١٠

- (١) فِي الْأَصْلِ : « وَنَقَلَ » ؛ وَالْوَاوُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .
- (٢) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٩ مِنْ صَفْحَةِ ٢٤٢ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .
- (٣) يُقَالُ : أَنْبَتَ الْغُلَامُ ، إِذَا نَبَتَ شَعْرُ عَاتِيهِ ، وَهُوَ حَدٌّ مُعْتَبَرٌ لِبُلُوغِ صَبِيَّانِ أَهْلِ الذِّمَّةِ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوُقُوفُ عَلَى سَنِهِمْ لِاتِّهَامِ أَقْوَاهُمْ .
- (٤) فِي الْأَصْلِ : « الْحَسَنُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
- (٥) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « أَوَالِكَمَالِ فَمِنْ عَشْرَةِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا إِذْ بِهِ يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ ؛ وَتَحْدِيدُ سَنِ الْبُلُوغِ بِخَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ ، وَعَلَيْهِ الْفَتْوَى عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ .
- (٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مُهْمَلَةٌ الْحُرُوفُ مِنَ النُّقْطِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .
- (٧) الْأَنْشُوطَةُ : رِبْطَةٌ دُونَ الْعَقْدَةِ ، إِذَا شَدَّتْ مِنْ أَحَدِ طَرَفَيْهَا أَنْخَلَتْ .
- (٨) الذِّمَّةُ ، أَيْ أَهْلُ الذِّمَّةِ .
- (٩) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ مِنْ صَفْحَةِ ٢٠٠ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .
- ٢٠

في جريدة مفردة بهم ، فمن بلغ عمره ثلاث عشرة سنة استخرج منه الجزية سواء ظهرت أمارات بلوغه أم لا ، ويلزم المباشر الكشف والتنقيب عمن لعنه أخفى من الرواتب ، أو استجد من الطواري والنوبات ولم يرد الدفع ، فمن ظهر له أمره استخرج الحالية منه لاستقبال وجوبها عليه ، ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال ، والمباشرة تظهر ما لا تحيط به الكتب ، هذا ما يتعلق بالحوالى ، فلنذكر الخراجي — إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات الخراجي وأنواعه وما يحتاج اليه مباشره

والخراجي عبارة عما يُستأدى مسانته^(١) مما هو مقرر على الأراضى المرصدة^(٢) للزراعة والنخل والبساتين والكروم والطواحين السنوية التي تدور أحجارها بمياه السيول في ألجهات الشامية ، وما يُستأدى من خدم الفلاحين ، ويسمى ذلك بمصر : الضيافة ، وبالشام : رسم الأعياد والخميس ، وهو أغنام ودجاج وكشك^(٣) وبيض — على ما استقر على كل جهة — وهو إنما يكون على النواحي الإقطاعية غالبا ، وأما في نواحي الخاص فلا يُستأدى ، لما هو مقرر على الأراضى بمصر من الحقوق التي تُستخرج دراهم ، وبالشام من التضييف^(٤) المقرر عليهم في أيام الفتح^(٥) عن مدة ثلاثة

(١) في الأصل : « ممن » ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « في المياه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في شرح القاموس أن كسر الكاف في هذا اللفظ مما ولعت به العامة .

(٤) في الأصل : « المضيف » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٥) في الأصل : « القسم » ؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا

فانه يريد صلح عمر رضى الله تعالى عنه لنصارى الشام على ضيافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة وتبيت دوابهم من غير شعير ، وجعل ذلك على أهل السواد

دون المدن . الأحكام السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر .

أيام؛ ومن أبواب الخراج ما يُستأدى بالشام في خدمة رؤساء الضياع في مقابلة ما لهم من المطلق والولاية والوكلاء والنقباء والصيارفة والكيالين والضوئية^(١) في مقابلة ما يستأدونه من الرسم، وذلك يرد في أبواب المضاف؛ والخراج تختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

- ٥ أما الديار المصرية وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها على ما استقر في زماننا هذا وتداوله الكتاب، فقانون الديار المصرية مبنى على ما يشمله الرى من أراضيها ويعلوه النيل؛ وقد ذكرنا في باب الأنهار في الفن الأول من كتابنا هذا نيل مصر، ومبدأه، والاختلاف فيه، وما يمتز عليه من البلاد، وكيفية الانتفاع به من حفر الترعة، وضبط الجسور، وتصريف المياه عن الأراضي بعد ريها؛ ونيل مصر هو من أعاجيب الدنيا، وقد روى عن ذى القرنين أنه كتب كتابا عما شاهدته من عجائب الوجود فذكر فيه كل عجيبة، ثم قال في آخره: وذلك ليس بعجب، ولكن العجب نيل مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيه من حكمة هذه الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد، وهبوط الماء عنها عند بدء وقت الزراعة لفسد أمر هذا الإقليم، وتعدرت سكناه، إذ ليس به أمطار كافية ولا عيون سارحة^(٢) تغم أراضيها، وليس ذلك إلا في بعض إقليم الفيوم؛ فسبحان من بيده الخلق والأمر القادر على كل شيء، والمدير لكل شيء، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو.

(١) في الأصل: «الصوية»؛ وهو تصحيف. والضوئية: نسبة إلى الضوء، والمراد بهم الذين يحملون المصابيح ويمشون بها ليلا، ولا تزال طائفة منهم إلى وقتنا هذا تعرف بهذا الاسم وإن لم يعملوا ذلك الآن.

(٢) السارحة: الجارية.

والذى يحتاج إليه مباشرُ الخراج بمصر ويعتمد عليه في مباشرته أنه اذا شمل الرى أرض الجهة التى يباشرها أن يبدأ بإلزام خولة البلاد برفع قوانين الرى ، وصورتها أن يكتب فى صدر القانون ما مثاله : قانون رفعه كل واحد من فلان وفلان الخولة (١) والمشايخ بالناحية الفلانية ، بما شمله الرى وعلاه النيل المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا وكذا الخراجية ، وهو من الفدن (٢) ، ويدكرون جملة قانون البلد ، ويفصلونه بالرى والشرقى ، فالرى : ما شمله النيل . والشرقى : ما لم يشمله ، والرى تفصيل : منه ما هو نقاء ، ومنه ما هو مزروع ، ونخرس ، وغالب ، ومستبحر ، ويفصل بقبائله (٣) ، ويُشرح فى كل قبالة هذا التفصيل ، والنقاء : هو الطين السواد الذى يصلح للزراعة وينبت فيه اذا لم يزرع الكلاء الصالح للرى (٤) ، ويسمى نباته بصعيد مصر : الكتيح (٥) ، وهو نبات تستغنى به الخيل والدواب والماشية عن البرسيم . وأما المزروع : (٦)

(١) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل بالناء ، ولم نجد فيه راجعنا من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة ، وواحد خولى ، وفى مستدرك التاج أنه هو الذى يقيس الأرض بقصب المساحة .
(٢) الفدن بالضم — والعامة تكسر الفاء — : جمع فدان بخفيف الدال ، وهى لغة فى الفدان بالتشديد ؛ قال فى شفاء الغليل ما نصه : الفدان : نبطى معرب ويخفف ويشدد جمعه فدن وأفدنة الخ . وكذلك فى كتاب المعرب للجواليق ؛ والذى يستفاد من شرح القاموس أن الفدان للقدار المعلوم بتشديد الدال لا غير .

(٣) النقاء فى الأصل : مصدر ، وقد أريد به هنا اسم المفعول ، أى الأرض النقية مما يعوق الزارعين عن زراعتها .
(٤) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف ، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها ، أى يضمونها بمبلغ من المال يؤدونه عنها فى كل سنة .

(٥) السواد : أى ذو السواد ، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم .
(٦) فى الأصل : « للزراع » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
(٧) فى الأصل : « الكتيح » بالناء المثلثة ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى مستدرك التاج .
(٨) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس ، والذى فى شرحه أن فتح الباء من لغة العامة .

- فهو ما عادته أن يُزرع في كل سنة . وأما الخرس : فهو الأرض التي تنبت فيها الحلفاء^(١)، فلا تُزرع إلا بعد قلعها منها وتنظيفها ، وقطيعته دون^(٢) قطيعة النقاء . وأما الغالب : فهو ما غلبت على أرضه الحلفاء وتكاثفت فلا تُقلع إلا بكلفة ، وقطيعته دون قطيعة الخرس ، وقلما يُزرع ، وأكثر ما يكون الخرس والغالب ببلاد الصعيد الأعلى لسعتها ، وكثرة أرضها ، وتعطيها من الزراعة سنة بعد أخرى . وأما المستبحر : فهو أراضي الخلجان المشتغلة التي تستمر المياه فيها إلى أن يفوت زمن الزراعة ، فمنها ما يُبور ، ومنها ما يُزرع مقائى^(٤) ، وقطيعته متوسطة ، وتكون غالبا بالدرهم دون الغلة . وعندهم أيضا الترطيب : وهو الذي تحللت المياه باطن أرضه شبه النز ولم تعلها ، ولا تصلح لغير المقائى ، فاذا رُفِعَ إلى المباشر قانون الرى أشهد فيه على رافعيه بأن الأمر على ما تضمنه ، ثم ينظر المباشر إلى سنة يكون نيلها نظير نيل تلك السنة ، ويبرز الكشوف ، ويحضر البلد على الفلاحين القرارية نظير ما حضروه في السنة الموافق نيلها لنيل تلك السنة الحاضرة ، ويشهد على كل مزارع بما يسجله من

- (١) الحلفاء : نبت من الأغلاث ، وقلما تنبت الحلفاء إلا قريبا من ماء أو بطن واد ، وهى سلبة غليظة المس ، وتأكل منها الإبل والغنم أكلا قليلا ، وهى أحب شجرة إلى البقر .
- (٢) القطيعة : الضريبة .
- (٣) فى الأصل : « الأغلال » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
- (٤) المراد بالمقائى هنا : أنواع القناء ، فهو مجاز من إطلاق الموضع وإرادة ما يكون فيه .
- (٥) فى الأصل : « الترتيب » ؛ وهو تحريف ؛ يريد : الأرض ذات الترطيب .
- (٦) فى الأصل : « النز » ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها وهو فارسى معرب .
- (٧) فى الأصل : « بايعيه » وهو تحريف .
- (٨) فى الأصل : « ويحصر » بالصاد ، وهو وان صح معناه إلا أن الذى يمنع منه قوله بعد ذلك فى ص ٢٤٩ س ١١ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية ؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل ، كما يدل عليه قوله بعد : « ويشهد على كل مزارع بما يسجله » وهو من المحضر بمعنى السجل ، كما فى كتب اللغة .
- (٩) فى الأصل : « الحاصرة » بالصاد ؛ وهو تصحيف .

أراضى كلَّ قِبالةٍ وَقَطِيعَتِهَا المستقرَّة، ويعين منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق،
والحقوق: دراهم يُقوم بها المزارع عن كلِّ فدان غير الغلَّة، وتكون من أربعة دراهم
إلى درهمين، والغلَّةُ بحسَبِ قَطِيعَةِ الأرض وعادتها، وأكثر ما عُرِف من الخراج عن كلِّ
فدان — وهو أربع مائة قَصَبَةٍ بالقَصَبَةِ الحاكِمية، والقَصَبَةُ ستة أذرع وثلاثا ذراع بذراع^(٢)
القماش — ثلاثة أَرادب^(٣)، وهذه الأرض جزيرةً بالأقصر من أعمال قوص، وأقلَّ
ما علمناه من القطيعة عن كل فدان سدس إردب، وهى فى الأراضى التى غلبت
عليها الأخراسُ وقلَّ الانتفاع بها، فهى تُسجَّل بهذه القطيعة عليها، وتنصلح
فى المستقبل، وأما الأراضى التى تُسجَّل بالدرهم فأكثر ما علمناه بأراضى الحيزية^(٤)
قِبالةً فُسْطاط مصر عن كلِّ فدان مائتان وخمسون درهما، وهو كثير فى أراضيها
وُسُجِّل فى بعض السنين ثلاثة أفدنة بألف درهم، ولم تستقر هذه القطيعة، وهذه
الأراضى تُزرع غالبا كَتَّانا، فإذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية والطواري^(٥)
نظم المباشرة أوراقا بجملة ما أشتمل عليه التحضير مفصَّلةً بالأسماء والقبائل والجزائر^(٦)

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القصبَةِ الحاكِمية: كأنها حررت فى زمن
الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت اليه، وطولها ستة أذرع، الهاشمى، ونحوه أذرع بالنجارى، وثمانية أذرع
بذراع اليد.

(٣) فى الأصل: «ثلاثة عشر أردبا» ولم نجد هذا المقدار فيما راجعناه من المصادر التى بين أيدينا،
تخطيط المقرئى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب،
فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٢ نقلا عن ابن ممتا أن قَطِيعَةَ القمح كانت الى آخر سنة سبع وستين
ونحوها عن كل فدان ثلاثة أَرادب ثم إنه تقرَّر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين ونحوها عن كل فدان
إردبان ونصف إردب.

(٤) فى الأصل: «الحيرية»؛ وهو تصحيف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر.

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

والجُروف ، وتكتب عليها الشهود الذين حضر البلد بحضورهم ، ثم يصرف الكل
 مزارع ما جرت العادة به من التقاوى بحسب ما يسجله ، ويكون ما يصرفه من
 التقاوى من أطيب الغلال وأفضلها وأنصعها ، ثم يبسط جريدة على أوراق السجلات
 يشرح فيها اسم كل فلاح وما يسجله من الفدان ، ويفصل ذلك بقبائله وجهاته وقطائعه ،
 فاذا نبت الزرع واستوى على سوقه ندب عند ذلك من يباشر مساحة الأراضي :
 من شاد وعدول ذوى خبرة بعلم المساحة ، وكاتب عارف خبير أمين ، وقصابين :
 وهم الذين يقيسون الأراضي بالأحكام الحاكمة المحررة ، فيمسحون الأراضي المزروعة
 بأسماء أربابها وقبائليها ، ويعينون أصناف المزروعات بها ، ويكون مباشرو المساحة قد
 بسطوا أيضا سجلات التحضير ، فإذا تكاملت المساحة نظم مباشروها أوراقا يسمونها :
 المكلفة ، يترجم صدرها بأمثاله مكلفة تأريخ فنداق مساحة الأراضي بالناحية الفلانية
 لمغل سنة كذا وكذا الخراجية . والتأريخ : هو الأوراق التي يبسطها مباشر المساحة بما
 في السجلات ويختتمها بما انتهت إليه المساحة . والفنداق : هو عبارة عن التعليق ،
 وهو الذى تكتب فيه المساحات حال قياسها . فإذا انتهت ترجمة صدر المكلفة عقد

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٢) التقاوى : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهى عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام ، ويريد : أحكام المساحة ، وقد تقدم بيان القصة الحاكمة
 فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : « تأريخ » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى القاموس وشرحه ، فقد جاء فى مادة

« أرج » ما نصه : والأوارجة من كتب أصحاب الدواوين فى الخراج ونحوه ، ويقال : هذا كتاب
 التأريخ الخ .

(٦) فى الأصل : « يخدمها » بالبدال ، وهو تحريف .

جملة فُذِنَها في صدرها وفصلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارعين ، فإن طابقت المساحة السجلات من غير زيادة ولا نقص قال : وذلك بمقتضى السجلات ، وإن تميزت قال : ما تضمنته السجلات كذا ، زائد المساحة كذا ، وإن نقصت ذكر ما صح بمقتضى مساحته ، وكلمه بالقلم ^(٢) تمة ؛ وإن نقص مزارع عن سجله في قبالة وزاد على سجله في قبالة أخرى كَلَّ عليه ما نقص بمقتضى سجله ، وأورد ما زاد في القبالة الأخرى زيادة ، ولا ينقل الزائد إلى الناقص ، ويلزمه المباشرة بالقيام بخراج ما نقص من تلك القبالة وما زاد في الأخرى ؛ هذا مصطلحهم ، وليس هو منافيا للشرع ، إلا أنني أرى في هذا النقص تفصيلا هو طريق العدل والحق ، وهو إن كان النقص مع وجود أرض باثرة بتلك القبالة لزمه القيام بخراج النقص ، لأنه عطلها مع قدرته على الانتفاع بها وزراعتها ؛ ويسلم إليه من الأراضي البائرة التي شملها الرى بتلك القبالة نظير ما نقص عنده لينتفع بما لعله نبت في تلك الأرض من الكلا ؛ وإن كان النقص مع تغليق أرض تلك القبالة بالزراعة فلا شيء عليه لأنه لم يتسلم ما بسجله ، ويعتد له بما لعله زاد على تسجيل غيره بتلك القبالة ، فإنه يعلم بالضرورة القطعية أن الذى زرع بها أكثر مما بسجله أخذ من جملة سجل غيره ؛ وإن صحَّت تلك القبالة في جميع المزارعين بمقتضى سجلاتهم بغير زيادة ، ونقص عند واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهملة الحروف من النقط .

(٣) كل عليه : أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة .

(٤) في الأصل : « مباشرة » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « تعليق » بالعين المهملة ولم نجد من معانيه ما يناسب سياق الكلام ؛ والمراد

بالتعليق : التكميل والتعيم ؛ والظاهر أن هذا الاستعمال عامى كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٢ من

صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

(٦) في جميع : أى في مساحات جميع .

- جميع ما آشتمت عليه المساحة بها ، فإن وافق جملة قانونها تعين أن الخلل إنما جاء من قبل المباشر ، لأنه سَجَّل في قبالة أكثر من قانونها ، فلا يلزم المزارع بالنقص ؛ هذا هو العدل والإنصاف ، فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ؛ فإذا تَكَلَّمَت بكلمة المساحة وضع المباشر زائد مساحة كل اسم تحت اسمه ، وضمه إلى سجله ، ورفع الجملة بالعين والغلة ، وأضاف [إلى] كل اسم ماله قد تسلمه من تقاوٍ وقروض ، وما عليه من عشرٍ ووفيرٍ ورسوم ، وما لعله أنساق من الباقي إلى آخر السنة الماضية إن كان ؛ وهم يضيفون عشر التقاوى ، وهو حرام لا شبهة في أخذه ، وهو الربا بعينه ، فإنه يُقرض الرجل عشرة فيأخذها أحد عشر ؛ ويضيفون أيضا في بعض البلاد عشر العشر فيقبض كل مائة إردب مائة إردب وأحد عشر إردباً ؛ وإنما آشتمت هذه المظالم وأحدثت من قبل أرباب البذور الذين يقتربون المظالم ولا يجدون من يردعهم ويردعهم عنها فتستمر ، وهي من السنن السيئة التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

(١) في الأصل : « ربع » بالباء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ يقال : رفع الحاسب حسابه : إذا عدده ثم أجمعه ، ويقال بجملة وفذلكته : مرفوع ؛ وهذا اصطلاح للحساب والكتاب مشهور في كتبهم ورسائلهم انظر شفاء الغليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واللغة تقتضي إثباتها .

(٣) في الأصل : « وهو » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « ما لا شبهة » وقوله « ما » زيادة من النسخ ، فإن المعنى عليها غير ظاهر ، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام . والشبهة : الالتباس ، يريد أنه لا التباس في حرمة أخذه .

(٥) لعله : « البذور » بالراء جمع بذر ، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) في الأصل : « يقتفون » بسقوط الراء .

ثم يعقد المباشر على جميع ذلك جملةً ويشطها^(١) بما يستخرجه منه ويحصله .
والذى تنعقد عليه الجملة هو ما تعين عليه للديوان أنجب زرعه أو لم يُنجب ؛ ومهما
أستخرجه منه وحصله وأحال به كتب به ووصولا ؛ فإذا غلق كل اسم ما عليه^(٢)
أجاز عليه إشارة التخليق ، وإن بقي عليه شيء مما تعين عليه طرده للباقي ؛ هذا
حكم الأرض التى تُسجل بالغلة ؛

وأما ما يُسجل بالنقد فإنه تتساوى عليه ثلاثة أقساط أو قسطان : قسط من
ثمن البرسيم الأخضر عند إدراكه وبيعه لربيع الخيل ، وقسط من الكتان عند قلعه
إن كان ، وقسط عند إدراك المغل والمقائى ، ومنهم من يسجل بالنقد الحاضر جملةً
واحدةً فى وقت السجل ؛ هذا حكم خراج الزراعة .

وأما الخراج الراتب ، فهو لا يكون إلا بالنقد عينا أو فضة ؛ وهو
خراج السواقى والبساتين والنخيل ؛ وذلك أن أربابه يقاطعون الديوان على فدان^(٣)
معينة بمبلغ معين عن كل فدان فى كل سنة يقومون به فى أوقات معلومة .
رويت الأرض أو شُرقت^(٤) ؛ وهم يحفرون فى تلك الأراضى آبارا بقدر ما يعلمون
أن المياه التى تطلع منها تُروى تلك الأراضى ، ويركبون على أفواه الآبار السواقى

(١) فى الأصل : « ويشطها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : « غلق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ وغلق بالعين

المعجمة من التخليق ، وهو التميم والتكميل والظاهر أنه عامى — كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢
من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — فكان المزارع اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(٣) العين : ما ضرب من الدنانير .

(٤) يقاطعون ، من القطيعة : وهى الضريبة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٦) ذكر فى مستدرك التاج أن مصدره التشريق ، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء .

- المتخذة من أخشاب السنط وما ناسبه، ^(١) المشهورة بالخرير التي تُعين على رفع الماء
ويسمونها بديار مصر: المَحَال، ^(٢) وبجَمَاة: النواعير، إلا أن النواعير تدور بالماء، وهذه
تدور بالأبقار؛ ويزرعون عليها بتلك الأراضي ما أحبوه وأختاروه من أصناف المزروعات
والغُروس لا يطالبون عليها ^(٣) بغير الخراج المقرر، إلا أن ينصبوا القصب فلا يقتصر
منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقصاب مقرر يستأديه عن كل فدان؛
ويستأدى خراج الراتب على أقساط في زمن الثمار والأعنان والفواكه وعند ضرب
الوسمة ^(٤) — وهي النيل الذي يُصبغ به اللون الأزرق — وخراج الراتب يستأدى ممن
هو عليه، زرع أرضه أو عطلها، وهو لا يبطل بوفاة المقاطع على الأرض، بل ينتقل
على ورثته، ويطالبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن ابتلع
البحر الأرض المقاطع عليها بعد أن يعملوا بذلك مشاريع ^(٥) تُثبت عند حاكم البلد
أن البحر ابتلع تلك الأراضي بكاملها أو بعضها، ولا ينهض مباشر الناحية أو ناظر العمل

(١) الخريز : صوت الماء .

(٢) في كتب اللغة أن المحال والمحالة : البكرة العظيمة التي يستقى عليها ، سميت بذلك لأنها تدور فتنتقل
من حالة إلى حالة .

- (٣) نصب القصب : هو أنهم إذا هياؤا الأرض لزراعة يلقونه فيها قطعتين ، قطعة مثناة وقطعة مفردة
بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتفزلها جداول يصل الماء منها الى الأحواض ، ويكون طول كل قطعة
من القصب ثلاث أنايب كوامل وبعض أنوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها خطط المقرري
ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتى ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب .

(٤) ضرب الوسمة : هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه لينحت الورق عنه ويسقط .

- (٥) المقاطع : هو الذي جعلت عليه قطيعة أى ضريبة يؤديها إلى الديوان .

(٦) في الأصل : « مشارعا » ، وهو تحريف ؛ ويرشد الى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة في ص ٢٤٣

ص ٤٣ ، من هذا السفر .

(٧) في الأصل : « اقتلع » باللفاف ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق .

بوضعه مع وجود المحضر^(١) الثابت^(٢)، بل يحضر المقاطع على الأرض أو من انتقلت إليه بالإرث أو الابتاع إلى باب السلطان، ويرفع قصة^(٣) إلى الوزير بصورة الحال، ويوقع عليها بقلمه أن يوضع عنه من خراج الراتب بقدر ما آتبعه البحر بمقتضى المحضر، ويستمر حكم ما بقى، ويكتب على ظهر قصته: توقيع شريف سلطانى، ويثبت بدواوين الباب السلطانى، ثم يثبت بدوان العمل الجامع، ثم ينزل في ديوان البلد التى بها تلك الأرض، ويوضع عند ذلك من الضريبة الديوانية، هذا حكم الخراج بالديار المصرية وقاعدته والعادة فيه.

وأما جهات الخراجى بالشام وكيفيتها وما يعتمد عليه مباشروها — فإن قانون البلاد الشامية مبنى على نزول الغيث، ووقوع الأمطار في إبانها وأوقات^(٤) الاحتياج إليها، فمن ذلك المطر المسمى: الوسمى، وهو الذى يقع في فصل الخريف، وعند وقوع هذا المطر يحد شق^(٥) الأراضى المكروبة^(٦) بالسكك^(٧)، ثم يبدأ الحب فيها، ويعاد شق الأرض عليه ليخفى عن الطير خشية التقاطه^(٨)، فإذا نزل عليه المطر الثانى

٥٠

(١) المحضر: خط يكتب في واقعة خطوط الشهود في آخره بصفة ما تضمنه صدره، وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما في القاموس وشرحه.

(٢) في الأصل: «النايب» بالنون والياء، وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: «أو»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطموسة تعذر قراءتها، ولم يتضح لنا منها غير الواو الأولى والألف التى بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٥) في الأصل: «يحد» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال: حد الأرض حدا؛ إذا شققها.

(٦) المكروبة: المحروثة، يقال: كربت الأرض كرابا وكرابا بكسر الكاف؛ إذا قلبتها وأثرتها للزراع.

(٧) السكك: جمع سكة بكسر السين، وهى حديدة الحراث التى يحرق بها.

(٨) في الأصل: «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يدل عليه التعليل.

١٥

٢٠

بعد ذلك نبت وبرز إلى وجه الأرض ، وهو عند ذلك يسمى : ^(١)الأحوى ، ثم لا تزال الأمطار تسقيه والأنواء تغذيه حتى يصير غُثاء ، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المسمى بالمطر الفاطم ، وهو غالبا يكون في شهر نيسان ، ثم يعقد فيه الحب بعد ذلك ، وينتهي على عادة الزرع ؛ هذا حكم ما يُزرع على الوسمى .

- ومن أراضى الشام [نواحي] ^(٢)يُغيبها ^(٣)الوسمى فيزرع ^(٤)سُكَّانها الحب عَفِيرا ، ومعنى ذلك أنهم يزرعون في الأرض الحب قبل إبان الزرع وينتظرون وقوع الأمطار عليه ؛ ومن غريب ما اتَّفَق في بعض السنين أنهم أودعوا الحب الأرض على عادتهم فلم تسقط عليه الأمطار في تلك السنة ، فاستمر في الأرض إلى العام القابل ، وأيس أهل البلاد منه ، وزرعوا في السنة الثانية شطر الأراضى التي كانت كرابا غير مزروعة — فإن عادتهم بسائر بلاد الشام أن كلِّ فلاح يقسم الأراضى التي بيده شطرين ، فيزرع شطرا ، ويريح شطرا ، ويتعاهده بالحرث لتقَرع الشمس باطن الأرض ، ثم يزرعه في القابل ويريح الشطر الذى كان به الزرع ؛ هذا دأبهم ، خلافا لأراضى الديار المصرية ، فإنها تُزرع في كل سنة — فلما وقعت الأمطار نبت الشطران معا ، وأقبلت الزراعات في تلك السنة ، فتضاعف المَغَل ، وهذا غريب نادر الوقوع .

١٥

(١) الأحوى من النبات : ما يضرب إلى السواد من شدة خضرته ، وهو أنعم ما يكون منه .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٣) يغيبها : أى يتأخر عنها ؛ والذى فى الأصل : « يقع بها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، فإن ما قبله من الكلام فيها إذا نزل المطر قبل الزرع ، فيقتضى أن يكون مقابله فيها إذا تأخر نزول المطر عن الزرع .

٢٠

(٤) فى الأصل : « مكانها » ؛ وهو تحريف .

ومن أراضى الشام ما يسقى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون ، وتكون
مقاسمة أرضه أوفر من مقاسمة ما يسقى بالأمطار ، وقيمة الأملاك بها أرفع وأعلى^(١)
من تلك ، ويكون غالبا في الأراضى المستفلة^(٢) ، والله تعالى أعلم .

والذى يعتمد عليه مباشر الحراج ببلاد الشام أنه يبدأ بإلزام رؤساء البلاد^(٣)
بتغليق أراضيهما بالزراعة والكراب^(٤) ، ومصطلحهم في ذلك أن يقولوا : أحمر وأخضر ،
يعنون بالأحمر : الكراب ، وبالأخضر : الزرع شتوياً أو صيفياً ، ويعنون بالشتوى :
القمح والشعير والشوفان والفول والحمص والعدس والكرسنة^(٥) والجلبان^(٦) والبستيلية^(٧)

(١) لم يتضح لنا في الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروفهما وسائرهما مطموس تتعذر قراءته ؛
وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . (٢) في الأصل : « المستقلة » ؛ وهو تصحيف .
ويريد بالمستقلة : ما اطمأن من السهل وسفل .

(٣) في الأصل : « تعليق » ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ويريد بالتغليق
التكميل والتميم ؛ والظاهر أن استعماله في هذا المعنى استعمال عامي ، كأن الشئ ، اذا كمل فقد أغلق باب
الزيادة فيه ؛ وقد سبق ذلك أيضا في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١
من هذا السفر .

(٤) الكراب : الحرث . (٥) في الأصل : « صيفيا أو شتويا » والأولى تقديم الشتوى
كما أثبتنا إذ هو مقتضى صنيعه بعد في ذكر النباتات الشتوية قبل الصيفية .

(٦) الشوفان ، ذكر في بعض الكتب باسم السلت ، والسلت : ضرب من الشعير يجرد من قشره ،
ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر ، أى الذى يخرج عاريا من قشره ؛ والشوفان نبات
من الفصيلة النجيلية ، وسيقانه تعلو من قدمين الى ثلاثة ؛ وهو أنواع كثيرة ، أشهرها الشوفان المستنبت ،
وهو أهم علف للخيول ، وتعلقه أيضا الماشية والطيور ، فهو يسمن الغنم ، ويزيد في اللبن ، ويكثر بيض
الطيور ، ويصنع الفقراء في بعض الأماكن خبزا من دقيقه لكنه ردى ، ويتخذ من الشوفان نشاء وبرغل اه
ملخصا من دائرة المعارف للبستاني .

(٧) الكرسنة : شجرة صغيرة لها ثمر في غلاف تعلقه الدواب ، وهى الكشنى .

(٨) الجلبان : هو من القطاني بتشديد الياء ، أى الحبوب التى تطبخ ، وقال ابن البيطار في مفرداته
ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ طبع المطبعة الأميرية : الجلبان دو من القطاني المأكولة ، وله قضبان مربعة
سباطية تنبسط على الأرض ، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله نوار الى الحمرة تحلفه مزاد فيها حب
مدور الى البياض حلو ، ويؤكل نيا في الربيع ، ثم يحفف ويطبخ .

وهي التي تسمى بمصر: البسلى^(١)، وبالساحل الطرابلسى: الحالبة؛ ويعنون بالصيفى: الذرة والدخن والسّمسم والأرز والحبّة السوداء والكُسبرة والمقائى^(٢) والوسمة^(٣) والقرطم^(٤) والقطن والقنب^(٥)؛ ويكتب عليهم بذلك مشاريح^(٦) أنهم لا يورون شيئاً من الأراضى ومن يور شيئاً منها كان عليه القيام بربع^(٧) الغامر من نسبة العامر؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدأ صلاحُ الزرع، وأخذ الفول فى العقد خرج الولا على الزراعة إلى النواحي يحفظون الزراعة من التّطرق إلى شىء منها، ويلازمونها إلى أن تُحصَد وتُقل إلى البيادر^(٨)؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصل إلى البيادر، ويأخذون فى الدّراس؛ فإذا تكامل وطابت البيادر ولم يبق إلا التّذرية أخرج مذرياً - ووظيفة المذرى أنه يلزمهم بتخليص الغلال من الأقصال وتنظيفها؛ فإذا فعلوا ذلك وخلّصت الغلال من الأتبان والأقصال وصارت بيادر صافيةً خرج والى العمل ومباشروه إلى تلك الجهة، وتقدّموا بتوزيع بيادرها على ضريبة الناحية وعادتها فى المقاسمة، مناصفةً - وذلك فى أراضى السّقى -، ومثالثةً ومربّعةً - وهو فى غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك الناج .

(٢) المراد بالمقائى هنا نفس القثاء، وهو مجاز من إطلاق اسم الموضع وإرادة ما يكون فيه .

(٣) الوسمة : ورق النيل الذى يصنع به كما سبق فى صفحة ٢٥٤ س ٧ من هذا السفر .

(٤) القرطم : حب العصفور .

(٥) القنب : ضرب من الكتان ، وهو الغليظ الذى تتخذ منه الحبال وما أشبهها .

(٦) فى الأصل : « ربع العامر » ؛ وهو تصحيف فى كتابنا الكلمتين ؛ والمراد بالعامر الذى لا نبات فيه .

(٧) لعل صوابه « بنسبة » بالباء مكان « من » كما يدل عليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٣٧

٢٠ طبع مطبعة الوطن ؛ وعبارته : « اذا استجعل المزارع أرضاً على أن يزرعها مشاطرة بعد أن شملها الرى ثم يور شيئاً منها وجب عليه القيام بخراجه بالنسبة لتحصل المشاطرة » الخ .

(٨) البيادر : المواضع التى يداس فيها الفول والحنطة ونحوهما ؛ واحده بيدر بفتح الباء .

(٩) يقال : « تقدّم إليه بالشىء » أى أمره به .

البلاد — ، ومخامسة ومسادسة — وذلك في المزارع والنواحي الخالية من السكان التي يزرعها المستكرون^(١) — ، ومسابعة ومثانة — وذلك في النواحي المجاورة لسواحل البحر والمتاخمة لأطراف بلاد العدو ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخص الديوان من التوزيع ، ثم يحزر^(٢) ما لعله تأخر من الغلال في عرصات البيادر والأقصال وأعقاب التبنات والعفائر ، ويؤخذ منه ما يخص الديوان من نسبة المئامة^(٣) ، ويكمل^(٤) على الفلاح على حكم ضريبة ذلك العمل ؛ وفي بعض النواحي يكون من المواسطة ، فتفرد لها توزيع بمفردها ، ثم يؤخذ من حاصل الفلاح بعد الرسوم عشر ما بقي له ؛ وهذا غير مطرد في جميع البلاد ، فإن في جهات الأوقاف والبر وما يناسبها لا يؤخذ العشر إلا من النصاب الشرعي ؛ وفي نواحي الخواص والإقطاعات يؤخذ مما بقي للفلاح من كل عشرة أجزاء جزءا مما قل أو كثر بحسابه ؛ وفي بعض الأقاليم لا يؤخذ^(٥) العشر من المزارعين الدقية ؛ وأما النواحي الإقطاعية والأملاك التي أعشارها ديوانية فمنها ما عليه ضريبة مقررة تؤخذ في كل سنة زاد المغل أو نقص ، ومنها ما يندب له من يقف على النواحي ويحزر^(٥) ما بها من الغلال ويقدر العشر عنها ، ويكون هذا الحزر والزرع قائم أو حصيد قبل دراسه ، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلاحين ما لعله

(٥)

١٠

(١) في الأصل : « المستكرون » بالشين ؛ وهو تخريف صوابه ما أثبتنا .

١٥

(٢) يحزر : أى يقدر بالظن والحدس ؛ والذي في الأصل : « يحزر » ؛ وهو تصحيف ، إذ لا يتأتى التحرير — وهو الضبط بدقة — في هذه الحالة .

(٣) لعله « بنسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوانين الدواوين في الحاشية رقم ٧ من صفحة

٢٥٨ ، فانظره .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم يتضح لنا المراد به في هذا الموضع .

٢٠

(٥) في الأصل : « ويحزر » ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ وقد سبق تفسير

الحزر في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

عليهم من التقاوى والقروض^(١) ، وتكون بمفردها مرصدة لتقاوى السنة الآتية^(١) ، ثم يُعتبر ما يتحصل من الغلال على اختلاف أصنافها بالكيل المتعامل به في ذلك الإقليم ، وتُعمل بذلك مخازيم^(٢) على العادة مفصلة بالأسماء وأصل المقاسمة والرسوم والعشروما لعله آستعيد من التقاوى والقروض ؛ وعند تكامل قسَم نواحي كل عمل يُنظم على المخازيم عمل^(٣) بالمتحصل على ما نشرحه إن شاء الله تعالى في الأوضاع الحسابية ؛ هذا ما يعتمد في الغلال .

وأما الخروب والزيتون والقطن والسماق^(٤) والفسستق والجوز واللوز والأرز فإن الوكلاء تستمر على حفظ ذلك إلى أن يصير في بيادره ، ويُقسم على حكم الضريبة ويحصل ويورد على المتحصل ؛

وفي بعض الأعمال الشامية نواح مفصولة ومضمونة^(٥) على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المخل من غير توكيل ولا مقاسمة ، وهي نظير المتأخرات^(٦)

(١) تقدم تفسير التقاوى في الحاشية رقم ١٠ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر ، فانظره .

(٢) في الأصل : « مخازيم » بالراء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، فقد ذكر في شفاء الغليل أن المخزومة : نوع من الدفاتر يخرق ، مولدة ؛ وقد وردت هذه الكلمة في شعر ابن نباتة يذم كاتباً ، قال :

لم يدر ما مخزومة وجريدة * سبحان رازقه بغير حساب

وستأتى كيفية عمل المخزومة في صفحة ٢٧٤ من هذا السفر ، فانظره .

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم يعملها كتاب الدواوين بالكيفية التي سيأتى بيانها في هذا السفر عند الكلام على الأعمال وأنواعها .

(٤) الساق بالشديد : من شجر القنفذ والجبال ، وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ ؛

قال أبو حنيفة : ولا أعلمه ينبت بشيء من أرض العرب إلا ما كان بالشام ؛ وهو شديد الحمرة .

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا لفظ الفصل .

(٦) في الأصل : « مذينة » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) في الأصل : « المتأخرات » ؛ وهو تصحيف .

بالديار المصرية؛ ولفظ الفصل بالشام كلمة فرنجية^(١) ، وأستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي أرتفعت من أيدي الفرنج جريا على عادتهم .

وأما نخراج العين فهو مقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقائى ويستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف .

ومن أبواب الخراج^(٢) الخدم^(٣) التي تقدم ذكرها ، ومقرر القصب والبريد^(٤) والبسط^(٥) ، وعشر العرق^(٥) ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، إلا أن جميع ما يستخرج من الأراضى منسوب إلى الخراج .

ومن أبواب الخراج^(٢) الأحكار على ما فيها من الاختلاف ، ومهما أستخرجه المباشر وحصله من ذلك يعتمد في إيراده نحو ما شرحناه في الهلالى : من إيراده في تعليق المياومة ، وشطبيه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ، هذا حكم الهلالى والجوالى والخراج^(٢) ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الفرنسية (Vassal) فسال ومعناه التابع الذى أعطاه متبوعه إقطاعا نظير واجبات يردّها ، كما في معجمات هذه اللغة ، فكان أهل الشام اشتقوا منه لفظ (التمسل) وأرادوا به المعنى المصدري ، أى التبعية ، ثم حرفته ألسنتهم الى (الفصل - ل) كما هنا حسب نطقهم العربى واشتقوا منه لفظ (مفصولة) السابق في صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) في الأصل : « إدراك » ، وهو تبدل وقع من الناسخ لا يستقيم به معنى الكلام ، ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتى بعد في السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) في الأصل : « تقرر » ، وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا ، فقد تقدم ذكر هذه الخدم في قوله في ص ٢٤٥ من هذا السفر : « وما يستأدى من خدم الفلاحين » الخ .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وخطط المقرئ ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمى الفرنسى ، ولعله « البرود » بدليل عطف البسط عليه ، والبرود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا في مصر الى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أى غسله .

وأما ما يشترك فيه الهلالى والخراجى ويختلف باختلاف أحواله
بجهاً ، وهى المراعى والمصايد والأحكار ؛

أما المراعى^(١) — نالذى يرد منها فى أبواب الهلالى ما استقر حكمه بجهة ،
وتقرر فى كل سنة ، وصار ضريبة مقررّة ؛ فمن المباشرين من يقبضه على شهر السنة ،
ويستخرجه أقساطاً ، ويورده فى جملة أبواب الهلالى ؛ والذى يرد منه فى أبواب
الخراجى هو ما يُستخرج من أرباب المواشى فى كلّ سنة عند هبوط نيل مصر
ونبات الكلا ، فى مقابلة ما رعتهم مواشيم من نبات الأرض ، وهو يزيد وينقص
بحسب كثرة المواشى وقتها ؛ وعادتهم فيه أن يُندب لمباشرة ذلك مشد^(٢) وشهود
وكاتب ، ويعدوا الأغنام وغيرها ، ويستخرجوا من أربابها عن كلّ رأس شيئاً معلوماً
بحسب ضريبة تلك الجهة وعادتها ؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغي إirاده إلا فى أبواب
الخراجى ؛ ومن المكاتب من يورده فى أبواب الهلالى ، وهو غلط .

وأما المصايد^(٤) — فمنها أيضاً ما يورد فى أبواب الهلالى كالنواحي التى تصاد

(١) فى خطط المقرئى ج ٢ ص ٨١ ، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر فى مصر
مالاً على المراعى وأدخلها الديوان أحمد بن محمد بن مبرملى وأولى خراجها ، وذلك بعد سنة خمسين ومائتين .
(٢) لم نقف على ضبط هذا اللفظ فيما راجعناه من الكتب التى ورد فيها ، كما أنه لم يرد فيما بين أيدينا
من كتب اللغة ، وكأنه عامى ، وبعض العامة فى مصر ينطقون به بكسر أوله وفتح ثانيه ؛ وسيأتى فى هذا
السفر شرح ما يلزم المشد من الأعمال عند ذكر أرباب الوظائف .

(٣) فى الأصل : « ما » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى خطط المقرئى ج ٢ ص ٨١ ، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر مالاً فى مصر
على المصايد أحمد بن محمد بن مبرملى وأولى خراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر
أن يكتب فى الديوان : خراج مضارب الأوتاد ومغارس الشباك .

بها الأسماك على الدوام ، مثل ثغردمياط^(١) والبرؤيس^(٢) وجنادل^(٣) ثغر أسوان وأشباه ذلك بالديار المصرية ، وبالشام مثل نهر العاصي و بحيرة طبرية ، وغيرهما من الأنهار والبرك ، ومنها ما يرد في أبواب الخراج ، وهو ما يصاد من الأسماك عند هبوط نيل مصر ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل ، والعادة في ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع الماء في مبادئ النقص سَكروا^(٤) أفواه الترع ، وسَدُوا^(٥) أبواب القناطر التي عليها حتى يرجع الماء (ويتكاثف مما يلي المزارع) ثم ينصبون الشباك ، ويصرفون المياه ، فيأتي السمك وقد اندفع مع الماء الجارى ، فيجد الشباك تحول بينه وبين الانحدار مع الماء ، فيجتمع فيها ، ثم يُخْرَج منها الى البر ، فيوضع على نخاخ^(٦) ويلمح ويردع في الأمطار ، وأكثر ما يكون ذلك في طول الإصبع ونحوه ، وله أسماء : منها البلطى^(٧)

(٥٢)

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة في القاموس ، وضبطه ياقوت بفتحين ، وهي بلدة بسواحل مصر من جهة الاسكندرية (شرح القاموس) .

(٢) الجنادل : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، وهي حجارة ناتئة في وسط النيل (ياقوت) . وقال في صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ إنها هي الجبل الذي ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة في انحدارها ومراكب مصر في صعودها .

(٣) نهر العاصي : هو اسم لنهر حماة وحمص ، ويعرف بالمياس ، مخرجه من بحيرة قدس ، ومصبه في البحر قرب انطاكية ، واسمه قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر في صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ في سبب تسميته بهذا الاسم أن غالب الأنهار تسقى الأرض بغير دوايب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها ، وهذا النهر لا يسقى إلا بنواعير تنزع الماء منه .

(٤) سَكروا ، أى سدوا .

(٥) هذه العبارة في الأصل مَطْمُوسَة الحروف تعذر قراءتها ، وقد أثبتناها عن خط المقيزي ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى .

(٦) النخاخ : جمع نخ بتشديد الخاء ، وهو بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ، وقد شاع في مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردى ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) في خطط المقيزي ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى : «فما دونه» .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة في مستدرک الناج ، وقال عنه : إنه أطيب الأسماك ، ويشبهون به المترع في الشباب والنعمة .

والرأى^(١) والبني^(٢) وغير ذلك، وما يؤكل منه طرياً بعد قلّيه يسمونه الإيسارية^(٣)؛ ومنها ما يكون بقدر الفتر^(٤)، ويسمى الشال^(٥)، وهو يملح أيضاً؛ فهذا الذي يتعين إيراده في أقلام الخراجي^(٦)، ومنهم من يورده في الهلالي^(٧)، ومن الكتاب من يورد المصايد والمراعى قلما مستقلاً بعد الجوالى وقبل الخراجي^(٨).

وأما الأحكار — فقد تقدّم الكلام عليها عند ذكرنا للهلالي^(٩).

وهذه الاختلافات بين الكتاب هي بحسب آرائهم وعادات النواحي وما استقرت عليه قواعدها؛ وإنا أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه، وذكر مصطلح الكتاب فيه.

وأما أقصاب السكر ومعاصرها — فهي^(١٠) تختلف بحسب الأماكن والبقاع والنواحي والديار المصرية والشام، وتختلف أيضاً في الديار المصرية بحسب الأعمال والنواحي والأراضي؛ وقاعدتها الكلية التي لا تكاد تختلف في الديار المصرية أن تُختار لها الأراضي الجيدة الدميثة^(١١) التي شملها الرى وعلاها النيل، ويُقلع ما بها من الحافاء وتُنظف^(١٢) ثم تُبرش بالمقلقات — وهي محاريث كبار — ستة وجوه، وتجرف

(١) في الأصل: «الزاي»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع في مصر؛ ولم نجد الزاي بالمعجمة فيما لدينا من المظان. (٢) كذا ضبط هذا اللفظ في القاموس.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وخطط المقرري ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمي الفرنسي؛ وعامة مصر يقولون: «بسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء؛ والظاهر أنه ليس بعربي؛ إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٤) كذا في مستدرک الناج؛ والذي في الأصل: «الرشال» والراء زيادة من النسخ.

(٥) في الأصل: «نقضا»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) في الأصل: «وהל»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام؛ ويرشد إليه ما يأتي في أقصاب الشام صفحة ٢٧١ سطر ١٤. (٧) الدمثة: السهلة اللينة.

حتى تُمَهَّدَ، ثم تُبْرَشَ ستّة وجوهٍ أخرى وتجَرَّفَ — ومعنى البرش الحرث — ^(١) فإذا صَاَحَتْ وطَابَتْ وَنُعِمَتْ وصارت تراباً ناعماً وتساوت بالتجريف تُشَقُّ عند ذلك بالملقّلات، ويُرمَى القصبُ فيها قطعتين : ^(٢) [قطعة ^(٣)] مُشَاةً، وقطعة مفردة، وذلك بعد أن تُجْعَلَ أحواضاً وتُفَرِّزَ لها جداولُ يصل الماء منها إلى تلك الأحواض، ويكون طول كلّ ^(٤) منها ثلاثة أنايِبَ كواملٍ وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها، ويختار برش النصب من الأقصاب ما قصرت أنايِبُها، وكثرت عيونُها، فإذا تكامل النصب أعيد الترابُ عليه، وصورة النصب أن تكون القطعة ملقاةً لا قائمة، ثم يُسقى من حال نصبه في أول فصل الربيع في كلّ أسبوعٍ مرّةً، فإذا نبت القصب وصار أوراقاً ظاهرةً على وجه الأرض نبتت معه الحلفاء ^(٥) والبقلة ^(٦) الحمقاء، فعند ذلك تُعزَقُ أرضه — ومعنى العزق أن تُكش الأرض وينظف ما نبت مع القصب — ويُتعاهد ^(٧) بذلك مرّةً بعد أخرى إلى أن يَغْزُرَ القصب ويقوى ويتكاثف، فلا يتمكن العزاق من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عَزَاقَه، وذلك عند بروز الأنبوب منه، ومجموع ما يُسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماءً.

(١) لم نجد البرش بمعنى الحرث فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا، وكأن هذا الاستعمال عامي.

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل، وقد أثبتناها عن خطط المقرئ ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق.

(٣) كذا في خطط المقرئ ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق، والذي في الأصل : « جفناه »

وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٤) البقلة الحمقاء : هي المعروفة في مصر بالرجلة، وإعما سميت بذلك لأنها تنبت على مجارى المياه

يسبح بها الماء فيقتلعها، ثم تعود فتنبت هناك أيضاً.

(٥) في كتب اللغة أن يتعاهد أفصح من يتعاهد، لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين، وأجازهما

الفراء.

(٦) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها، فإن المعنى أن القصب يتعاهد بذلك العمل،

وستأتى هذه العبارة أيضاً في صفحة ٢٦٦ سطر ٩

- والعادة أن الذي يُنصب من الأقصاب على كل محالٍ بحراني^(١) - أي مجاور للبحر -^(٣)
 إذا كان مُزاح العلة^(٤) بالأبقار الجياد مع قُرب أرشيّة الآبار ثمانية أفدنة^(٥)، ويحتاج إلى^(٦)
 ثمانية رؤس بقرا^(٧)، فإذا كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يقوم المحال^(٨) بأكثر من ستة
 أفدنة إلى أربعة أفدنة، فإذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة،
 وصفة ذلك أنه يُقطع عليه من جانب جسرٍ يكون قد أدير عليه ليقية من الغرق عند
 ارتفاع الماء بالزيادة، فيدخل الماء من تلك الثلمة التي فُرِضت من الجسر، ويعلو
 على وجه أرضه نحو من شبر، فتُسَدُّ عند ذلك^(٩)، ويمنع الماء من الوصول إليه،
 ويُترك ذلك الماء عليه مقدار ساعتين أو ثلاث إلى أن يسخن، ثم يُصرف عنه من
 جانب آخر إلى أن ينضب، ثم يجدد عليه الماء مرة أخرى، يتعاهد بذلك مرارا
 في أيام متفرقة بقدر معلوم، ثم يفطم بعد ذلك، هذا هو القصب الذي يوفى حقه
 في حرثه ونصيبه وسقيه وعزقه وغير ذلك، فما نقص من ذلك كان المباشر قد أخلَّ
 به إلا النصب على الرى وسقى ماء الراحة فإنه أمر رباني لا قدرة للبشر على
 استجلابه.

- (١) المراد بالمحال آلة الرى المعروفة بالساقية، كما سبق ذلك في صفحة ٢٥٤ سطر ٢. والمحال
 والمحالة في الأصل: البكرة العظيمة التي يستقى بها، كما في اللسان والتاج مادة « محل » (٢) قال
 ابن سيده: إن النسب إلى البحر بحراني على غير قياس؛ وقد ردّ عليه المهيلى في ذلك وأنكر هذه النسبة انظر
 اللسان مادة (بحر) (٣) في الأصل: «أو»، وهو تحريف (٤) عبارة الأصل: «
 إذا كانت مزاحة»؛ والذي يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكر، قال حميد الأرقط:
 يردن والليل مرم طائرته * مرنح رواقاه هجود سامره
 * ورد المحال فُلِقت محاوره *

٢٠. انظر اللسان والتاج مادة (محل).
 (٥) في الأصل وخطوط المقرئ ج ٢ ص ٧٧ طبع المعهد العلمى الفرنسى: « الغلة »؛ وهو تصحيف
 لا يظهر به معنى الكلام. (٦) « بالأبقار »، أى يدار بالأبقار، فالمتعلق محذوف لفهمه من
 الكلام. (٧) هذه النماء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها. (٨) في الأصل: « فيشتد »؛
 وهو تحريف. (٩) في الأصل: « ونضبه » بالضاد المعجمة، وهو تصحيف.

ولا غُنيّة للقصب عن القَطْرَانِ قبل أن يَحْلُوَ، فإنه يَمْنَعُ السَّوْسَ من الوصول إليه، وصفة ذلك أنهم يجعلون القَطْرَانِ في قَادُوسٍ مَبْخُوشٍ من أسفله، وَيُسَدُّ ذلك الْبُخْشُ^(١) بشيء من الحَلْفَاءِ، وَيُعَلَّقُ القَادُوسُ على جَدُولِ الْمَاءِ، وَيُمَزَجُ القَطْرَانُ بِالماءِ فَيَقْطُرُ من خلال ذلك الْبُخْشِ الْمَسْدُودِ، وَيُمَزَجُ قَطْرُهُ بِالماءِ الذي يصل إلى القصب، ويحصل به المقصود.

وإن خَشِيَ المباشر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبة الرأس إلى خارج أرض القصب تُسَمَّى حِيطَانِ الْفَأْرِ، وتُصَنَعُ من الطين المخلوط بالطين فتَمْنَعُ الْفَأْرَ من الوصول إلى القصب، فإنه إذا تَسَلَّقَ في الحائط وانتهى إلى آخرها منعتهُ تلك الحائِطَةُ الْمَقْلُوبَةُ وأصابت رأسه فيسْقُطُ إلى الأرض.

هذا ما يلزم المباشر الاحتفال به واعتماده في أمر القصب.

فإذا كان في أول كيهك من شهور القبط كُسِرَتِ الْأَقْصَابُ وَقُشِرَتْ، ونُقِلَتْ إلى المعاصر، وإذا كان في أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرِقَتْ آثَارُ الْأَقْصَابِ وَسُقِيَتْ وَعُزِزَتْ كما تقدم، فتُنَبِّتُ أَرْضُهَا الْقَصْبَ، ويسمونه بِمَصْرٍ: الْحِلْفَةِ، ويسمّون الأول: الرأس، وقنود الحلفة في الغالب أجود من قنود الرأس.

ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصل

الذي جرت عايه العادة بالديار المصرية أن الأقصاب إذا نُقِلَتْ من المكسر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير وضعت في مكان برسمها يسمى دار القصب،

- (١) مبخوش، أى مثقوب. والبخش: الثقب، ينطق به العامة بضم أوله وسكون ثانيه، والظاهر أنه لفظ عامى إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان، بل إن مادته لم ترد في كتب اللّغة التي بين أيدينا.
- (٢) الذي وجدناه في كتب اللّغة التي بين أيدينا أن « تساق » يتعدى بنفسه لا بالحرف كما هنا، وأعله ضمن هذا الفعل معنى « صعد » فعده « بنى ».
- (٣) القنود: جمع قند، وهو غسل القصب إذا جمد، وهو معرب « كند ».

- (١) بها وَتَرَاتٌ وَّحَطَبٌ وَرَجَالٌ مُرَصَّدُونَ لِإِصْلَاحِ الْقَصَبِ بِالسَّكَائِنِ الْكِبَارِ الَّتِي
مَقْدَارُ حَدِيدِهَا ثَلَاثَا ذِرَاعَ ، فِي عَرْضِ سَدَسِ ذِرَاعٍ فِي سَمَكِ إِبْهَامٍ ، فَيَنْظَفُونَ عِيدَانِ
الْقَصَبِ ، وَيَقْطَعُونَ مِنْ أَعْلَاهُ مَا لَيْسَ فِيهِ حَلَاوَةٌ ، وَيَسْمُونَهُ ^(٢) اللَّكْلُوكَ ، وَيَنْظَفُونَ
أَسْفَلَ الْعُودِ قَمَا لَعَلَّهُ بِهِ مِنْ عُرُوقٍ وَطِينٍ ؛ وَيُسَمَّى هَذَا الْإِصْلَاحُ التَّطْهِيرَ ؛ ثُمَّ يُنْقَلُ
مِنْ تِلْكَ الْوَتَرَاتِ إِلَى وَتَرَاتٍ أُخْرَى مُؤَبَّدَةٍ بِأَعْلَى حَائِطٍ عَرِيضٍ مَرْتَفِعٍ عَنِ الْأَرْضِ ،
أَحَدُ جَانِبِي الْحَائِطِ مِمَّا يَلِي دَارَ الْقَصَبِ ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ إِلَى بَيْتِ آخِرِ سَمَى بَيْتِ
النُّوبِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ الْحَائِطِ رَجَالٌ جَالِسُونَ فِي مَقَاعِدَ أُعِدَّتْ لَهُمْ ، وَبِأَيْدِيهِمُ السَّكَائِنُ
الَّتِي يَنْظَفُ بِهَا الْقَصَبَ ، وَالْوَتَرَاتُ الْمُؤَبَّدَةُ أَمَامَهُمْ ، فَيَجْمَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عِدَّةَ عِيدَانِ
مِنَ الْقَصَبِ ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْوَتَرَةِ ، وَيَقْطَعُهَا قِطْعًا صَغِيرًا فَتَسْقُطُ فِي بَيْتِ النُّوبِ ؛
ثُمَّ تُنْقَلُ مِنْ بَيْتِ النُّوبِ إِلَى الْجَرِّ فِي أَفْرَادٍ ^(٤) تَسْمَى الْعِيَارَاتِ ^(٥) مُتَسَاوِيَةِ الْمَقَادِيرِ ؛
فِيَوْضِعِ ذَلِكَ الْقَصَبِ الْمَقْطَّعِ تَحْتَ الْجَرِّ ؛ وَيَدْوُرُ الْجَرُّ عَلَيْهِ الْأَبْقَارُ الْخِيَادُ فَيَعِصِرُهُ ؛
وَيَنْزِلُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْمَاءِ فِي أَبْجَاشٍ ^(٦) فِي الْقَاعَةِ الَّتِي تَحْتَ الْجَرِّ إِلَى مَكَانٍ ضَنْكٍ ^(٧)

- (١) فِي الْأَصْلِ : «الَّذِي» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٢) لَمْ نَجِدْ هَذَا اللَّفْظَ بِالْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهُ فَيَارَاجَعْنَاهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَلْفَاظِ الْعَامَةِ ، وَهُمْ
يَنْظَفُونَ بِهِ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ ؛ وَيَسْمُونَهُ أَيْضًا : «الزَّرْعُوعُ» .
(٣) لَمْ نَجِدْ هَذَا اللَّفْظَ فَيَارَاجَعْنَاهُ مِنَ الْمَظَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَقَدْ أَخْبَرَنَا بَعْضُ مَنْ لَمْ يَلَمْزِ بِالْمَعَاصِرِ الْقَدِيمَةِ
لِقَصَبِ السُّكَّرِ أَنَّهُمْ يَسْمُونُ الْمَكَانَ الَّذِي يَغْسَلُ فِيهِ الْقَصَبَ قَبْلَ عَصْرِهِ بَيْتَ النُّوبَةِ ؛ فَلَعَلَّهُ اصْطِلَاحٌ لَهُمْ .
(٤) الْأَفْرَادُ : أَوْعِيَّةٌ تَتَّخِذُ مِنْ خَوْصٍ ، وَاحِدُهُ فَرْدٌ يَفْتَحُ فَسْكَوْنٌ ؛ وَهُوَ لَفْظٌ شَائِعٌ الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ
الْعَامَةِ فِي مِصْرَ ؛ وَلَمْ نَجِدْ بِهِذَا الْمَعْنَى فَيَارَاجَعْنَاهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .
(٥) فِي الْأَصْلِ : «الْقَبَارَاتُ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ أَذْ لَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنًى يَنْسَبُ السِّيَاقِ .
(٦) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ مِنْ صَفْحَةِ ٢٠٦٧ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .
(٧) فِي الْأَصْلِ : «مُضْنَكٌ» ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فَيَارَاجَعْنَاهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ بِمَعْنَى الضِّيقِ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ
كَمَا هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

مَعْدَّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت الحجر نُقِلَ إلى مكانٍ آخر ، ثم
يُجْعَلُ في قفافٍ مُتَّخَذَةٍ من الحُلُفَاءِ مَشْبَكَةِ الْأَسَافِلِ والجوانب ، ويُلقَى تحت دولاب
التَّخْتِ^(١) ، ويدور الدولاب عليه بالأعواد حتى يأخذ حُدَّه ، ويخرج ما بقي فيه من
الماء ؛ ويجمع ما تحصل من ماء القصب من الحجر والتَّخْتِ في مكان واحد ؛ ثم
يُنْقَلُ ذلك الماء فيصفى من مُنْخَلٍ موضوع في قفص مَعْدَّ له ، وينزل ما يخرج
إلى مكان متصل يسمونه البهو^(٢) ، له عيارٌ معلومٌ محرَّرٌ ؛ فإذا امتلأ من ذلك الماء
المصفى نُقِلَ إلى المطبخ ، وصفى تصفية ثانية في قَدْرٍ كبيرة يسمونها الخابية يُصَبُّ
فيها بعد التصفية جميع ما كان في البهو ، وهو ستون مَطْرًا من ماء القصب ضريبة^(٣)
كُلِّ مَطَرٍ نصف قنطار بالليثي على التحرير — والرطل الليثي مائتا درهم — فيكون
ما في الخابية ثلاثة آلاف رطل وهو ما كان في البهو ؛ ثم يوقد عليها من خارج المعصرة^(٤)
إلى أن يغلي الماء غليانا كثيرا ، وينقص نقصا معلوما ، فعند ذلك يبطل الوقود عنها ؛
فإذا سكن غليانها نُقِلَ ما فيها من الماء المسلوق في يقاطين كبار ، في كل قرعة منها
خشبة منجورة طويلة كالساعد نافذة في جانبي القرعة ، ويصَّب في أكسية من الصوف

(١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيما راجعناه من المظان ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف
عند أصحاب المعاصر .

(٢) عبارة الأصل : « السهولة عيار » الخ وهو تحريف . والبهو : حوض مبنى ينزل فيه ما يصفى
من العصير كما أنبأنا بذلك من له علم بمعاصر القصب ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة
اذ لم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من المظان .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم في كتاب العرب والدخيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة
مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية ، ولم أرها فيما وقفت عليه من كتب
اللغة اه . وفي هامش كتاب مناقب الليث بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطروعا ، معروف
عند بعض أهل مصر .

(٤) في مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطر مائة وعشرون رطلا ؛ وفي هامش هذه
الصفحة إنه يسع مائة رطل مصرى تقريبا . (٥) الوعيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

- تحتها دنانٌ كبار فيصنّى الماء منها تصفيةً ثالثة، ويستقر في تلك الدنان؛ ثم يُنقل من الدنان في دُسوت^(١) إلى القدور، فيطبخ فيها إلى أن يأخذ حده من الطبخ؛ ويحتاج كل حجر إلى خابية وثمانى قدور يطبخ ما يُعْتَصَر تحت الحجر والتَّخْت؛ ثم يُنقل بعد طبخه في دُسوت من النحاس، لكل دُست منها قبضتان من الخشب مسمورتان في أعلاه يقبض الرجل عليهما ليقياه حرارة الدُست؛ ويُصب ذلك المطبوخ - ويسمى إذ ذاك المَحْلَب - في أباليج من الفخار ضيقة الأسافل، متسعة الأعالي، مبخوش في أسفل كل أبلوجة منها ثلاثة أنجاش مسدودة بقش القصب، وهذه الأباليج موضوعة في مكان يسمى بيت الصب، فيه مصاطب مبنية مستطيلة تشبه المذاود، ويجعل تحت كل أبلوجة من تلك الأباليج قادوس يقطر فيه ما يتخلص من رقيق ذلك المَحْلَب - وهو العسل القَطْر - ثم يخدمها الرجال بالكرانيب مرة بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الأباليج، وهى تختلف، فمنها ما يسع أكثر من قنطار، وأقل منه؛ فإذا امتلأت وتكاملت خدمتها وأخذت في الجفاف نُقلت من بيت الصب إلى بيت الدفن؛ فتعلق فيه على قواديس يقطر فيها ما بقي من أعسالها.

(٥٤)

- (١) اطلاق الدسوت على القدور المتخذة من النحاس - كما هو المراد هنا - اطلاق عامى شائع الاستعمال في مصر وغيرها من بلدان المشرق انظر تاج العروس .
- (٢) فى الأصل : « رقيقة » ؛ وهو تحريف .
- (٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .
- (٤) المذاود : معالف الدواب ، واحده « مذود » وزان منبر .
- (٥) فى الأصل : « المجاب » بالجميم ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس .
- (٦) فى الأصل : « الركانيب » ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المغارف ، واحده كرنيب ؛ وهو لفظ عامى شائع الاستعمال فى مصر حتى اليوم ، وفى مسندرك التاج : الكرنبة : المغرفة ، مصرية .
- (٧) لعل وجه تسميته بيت الدفن أن الأباليج تستر فيه وتوارى مدة حتى يقطر منها ما بقي من أعسالها .

وأما أوساخ الأقصاب التي تنظف منها في دار القصب فإنها تُعْتَصَر على أنفرادها ،
وتُطَبَّخ بمفردها ، وتسمى الخابية ، وهي أردأ من غسل القصب .

ولما يتحصّل من الاعتصار أسماءٌ ^(١) وعبر: منها الضربية ، ومنها ^(٢)الوضعة ، ومنها اليد ،
فالضربية عبارة عن ثمانى أيادٍ ، واليد ملٌ خابية ، والخابية ثلاثة آلاف رطل من
عصير القصب بالرطل اللبني كما تقدّم ، فتكون الضربية أربعة وعشرين ألف رطل
من الماء ، يجمّد منها مع جودة القصب وصلاحه من القند خمسة وعشرون قنطارا
إلى خمسة عشر قنطارا ، ومن الأعسال اثنا عشر قنطارا إلى ثمانية قناطير ، ونهاية
ما يتحصّل من الفدان القصب ثلاث ضرائب : منها قند وقطرٌ ضربتان ونصف
وعسلٌ خابية نصفٌ ضربية مقدارها أربعة وعشرون قنطارا بالمصرى ، ومن الأقصاب
ما يفسد فلا يجمّد طبيخٌ مائه ولا يصير قندا ، فيُطَبَّخ عسلا ، ويسمونه المرسل ،
وهذا الذى ذكرناه من الوضع ^(٣) والمتحصّل والتسمية اصطلاحٌ بلاد قوص
من الصعيد الأعلى بالديار المصرية ، وهو وإن اختلف فى غيرها من البلاد فلا يبعد
من هذا الترتيب .

وأما أقصاب الشام — فهى تختلف أوضاعها بحسب البقاع والنواحى
والأعمال ، فمنها ما هو بالسواحل الطرابلسية والبيروتية والعكاوية ، ولهم اصطلاحٌ
فى نصب الأقصاب واعتصارها : فمنها ما يُعْتَصَر بجارة الماء ، ومنها ما يُعْتَصَر
بالأبقار ، ومنها ما يُعْتَصَر بالسهم ^(٤) ، وليس ذكرها وبسط القول فيها من المهمات التى

(١) يريد بالعبر المقادير ، لأنها تعبر ، أى توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضربية واليد فيما يأتى ، ولم ننف على تعيين مقدارها فيما بين
أيدينا من المظان .

(٣) فى الأصل : « الموضع » ، وهو غير مستقيم ، والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهم : الأعواد من الخشب .

تَمْتَضِي الْأَنْصَابَ إِلَيْهَا ^(١) ، وَالَّذِي قَدَّمْنَا ذَكَرَهُ أَيْضًا مِنْ أَمْرِ أَقْصَابٍ مَصْرٌ هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَاحَةٌ وَدَوْلِيَّةٌ ^(٢) ، وَإِسْهُ هُوَ كِتَابَةٌ ، وَهُوَ لِلْبَاشِرِ زِيَادَةٌ عَلَى صِنَاعَتِهِ ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَعِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ .

وَعَمْدَةُ الْمُبَاشَرِ فِي الْأَعْتَصَارِ ضَبْطٌ مَا يَتَحَصَّلُ ، وَحِرَاسَتُهُ مِنَ السَّارِقِ وَالْخَائِنِ وَالْمُفَرِّطِ ؛ وَيَلْزَمُ مُبَاشَرَةَ الْأَعْتَصَارِ أَنْ يَنْظِمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَخْزُومَةً ^(٣) بِمَا أَعْتَصِرُ .
وَبِمَا تَحَصَّلَ ؛ فَإِذَا انْتَهَى الْأَعْتَصَارُ نَظَّمَ عَمَلًا شَامِلًا لِجَمِيعِهِ عَلَى مَا نَشْرَحُهُ فِي الْأَوْضَاعِ الْحِسَابِيَّةِ .

وَالْقَنْدُ إِذَا جَفَّ وَأُخِذَ حَدَّهُ مِنَ الْبَيَاضِ نُقِلَ إِلَى مِطَابَخِ السُّكَّرِ ، فَيُحَلَّلُ بِالْمَاءِ وَشَيْءٌ مِنَ اللَّبَنِ الْحَلِيبِ ، وَيُطَبَّخُ فَيَصِيرُ مِنْهُ السُّكَّرُ الْبَيَاضُ ^(٤) وَالْقُطَارَةُ ؛ وَيَتَحَصَّلُ مِنْ كُلِّ قَنْطَارٍ مِنَ الْقَنْدِ رُبْعُهُ وَسُدُسُهُ سَكْرًا ، وَثَلَاثُهُ وَرُبْعُهُ قُطَارَةٌ ؛ وَمِنْهُ مَا يُكْرَّرُ ثَانِيًا ^(٥) فَيَصِيرُ فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ وَالنَّقَاءِ ، وَقُطَارَتُهُ تَقَارِبُ قَطَرِ النَّبَاتِ ؛ وَمِنْهُ أَيْضًا مَا يُطَبَّخُ نَبَاتًا ؛ وَهَذِهِ أُمُورٌ جَمَلِيَّةٌ يُسْتَدَلُّ مِنْهَا عَلَى الْمَقَاصِدِ ، وَالْمُبَاشَرَةُ تَشْمَلُ مَا لَا يُمْكِنُ إِيرَادُهُ فِي كِتَابٍ ، وَتُظْهِرُ مَا لَا يَكَادُ يَنْحَصِرُ بِخَطَابٍ ، فَلْنَذْكُرِ الْأَوْضَاعَ الْحِسَابِيَّةَ .

(١) اعل صوابه : « الأنصراف » .

(٢) الدولة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المخزومة في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ ، فانظره .

(٤) تقدم بيان المراد بكلمة « العمل » في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتي في هذا السفر الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض : أى ذو البياض ؛ فوجه الرصف به ظاهر .

(٦) فى الأصل : « ذلك » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يمتضيه سياق العبارة .

ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشرون ويعتمده فيها

أقول ما يحتاج إليه كل مباشر أن يضع له تعليقا ليوميته ، يذكر فيه تاريخ اليوم والشهر من السنة الهلالية ، ويذكر فيه جميع ما تجدد ويقع في ذلك اليوم في ديوانه : من مخزير ومستخرج ومجرى ومبتاع^(١) ومبيع ومصرف ، وما يتجدد من زيادات في الأجر والضمانات ، وعطيل ، وتقدير أجائر ، وترتيب أرباب استحقاقات على جهات ، وتنزيل من يستخدمه ، وصرف من يصرفه من أرباب الخدم ، وغير ذلك بحيث لا يُخل بشيء مما وقع له في مباشرته قل أو جل ؛ وهذا التعليق هو أصل المباشرة ، فمن ضبط اليوم أنضبط ما بعده ؛ وكل المباشرين في وضعه سواء ، يضع الشاهد فيه ما يضعه العامل ، فإذا كان في آخر النهار قبل على مجموعه بين المباشرين ، ويساق ما يحتاج إلى سياقته من العين والغلة والأصناف .

٥٥

(١) المبتاع : المشتري بفتح الراء . والمباع : الشيء المعروض للبيع ، وهو من أبعث السلعة — بالألف في أوله — أى عرضتها لأن تباع .

(٢) التنزيل : كلمة شاع استعمالها بين العامة في مصر بمعنى التولية والتنصيب — أى في مقابلة العزل — فيقولون : « نزل السلطان فلانا في العمل وعزل فلانا عنه » ؛ وهذا هو المراد هنا أخذا من السياق . والتنزيل في اللغة : الإحلال في المنزلة ؛ وما هنا منه .

(٣) في الأصل : « ما نقده » ؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهد هو الذي يشهد بمتعلقات الديوان نفا وإثباتا انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٦ ؛ وسيأتى في هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال في ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذي ينظم الحسابات ويكتبها ؛ وقد كان هذا اللقب في الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٦ ؛ وسيأتى في هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال في ذكر أرباب الوظائف .

- ثم يكتب العاملُ مخزومةً يورد فيها المستخرجَ والمُحْضَر والمُجْرَى والمصروف^(١)، ويرفعها على عدة نسخ بحسب المسترفعين؛ وإن شاحه المسترفِعُ لزمه أن يوردها فيما أورده في مياومته من سائر المتجددات والأحوال، فيصير بها المسترفِعُ الغائبُ كالْمَبْشَرِ الحاضر، وتشمَلُ المخزومةُ خَطَّ مَنْ هو مباشرٌ: من ناظرٍ مباشرةً فمن دونه؛ وقد قدمنا ذكر بسط الجرائد على الأموال والغلال، وكيفية خدمتها في الأصول؛ ونظير ذلك أن يبسط أسماء أرباب الاستحقاقات وأرباب المصاريف تلوا أصول الأموال ومضافاتها، ويضع لكل اسم ما يستحقه مباشرةً ومسانهةً عينا وغلةً، أو ثمنَ صنفٍ أو غير ذلك؛ ثم يشطب قبالة كل اسم ما قبضه مفصلاً بتواريخه من جهة قبضه، لتسهل عليه بذلك محاسبة كل نفر^(٢) عند الاحتياج إلى محاسبته كما شرحناه في الأصول؛ ولا بد لكل مباشر من جريدة على هذه الصفة تشتمل على الأصل ١٠ والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(١) في الأصل : «والمضروب» ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : «شاحه» وهذا لما يجب فيه الإدغام ؛ وشاحه بتشديد الحاء ، أى ناقشه ؛ ومنه قولهم : «لا مشاحه في الإصلاح» أى لا مناقشة فيه ولا منازعة .

(٣) إطلاق النفر على الواحد كما هو المراد هنا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذي وجدناه فيما بين أيدينا من كتب اللغة أن النفر الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل : إلى سبعة ؛ ولا تصح إرادته هنا كما لا يخفى .

- ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم^(١)
وهي الختم والتوالي والأعمال والسيقات^(٢) التي تلك كلها شواهد الارتفاع :
فأما الختم — فتختص بجهات العين من سائر الأموال ، وكيفيتها أنه إذا
مضت على المباشر مدة لا تتجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام —
وما دون الشهر لا يقع إلا عند انفصال كاتب في أثناء الشهر أو اقتراح مقترح —
نظم حسابا سماء الكتاب في مصالحهم : الختمة ، يشرح في صدرها ما مثاله بعد^(٣)
البسملة : ختمة بمبلغ المستخرج والمجري من أموال الجهات ، أو المعاملة الفلانية
لأستقبال كذا ، وإلى آخر كذا ، ويذكر أسماء المباشرين فيقول : بولاية فلان ، ونظر
فلان ، ومشارفة فلان ، وكتابة فلان ؛ ويعقد في صدرها جملة على ما أستخرجه في تلك
المدة وأجراه من أصول الأموال ، يفصل ذلك بسنيه ، ويشرحه بجهاته وأسماء أربابه
وتواريخ محضره ومجراه ، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت
إضافته ؛ يبدأ بالحاصل المساق إلى آخر المدة التي قبلها ، ثم يذكر ما لعله أستخرجه
من الجهات التي ترد في باب المضاف ، وما ورد من أثمان المبيعات والمصالحات
والخدم ، وما لعله اقترضه ، وما لعله حصل من الموارد الخشيرية والمجتذبات^(٤)
والتأديبات ، وما لعله اعتد به لمعاملة أخرى ونقل عليه ، إلى غير ذلك من أبواب^(٥)
١٥

(١) في الأصل : « المخازيم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازيم في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ من هذا السفر ، فانظره .

(٢) في الأصل : « الذي ذلك » الخ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ؛ فلذلك وضعناها بين خطين .

(٤) « نظم » جواب « لإذا » ؛ والذي في الأصل : « ونظم » ؛ والواو زيادة من النسخ .

(٥) تقدم تفسير الموارد الخشيرية في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) « ونقل عليه » ، أي ونقل محسوبا عليه ؛ وإرادة المؤلف لهذا المعنى سوغت له ذكر « على »

مكان « إلى » التي هي مقتضى اللغة .

المضاف على اختلافها . مما يطول شرحه لو أَسْتَقْصَى^(١) ؛ ثم يَفْذَلِكِ^(٢) على الأصل
والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقيد ذَكَرَهُ^(٣) بعد الفذلة ، وأَسْتَقْرَ^(٤) بالجملة بعده
وإلا فالفذلة بمفردها ؛ ثم يخصم تلك الجملة بما لعله حملة أو نقله على معاملة أخرى
أو صرفه ، ويذكر الحمل بتواريخه ورسائله ، وأسم من حمل على يده ، والمنقول كذلك
والمصروف بأسماء أربابه وتواريخه ، ثم يسوق إلى التحصيل إن أنطرد له حاصل^(٥)
وإلا فيقول في آخرها : ولم يبق حاصل فنذكره .

وقد اقترح في بعض الممالك الشامية في بعض السنين على المباشرين أن يضمّنوا
ختمهم ما يوردونه في الأصل من جهات الأصول — كل جهة من المستخرج
والمجبري — الأصل محتوما والخصم مفصّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول في الأصل :
الجهة الفلانية في التاريخ الفلاني كذا [و] كذا درهم ؛ ويذكر تحت ذلك التاريخ خصم
تلك الجملة ؛ وفي الخصم إذا ذكر اسم ربّ استحقاق وما وصل إليه في كل تاريخ
يقول : التاريخ الفلاني ؛ ويعين جهاته ؛ ويشطب المسترفع الأصل على الخصم ؛
وفي هذا تضيق كثير على المباشر ، ولم يستقر ذلك ، وعادت الأوضاح على ما بيناه ؛
هذا مصطلحهم في الختم ؛ والله أعلم .

وأما التوالى — فهي إذا أُطْلِقَتْ أريد بها توالى الغلال ؛ وكيفيتها أنه
إذا مضت مدة على ما قدمناه في شرح الختم نظم كاتب الجهة حسابا للغلة اسمه التالي

(٥٦)

(١) يقال : فذلک الحاسب حسابه اذا أنهاء وأجمله ؛ والفذلة : جملة الحساب ؛ وهو لفظ منحوت
من قول الحاسب إذا أجهل حسابه : فذلک کذا وكذا .
(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذي ذكرناه في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .
(٣) هذه الكلمة في الأصل مطموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدان
إلى ما أثبتنا .
(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يُشرح في صدره بعد البسملة : تالٍ بما أنساق حاصلًا من الغلال بالجهة الفلانية إلى آخر المدة الفلانية ، مضافا فمخصوصا إلى آخر كذا ؛ ويذكرُ أسماء المباشرين على ما تقدّم ، ثم يوصل في صدره ما أنساق إلى آخر المدة التي قبلها من الغلال على اختلافها ، ويفسر الغلال ^(١) بسنيها ، ويضيف إليه ما لعله أنضاف من متحصّل ^(٢) ومبتاع وقرض وغير ذلك ؛ ثم يفذلك عليه ، ويذكرُ بعد الفذلك ما لعله وقع من تبديل صنف بصنف لوجود ذلك الصنف وعدم غيره ، إما فيما قبضه أو فيما صرفه ، وما لعله أبيع وثن ^(٣) ، وما لعله يُنقل من كيل إلى كيل ؛ ويستقرّ بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أبيع وما استقرّ من الغلال بعد التبديل والتثمين ، ويستخرج ثمن البيع بمقتضى ختمة تلك المدة ، وهي شاهده ؛ ويخصم بالحمول والمنقول والمصرف على اختلافه ؛ ويفصل ذلك بتواريخه على ما شرحناه في الختمة ، ويسوق الحاصل من الغلة إن كان ؛ هذا مصطلحهم في توالى الغلال .

ولهم أيضا توالٍ يسمونها توالى الارتفاع — تشمل على العين والغلة والأصناف ، ولا تعمل إلا عند اقتراحها ، وصورتها أن يوصل في صدر تالى الارتفاع ما أنساق آخر الارتفاع الذى قبله من الحاصل والباقي عينا وغلة ؛ ويفصله بسنيه ؛ ثم يضيف إليه ما استحقّ في تلك السنة أصلا ومضافا ، ويخصم بالخصم السائغ المقبول ، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وبقا .

(١) « يفسر » ، أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحريرى في درة القواص أنه يقال : « انضاف » ؛ وقد ردّ عليه في ذلك ، ووردت هذه الصيغة في اللسان مادة « ملد » .

(٣) أبيع بالألف في أوله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السفر .

ولهم أيضا توالى الاعتصار — وصورتها أن يُوصل ما انساق حاصلا آخر
[المدة] ^(١) على الاعتصار أو تاليه ^(٢)، ويضيف ما لعله تحصل من قَطْرٍ وغيره، ويفذلِكَ
عليه، ويكرر منه ويبيع، ويستقر بالجملة، وينخصم، ويسوق إلى الحاصل.

وأما الأعمال — وهى تختلف — : فمنها أعمال متحصّل الغلال
والتقاوى، وأعمال الاعتصار، وأعمال المبيع، وأعمال المبتاع، وأعمال الجوالى،
وأعمال الخدم والتأديبات والحنائيات ^(٣).

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيتها أن يشرح فى صدر العمل
بعد البسملة ما مثاله : عملٌ بما تحصل من الغلال بالناحية الفلانية لمُغلّ سنة
كذا وكذا الخراجية، المدرك فى شهور سنة كذا وكذا الهلالية، مضافا إلى ذلك
ما وجبت إضافته، ويوصل فى صدره ما تحصل من الغلال على اختلافها وأكياها ^(٤)
مفصّلا بأسماء الفلاحين، ويضيف إليه ما لعله استعاده من التقاوى والقروض
أو حصّله من رسوم أو غير ذلك، ويفذلِكَ عليه؛ فمن الكتاب من يسوقه بجملة
حاصلا، وينخصم بمقتضى التالى؛ ومنهم من ينخصم بما حمّله وصرفه فى مدة تحصيله
للمُغلّ، ويسوق ما بقى إلى الحاصل، ويستغنى بذلك عن تالٍ لملك المدة.

وأما عمل الاعتصار — فصورته أن يترجم فى صدره بعد البسملة بما
مثاله : عملٌ بما تحصل من اعتصار الأقسام بالجهة الفلانية لأعتصار أقصاب سنة

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والمعنى لا يتضح بدونها؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق فى سطر ٣
من صفحة ٢٧٧ عند الكلام على توالى الغلال، فانظره.

(٢) فى الأصل : « تالته »؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل : « والحنائيات »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى صفحة
٢٨٢ سطر ٧.

(٤) فى الأصل : « وما »؛ والواو زيادة من النسخ.

كذا وكذا الخراجية؛ ويقول في يَمْنَة العمل : عن كذا وكذا فداناً أو مَنْظَرَةً^(١) إن كان بالأغوار، أو قسماً إن كان بالسواحل؛ وينفصل الفُدن بما فيها رأساً وما فيها^(٢) خِافَةً إن كان بمصر، ومقنطراً أو قائماً^(٣) إن كان بالشام، ويبرز عن يسرته بكمية ما تحمّل فيقول : من أصناف الحلو كذا وكذا قنطاراً، وينفصل ذلك بالقند والأعسال على اختلافها : من المرسل^(٤) والقَطَر والحُر والأسطروس^(٥) والمردودة؛ والمرسل هو من القصب الذي لا يجمد ولا يصير قنّداً . والقَطَر هو ما يتحصّل من قَطَر أبايج القند . والحُر هو ما يتحصّل من أطراف الأقصاب، وهذه الأطراف يسمونها بالشام : العيكون، ولا يعتصرونها ألبتة، بل تُرصد^(٦) للنصب^(٧)، فإنهم يستغنون

(١) المنظرة في الأصل : المراقبة، أي الموضع المشرف الذي يكون فيه الرقيب، والمراد هنا : مقدار من الأرض يمكن للحارث الذي يجلس في المنظرة أن يراه ويحرس ما فيه من المزروعات .

(٢) تقدّم بيان الرأس والخلفة في ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المقنطر : لفظ عامي معناه الملقى على قطره أي جانبه؛ يقولون : تقنطر أي وقع؛ وعريته تقطر بتشديد الطاء؛ انظر شرح القاموس مادة (قطر) وشفاء الغليل؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المزروع أول مرة وهو المسمى بالرأس في مصر؛ وذلك لأن طريقهم في زراعة القصب أن يضعوا قطعه في الأرض ملقاة لا قائمة، كما سبق ذلك في صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذاً من السياق . وفي الأصل : «مقنطارا»؛ ودو تحرّيف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالتائم القصب الذي ينبت تالياً للقصب الأول، وهو الخلفة، وسمى قائماً لأنه ينبت من الجذور القائمة في الأرض بعد قطع القصب الأول .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل في هذا الموضع، وفيما يأتي بالشين المعجمة في آخره مكان الشين المهملة؛ ولم نقف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المظان التي بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا في الكتب المدونة في الألفاظ الدخيلة، ولعله : «العنكول» ، تشبيهاً له بعنكول النخلة، وهو قنوها .

(٧) تقدّم تفسير نصب القصب في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السفر، فانظره .

بها عن العيدان^(١)، ومنهم من يسمّى الحُرّ المردودة . وأما الأسطروش^(٢) : فهو ما يُعمل من جُرادة وجوه الأباليج حال الطبخ ، وما يتأخر على البوارى^(٣) عند خلعه بالشّام .
 وأما الخابية^(٤) فهي ما يتحصّل من الأوساخ والرّيم^(٥) . والمرسل^(٦) والحُرّ والخابية لا تُعرف بالشّام الّبتّة ، وإنما يعرفون القطر والأسطروش^(٢) ، ثم يذكر بعد ذلك تفصيل المتحصّل بجهاته إن كان بمصر - يفصل كلّ ساقية وفُدنها وما يُحصّل منها من الضرائب - وتفصيل الأقسام الرّاس والخلفة ، ويذكر اسم الطّباخ ، ثم يبيع من عرض ذلك ويثمن ، ويستقرّ بالجملة ، ويحمل ويصرف ويسوق إلى الحاصل .
 وأما عمل المبيع - فصورته أن يقول في صدره بعد البسملة : [عمل^(٦) بما يبيع من الغلال والأصناف بالجهة الفلانيّة لمدة كذا وكذا ، ويعقد على الثمن جملة ، ثم يفصلها بأصنافها ، يذكر عن يمنة القائمة الصنف ، وفي الوسط السعر إن كان سعرا واحدا ، وإلا فيقول مكانه : بأسعار تذكّر ، وفي اليسرة الثمن ، ثم يفصله بأسماء مبتاعيه ، فإذا تمّ ذلك أضاف ما أنساق له آخر العمل الذي قبله

(١) في الأصل : « الإيدان » ، وهو تحريف ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارى بتشديد الياء هي الحصر المنسوجة من القصب ، واحده بورى وبارى ، فارسيّ معرب . وقوله : « عند خلعه » : أى عند اخراج السكر الجامد من القوالب التي يوضع فيها ، وكأنهم كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكمل جفافه .

(٤) لم يذكر الخابية في أصناف العسل التي سردها فيما سبق ، ولعلها هي المرادة بالمردودة السابق ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالريم فضول الشيء وزوائده التي لا يعتنى بها لحسها ، وفي كتب اللغة : الريم بفتح الراء : الزيادة والفضل ، والعامّة في مصر يكسرون راءه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى اثباتها ، كما يرشد إليه ما سبق في أعمال الغلال وأعمال الاعتصار وما يأتي بعد ذلك من الأعمال .

من أثمان المبيعات ؛ ويفصل ذلك بأسماء من تأخر عليه منها شيء إن كان ؛ ثم يفذلك على الجملة ، ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويسوق إلى الباقي دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول في صدره : ^(١) عمل بالمبتاع بالجهة الفلانية من الأصناف التي تذكر لمدة كذا وكذا ؛ ويعقد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يمنة نصف القائمة ، ويبرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن ، وإلا فيقول : ما يذكر ؛ ويشرح ما آتباعه صنفا صنفا بتواريخه ، وأسماء من آتباع منهم ، وأسعاره ، ويضيف إلى جملة الثمن ما لعله تأخر عليه من ثمن ما آتباعه في العمل الذي قبله ، ويفصله بأسماء أربابه ؛ ويفذلك على ذلك ، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويسوق إلى متأخر أو فائض إن كان قد سلف عليه [شيء] . ^(٢)

وأما عمل الجوالي — فيقول في صدره ما مثله بعد البسملة : ^(٣) عمل بما وجب من مال الجوالي بالمعاملة الفلانية لسنة كذا وكذا الهلالية مخصوصا مساقا إلى آخر المدة ؛ ويوصل ما كان قد آستقر من الأنفار على ما تقدم ؛ ويضيف النوبات والطوارئ ^(٤) بأسمائها ومللها ، وما لعله آنساق باقيا إن كان ، وقلما يكون ، ويفذلك ^(٥)

١٥ (١) يريد بالفائض : الزائد ، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثر حتى سال .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل يسع كلمة ؛ والسياق يقتضى إثباتها أو إثبات ما يفيد معناها .

(٣) الظاهر من سياق الكلام أنه يريد بالمعاملة : الناحية والجهة ؛ وسيأتي هذا اللفظ في مواضع أخرى من هذا السفر مراداً به هذا المعنى .

(٤) يريد بالأنفار : الأشخاص ؛ وإطلاق النفر على الشخص الواحد إطلاق عامي ، إذ لم نجد فيه

٢٠ راجعنا من كتب اللغة التي بين أيدينا ؛ وقد سبق التنبيه على ذلك في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر ، فانظره .

(٥) يشير بقوله : « على ما تقدم » إلى ما ورد في صفحة ٢٤٣ سطر ٥ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) انظر تفسير النوبات والطوارئ في الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك ؛ ثم يذكر بعد الفذلكة من أهتدى بالإسلام ، أو هلك بالموت ، أو تسحب^(١) إلى عمل آخر على ما قدمناه من الاختلاف في إيراد ذلك في هذا الموضع ، والاستثناء به في الصدر بالتعددية أو إيراده في باب المحسوب ؛ وكل ذلك سائغ في الموضع ؛ ثم يستقر بالجملة بعد ذلك ، ويستخرج بمقتضى الختم ، ويسوق ما لعله أنساق إلى الباقي ؛ وإن عاد إليه متسحب أو نازح وببيده وصول من مباشر عمل آخر اعتدله به ، وأوردته في باب المحسوب ، وفذاكه على الجملة .

وأما عمل الخدم والجنايات والتأديبات — فصورته أن يوصل في صدر العمل بعد الترجمة عليه ما تعين من أموال الخدم أو ما تقرّر من الجنايات والتأديبات ، يذكر فيه الأسماء والجرائم ؛ ويضيف إلى ذلك ما لعله أنساق قبل تقرير هذا المال آخر العمل الذي قبله ؛ ويفذل عليه ؛ ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويعتد بما لعله رسم بالمساحمة به مما كان قُتر ، ويسوق ما ينطرد بعد ذلك إلى الباقي ؛ فهذه هي الأعمال .

وأما السياقات — فهي مختلفة : فمنها سياقة الأسرى والمعتقلين ، وسياقة الكراع ، وسياقة العلوفات ، وسياقات الأصناف والعدد .

- ١٥ (١) تسحب : أى هرب ، أخذنا من السياق ، ولم نجد بهذا المعنى فيما راجعنا من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة في مصر .
- (٢) يشير بقوله : « على ما قدمناه » إلى الخلاف بين الكتاب المذكور في صفحة ٢٤٣ من هذا السفر ، فانظره .
- (٣) في الأصل : « بالتعددية » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا ، كما يرشد إلى ذلك ما سبق في صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .
- (٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .
- (٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .
- (٦) في الأصل : « فيها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
- (٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .
- ٢٠

فأما سياقة الأسرى والمعتقلين — فصورتها أن يُوصل في صدرها عِدَّة من أنساق عنده إلى آخر المدة التي قبلها، ويفصلها بالمعتقلين وأسمائهم وجرائهم، والأسرى ومملهم وأجناسهم؛ ويضيف إليها ما لعله تجدد عنده من معتقل أو أسير، ويفذلك عليها، ثم يذكر من أُفِرَج عنه: إما بمقتضى المراسيم «فيذكر توارينها وأسماء من حضرت على يده، ومن تسلم المعتقل» وإما بالهداية إلى دين الإسلام من الأسرى «فيذكر أسم المهدى وجنسه، ومن أى الممل كان، وتاريخ إسلامه والإفراج عنه، أو من قُودى به، أو من تسحب^(١)، أو من هلك بالموت بعد اعتبار ما يجب اعتباره في الهالك، ويستقر بالجملة بعد ذلك؛ واستقرار الجملة هو الحاصل.

وأما سياقة الكراع^(٢) — فهي سياقة تشمل على الخيل والجمال والدواب والأبقار والأغنام؛ وصورتها أن يوصل الكاتب ما أنساق عنده حاصلا آخر السياقة التي قبلها؛ ويضيف [إلى] ذلك ما لعله آتباعه بتوارينه وأسماء من آتبع منهم، وما لعله نتج، وما لعله اجتذب؛ ويفذلك على ذلك؛ ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نفق وتنبل وتذكى^(٣)؛ ويستقر بالجملة على ما استقر من حيوان وجلود وثمان، ويصرف وينقل ما لعله صرفه أو نقله، ويسوق إلى الحاصل.

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر.

(٢) الظاهر أن إطلاق الكراع على الدواب التي ذكرها إطلاق اصطلاحى فإن في كتب اللغة التي بين أيدينا أن الكراع اسم يجمع الخيل؛ ولم نفق على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام ويدل على أن هذا الإطلاق من مصطلحات الكتاب أن الخوارزمي ذكره في كتاب «فاتيخ العلوم» ص ٥٩ طبع أوربا في الكلام على مواضع كتاب ديوان الخراج.

(٣) عبارة الأصل: «و يصيب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) نفق، أى مات.

(٥) فى الأصل: «تنبل» وهو تصحيف؛ وتنبل بالبناء للجهول، أى اختير، يقال: فلان

تنبل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى للقيمة. (٦) ذكى، أى ذبح.

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام ، ومعرفة أوقات نتاجها وما يكون منها توأمًا ، واستقبال النتاج لينضبط له نتاج النتاج .

- وأما سياقة العلوفات ^(١) — [فصورتها] أن يوصل في صدرها ما صرفه على الكراع في المدة التي نظم لها السياقة ، ثم يفصل ذلك كل صنف من الكراع وعدده في الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النوع في كل مدة ، في اليوم كذا في المدة كذا ، والزيادة والنقص على حسب الاتفاق ، ويراعى في ذلك ما تضمنته سياقة الكراع ؛ وإن صرف علوفة لطاري لا يستقر عنده مئز في التفصيل من المستقر فيقول : المستقر كذا ، والطاري كذا إضافة إلى هذه السياقة ؛ ولا فداكة ، ويتجنب أن يصرف علوفة عن أيام نقص الشهور الهلالية ، وهي ستة أيام في السنة فإن ذلك من المخرج اللازم ، وكذلك أيام الربيع .

- وأما سياقات الأصناف ^(٣) والزرد خاناه ^(٤) والعُدِّ والآلات والخزائن والبيارستانات — فإنه لا يمكن استيعابها لمؤلف كتاب ، وقلم عمِلت فيما كثر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرشد اليه ما سبق في السياقين اللتين قبلها .

(٢) في الأصل : « بعض » ؛ وهو تصحيف .

(٣) الزرد خاناه ، أى بيت الزرد ، وهو الدروع ؛ وفي صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناه ، فقد قال عند الكلام على السلاح خاناه مانصه : السلاح خاناه ومعناها بيت السلاح ، وربما قيل الزرد خاناه الخ .

(٤) البيارستان : لفظ فارسي استعمله العرب ، ومعناه مجمع المرضى ؛ وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين : « بيار » ومعناه المريض ؛ « وستان » ومعناه الموضع ؛ وأول من صنعه أبقراط ، وسماه : (أخشنادوكين) انظر شفاء الغليل .

وإنما تعمل فيما قل من الأصناف ؛ وصفتها إذا أمكن عملها أن يوصل ما عنده من الأصناف مفصلة ، ويضيف إليها ما أتباعه أو ما وصل إليه ، ويفذلك على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة واستقرار الجملة ما يرد من الأبواب : من المتقل والمستهلك وغير ذلك على كثرته ؛ وإذا استقصى ما يرد بين الفذلكة واستقرار الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضل الكتاب ومن له حذق بهذه الصناعة ، واختلقت مباشراته وتكررت ؛ فاذا ذكر ما وقع عنده استقر حينئذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله ؛ ثم يخصم بما يسوغ الخصم به ، ويسوق إلى حاصله .

فهذه هي الختم والتوالي والأعمال والسياقات ، وهي شواهد الارتفاع .

وأما الارتفاع — فهو العمل الجامع الشامل لكل عمل ؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب في صدره بعد البسملة ما مثله : عمل بما اشتمل عليه ارتفاع المعاملة الفلانية لمدة سنة كاملة ، أولها المحرم سنة كذا وكذا ، وآخرها سائح ذى الحجة منها ، مما أعتمد في إيراد ذلك الهلالى والحوالى للسنة المذكورة ، والخراجى والأقصاب لسنة كذا وكذا الخراجية ، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته ، مفذلكا عليه ، وما استقرت عليه الجملة ، مخصوصا مساقا إلى حاصل ، وما اعتد به محسوبا إن كان ، وما اشتملت عليه فذلك الواصل ، وما أنساق إلى الباقي والموقوف في المدة ؛ ويذكر أسماء المباشرين كما قدمناه في الختم ؛ وإن انفصل أحد من المباشرين

(١) فى الأصل : « من النقل » بصفة المصدر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « والمستهلك » ولم يقل : « والاستهلاك » ويرشد الى ذلك أيضا ما يأتى بعد فى صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال : « والمنتقل من سنة الى سنة » الخ .

(٢) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر ، فانظره .

(٣) فى الأصل : « مخصوصا » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

في أثناء تلك السنة وباشراً آخر بعده قال : بمباشرة فلان إلى آخر المدة الفلانية
وفلان بعده إلى آخر المدة ؛ ويقول في صدره عن يسرة نصف القائمة : ما مبالغه من
الذهب كذا ، ومن الدراهم كذا ، ومن الغلات كذا ، ومن الأقصاب كذا ، ومن
الأصناف كذا ، ومن الكراع كذا ؛ يفصل ذلك بسنيه ، ثم يأخذ في تفصيل كل مال
بجهاته ، فيبدأ بمال الهلالى ، يذكر كل جهة ، وأسم مسأجرها أو ضامنها ، وأستقبال
عقد إجارته أو تقريره ، ويوجب عليه في الشهر وفي السنة ، إلى أن يستوعب أبواب
الهلالى ، ويشطب في مسودته التي ينظمها لنفسه قبالة كل جهة ما أستخرجه بمقتضى
ختمات المستخرج ليقوم له ميزان كل جهة في الباقي والفائض ؛ ولا يلزمه هذا العمل
في الحساب المرفوع منه ؛ فاذا آتته أبواب الهلالى ذكر الجوالى وأعتد فيها
كذلك ؛ ثم يذكر الخراجى ، ويفصله بأقلامه وجهاته مستقصى واضحاً جلياً ، ويعتمد
من الشطب قبالة كل جهة ما تقدم شرحه ؛ فاذا تحزرت له جهات الأصول قال :
وأضيف إلى ذلك ما وجبت إضافته ؛ ويعقد على المضاف جملة ، ويذكر أبوابه
يبدأ فيها بالخاص والباقي المساقين آخر العمل الذى قبله ، ويعقد عليهما جملة ، ثم
يقول : الحاصل كذا ، والباقي كذا ؛ ويفصل ما أمكن تفصيله من الحاصل بسنيه
ويفصل الباقي بجهاته وأسماء أربابه وسنيه وأسماء مباشريه إن أمكن ، ويشطب
في مسودته قبالة كل اسم ما لعله أستخرجه من عرض ما هو عليه كما تقدم ؛ ثم
يذكر جهات مضاف السنة الحاضرة ، يبدأ بما هو مستقر من الأموال التي ترد
[في] جهات المضاف ، ويشطب قبالة كل اسم ما تقدم بيانه ؛ ثم يذكر بعد ذلك
ماله وصل إليه أو أعتد به : من الأموال والغلال على اختلافها ، وأثمان المبيعات

(١) في الأصل : « القابض » ؛ وهو تصحيف ؛ وقد تقدم شرح « الفائض » في الحاشية رقم ١
من صفحة ٢٨١ . (٢) في الأصل : « المساق » بصيغة المفرد ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(١) والمواريث الحشرية والمجذبات والجنائيات والتأدييات والقروض والأصناف المبتاعة، يستقصى أبواب المضاف على حسب ما ورد عنده منها في طول السنة بمقتضى ما ورد في الشواهد التي ذكرناها بحيث لا يخل منها بشيء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصل له، بل يكمله الكاتب على نفسه في حسابه لينطرد نظيره الى الباقي، ويقوم به الميزان، وهو نظير التقاوى والقروض؛ وكتاب الشام يفعلون ذلك دون كتاب الديار المصرية، وهم على الصواب في إيراده، لأن الكاتب اذا أورد نظير التقاوى والقروض أنطرد له الى الباقي نظير ذلك، وصح ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرد الى الباقي إلا بإضافة نظيره، فاذا أنطرد الى الباقي وجب إيراده [في] المضاف في السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرج ويحصّل؛ وكتاب مصر يقتصرون في ذلك على أعمال التقاوى والقروض؛ والتحرير ما يورد كتاب الشام في ذلك .

معين التارح
لأهل التارح

ومن وجوه المضاف الغريبة : المستعاد نظير المعاد، مثال ذلك أن يكون المباشر أحوال ربّ استحقاق على ضامن جهة بمبلغ بمقتضى وصول أجراه

- (١) تقدّم تفسير المواريث الحشرية في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ نقلا عن صبح الأعشى فانظره؛ وقال المقرئ في خطه (ج ٢ ص ١١٠) طبع المعهد العلمي الفرنسي أنها هي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث؛ وقال قبل ذلك : إنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم تورث ذوى الأرحام، وأن البنت اذا انفردت استحققت المال بأجمعه، فلما انقرضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مال المواريث الحشرية الخ .
- (٢) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر؛ وهي عامية .
- (٣) الوصول بصيغة المصدر : هو البطاقة المعروفة عندنا بالإيصال؛ وقد سبق في الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر ان هذه الكلمة مولدة عامية انظر شفاء الغليل .

- وَأَعْتَدَ بِهِ لِضَامِنِ تِلْكَ الْجَهَةِ ، وَاعْتَدَ عَلَى رَبِّ الْأَسْتَحْقَاقِ بِمَبْلَغِهِ ، وَقَطَعَ الْبَاقِيَ
وَالْمَتَأَخَّرَ بَعْدَهُ ، وَصَدَرَ حِسَابُهُ بِذَلِكَ ، فَأَعِيدَ عَلَيْهِ ^(١) وَصُولُهُ فِي أَثْنَاءِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ
فِيثُلُ هَذَا تَجِبُ إِضَافَتُهُ وَإِضَافَةُ نَظِيرِهِ ، فَيَكُونُ خَصْمُ إِضَافَتِهِ الْأَوَّلَى الْمُعَادَ عَلَى
الضَّامِنِ ، وَخَصْمُ الثَّانِيَةِ الْبَاقَى الْمُسَاقَ ، وَيَكْتَلِ لِرَبِّ الْأَسْتَحْقَاقِ نَظِيرَ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ
فِي مُحَاسِبَتِهِ — عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْمَحَاسِبَاتِ ؛ فَإِذَا اسْتَوْعَبَ مَا وَرَدَ عِنْدَهُ مِنْ أَبْوَابِ
الْمُضَافِ فَذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ : فَذَلِكَ الْأَصْلُ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ؛ وَيَعْقِدُ عَلَى الْفَذَالِكَةِ
جُمْلَةً ، وَمَعْنَاهَا أَنْ يَضُمَّ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ الْجُمْلَةَ فِي صَدْرِ الْأَرْتِفَاعِ إِلَى مَا عَقَدَ عَلَيْهِ جُمْلَةً
الْمَصَارِيفِ ، فَتَشْتَمِلُ الْفَذَالِكَةُ عَلَى الْجُمْلَتَيْنِ ، وَيَفْصَلُ ذَلِكَ عَيْنًا وَغَلَّةً وَأَصْنَافًا وَكُرَاعًا
عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَيَفْصَلُ مَا هُوَ مُمْتَرِزٌ بِسَنِيهِ ؛ وَمَا لَمْ يَتَمَيَّزْ كَالْحَوَاصِلِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْكُرَاعِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ يَقُولُ فِيهِ : مَا لَمْ يَتَمَيَّزْ بِسَنَةٍ ؛ وَيُشْرَحُهُ ؛ ثُمَّ يَذْكُرُ الْأَبْوَابَ الَّتِي تَرِدُ بَيْنَ الْفَذَالِكَةِ
وَأَسْتَقْرَارِ الْجُمْلَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا بِحَسَبِ مَا وَقَعَ عِنْدَهُ مِنْهَا ، يَبْدَأُ بِالصَّرْفِ مِنْ نَقْدٍ إِلَى
نَقْدٍ ، وَالْمَبْدَلِ مِنْ صَنِيفٍ إِلَى صَنِيفٍ ، وَالْمُنْتَقِلِ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ ، وَمَنْ يَكِلِ إِلَى كِلِ
وَمَنْ وَزِنِ إِلَى وَزْنٍ ، وَمَنْ عَدَدَ إِلَى وَزْنٍ ، وَمَنْ وَزِنِ إِلَى عَدَدٍ ، وَمَنْ صَفَةَ إِلَى صِفَةٍ
وَمَا وَقَعَ مِنْ مَبِيعٍ وَمُثْمِنٍ وَنَافِقٍ وَمُسْتَهْلَكٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُ فَضَلَاءِ الْكُتَّابِ
جَمِيعَ ذَلِكَ وَأَخْتَصَرَهُ فِي لَفْظَتَيْنِ فَقَالَ : هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَنْقُولٍ وَمَعْدُومٍ ؛ وَإِذَا نَظَرْتَ
إِلَى حَقِيقَةِ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ وَجَدْتَ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْدَرَجَةٌ فِيهَا ، كَمَا
أَنْ جَمِيعَ الْكَلَامِ لَا يَتَعَدَّى أَنْ يَكُونَ أَسْمًا أَوْ فِعْلًا أَوْ حَرْفًا ؛ فَإِذَا آتَتْ هَذِهِ الْأَبْوَابُ
قَالَ : وَاسْتَقَرَّتْ الْجُمْلَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى ... وَيَذْكُرُ مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْلَةُ بِمَقْتَضَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَاَعْتَدَ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٢) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٤ مِنْ صَفْحَةِ ٢٨٣ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « عَنْهَا » ؛ وَاللُّغَةُ تَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

قيام ميزانه ، ويفصله بسنيه ، ثم يقول : أستخرج من ذلك وتحصل ... ويدكر
المستخرج بمقتضى الحتم ، فيشرح ما استقرت عليه جملة الختمة الأولى ، وما آشتات
عليه فذلكتها بعد وضع الحاصل من الجهة الثانية وما بعدها لئلا يتكرر عليه ؛
ويحصل بمقتضى الأعمال والتوالي والسياقات على هذا الحكم ؛ ويفصل المستخرج
والمتحصل بسنيه ، ثم يخصم ما استخرجه وحصله ، فيبدأ في الخصم بالحمل من
الأموال ، والحمول من الغلال والأصناف ، والمساق من الكراع ؛ ويتلوه ما لعله نقله
على معاملة أخرى مفصلاً بأبوابه ومعقود الجملة على كل باب فيها ؛ فإذا تكامل
له الخصم في العين والغلة والمواشي والأصناف ساق ما تأخر من جملة ما استخرجه
وحصله إلى حاصل ، ويفصله بالعين والغلة والصنف وغيره ، فيكون ما حملة ونقله
وصرفه وساقه إلى الحاصل خصم ما استخرجه وحصله ؛ ثم يذكر بعد سياقة الحاصل
ما لعله ورد عنده من المحسوب على اختلافه : من عطلة ، ويدكر أسبابها ، وما لعله
ثبت من الجوائح الأرضية والسماوية بمقتضى المحاضر الشرعية إذا برزت المراسيم
بالحمل على حكمها ؛ فيذكر كل جهة وأسم مستأجرها أو ضامنها ، وتاريخ محضر
الجائحة ، وتاريخ المرسوم بحمل الأمر على حكمه ، وجملة المبلغ المتروك بسبب
ذلك ، وما لعله سوح به من البواقي المساقاة ، وغير ذلك مما هو داخل في باب

(١) لعل صوابه : « من الختمة » كما يرشد إليه السياق .

(٢) ذكر « على » مكان « الى » مع أن الفعل قبلها يقتضيا لإرادة المعنى السابق في الحاشية
رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ ، فانظره .

(٣) في الأصل : « عنه » ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما يرشد إليه التعبير بذلك في السطر
الخامس من صفحة ٢٨٨ ، فانظره .

(٤) عبارة الأصل : « ثبت من الجوائح الأصلية » ؛ وهو تحريف في الكلمات الثلاث ؛ والسياق
يقتضي ما أثبتنا ؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق في صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السفر ، فانظره .

(٥) ينسب إلى السماء فيقال : « سمائي » على لفظها ، و « سماوي » بالواو اعتبارا بالأصل (المصباح) .

(٦) انظر تفسير المحضر في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر .

المحسوب ؛ وسائر المسامحات تَرِدُ بعد سياقة الحاصل ، وتَرِدُ في أما كنَ نذكرها بعد إن شاء الله تعالى ؛ فإذا آستوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب في بابه قال بعد ذلك : فتلک جملةُ المستخرج والمتحصل والمحسوب ؛ ويعقد عليه جملة يفصلها بسنيها وأقلامها ؛ ويسمّون هذه الفذلكة فذلکة الواصل ؛ وما بقى بعد ذلك مما استقرت عليه الجملةُ بعد هذه الفذلكة تعيّن سياقته إلى الباقي والموقوف ، فيطرده باقيا وموقوفا ، أو باقيا بغير موقوف ، معقودَ الجملة ، مفصّلا بالسنين والجهات والأسماء والمباشرات ، ويميّز ما يُرجى استخلاصه وتحصيله منه وما لا يرجى ؛ وما آنعقد عليه الباقي والموقوف واشتملت عليه فذلکة الواصل هو خضم ما استقرت عليه جملة الارتفاع .

- وأما الحواصل المعدومة المساقة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها ، وإنما يُوردها الكتابُ حفظا لذكرها ، كالحواصل المسروقة والمنهوبة — فإنه إذا رُسِمَ بالمساحة بها فقد اختلفت آراء الكتاب في إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يسوغ ، ومنها ما لا يجوز فعله ، ونحن نذكر أقوالهم وطرقهم في ذلك ، ونوضح ما يجوز منها وما لا يجوز ، ونذكر ما ينبغي أن يُسلَك فيها : فمن الكتاب من يرى أن ينقل هذا الحاصل بين الفذلكة واستقرار الجملة من الحاصل إلى الباقي ، ولا يورده في باب المستخرج ، ويطرده إلى الباقي ، ويورده في باب المسموح بعد سياقته الحاصل ؛ وهذا لا يجوز ، وفي إيراده على هذا الوجه غلطٌ وسوءُ صناعة ، لأن الحاصل لا يجوز نقله إلى الباقي ، والباقي أيضا ، فلا بد أن يكون باسم إنسان أو أناس ، فإن ساقه باقيا باسم مباشره فقد أتى بغير الواقع ، وعرض المباشر إلى الغرامة ، ولا يفيد ، إذ مرسومُ المساحة يتضمن المساحة بحاصل معدوم ، وقد أنتقل هذا من تسمية الحاصل إلى الباقي .

(١) في الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

(١) ومن الكتاب من يرى استثناءه من جملة المستخرج، ثم يورده أيضا [في] باب المسموح؛ وفي هذا أيضا ما فيه من نقله من الحاصل إلى غيره تسمية، فإنه لا عبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقي والموقوف؛ وإن نُقِلَ فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلها إلى تسمية أخرى ألبتة؛ فهذه الوجوه لا تجوز في صناعة الكتابة .

(٢) وأما الذي يجوز في هذا فوجوه : منها أن يكمله الكاتب في باب المستخرج من ذلك، ويخصم إلى نهاية المصروف، ويقول قبل سياقة الحاصل : ما نُقِلَ رُسم بالمساحة به عن الحاصل المعدوم المساق بالقلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسوم (٣) تاريخه كذا؛ ويشرح مقاصد المرسوم، وسبب عدم الحاصل، وجملة؛ ويكتفى بذلك عن إirاده في باب المسموح؛ ويعقد جملة الخصم على الحمل والمصروف (٤) والمسموح به . ١٠

ومنها أنه إذا ساق الحاصل بعد الحمل والمصروف يقول : من جملة كذا بعد مأمنه ما سوح به عن الحاصل المعدوم والمساق بالقلم؛ ويشرح ما تقدم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك .

(٥) ومنها أن يستثنيه عند ذكر المضاف، فيقول عند إضافة الحاصل ما صورته ! الحاصل المساق إلى آخر السنة الحالية من جملة كذا بعد مأمنه ما عديم في تاريخ كذا ١٥

(١) في الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « فرجوة » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفي هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لا يستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتي في السطر الأول والثاني من صفحة ٢٩٢ ، فانظره .

(٤) في الأصل : « والموصوف » ؛ وهو تحريف . ٢٠

(٥) في الأصل : « عن » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد : « فيقول عند » الخ .

وورد في سياقات الحاصل حفظاً لذكره، ورسم بالمساحة به بمقتضى مرسوم شريف تاريخه كذا، ويعين جملة المسموح به، وهى جملة المعدوم، ويبرز بما بقى، ويستثنيه أيضاً من المستخرج عندما يستشهد بالتحتم والتوالى والأعمال.

فهذه صورة نظم الارتفاع وشواهد التى قدمناها قبله، والارتفاع هو جل العمل، وقاعدة الكتابة، والجامع لسائر ما يرد فى المعاملة.

وإن انفصل الكاتب أثناء السنة لزمه أن ينظم لما مضى من السنة فى مباشرته حساباً يسمونه بالشام المخلص، وبمصر التالى، وهو نظير الارتفاع فى نظمه، إلا أنه يكون لما دون السنة، والمخلص عند المصريين هو الارتفاع، ويلزم الكاتب المباشر بعده عمل مخلص أو تالى يتلوه لما بقى من المدة، ثم يعمل جامعة على المخلصين أو التالين، وهما شهادتها^(٢)، ويستغنى الكاتب فى إيراد المستخرج والمتحصل والمصروف عن الاستشهاد بالتحتم والتوالى والأعمال، ويستشهد بهذين المخلصين فيقول: ما تضمنه مخلص مدة كذا وكذا^(٣) [كذا] وما تضمنه مخلص مدة كذا وكذا كذا، وقد تكون المخلصات أكثر من اثنين بحسب الاستبدال بالأعمال^(٤).

١٥ (١) فى الأصل: «و»؛ والسياق يقتضى العطف «بأو» كما أثبتنا.

(٢) فى الأصل: «شواهدا»؛ وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتنا؛ إذ به تحصل المطابقة بين المبتدا والخبر.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد الى ذلك ورودها فى الجملة التى بعدها.

٢٠ (٤) الظاهر أن الباء هنا بمعنى «فى» الظرفية، أى بحسب استبدال العمال بعضهم ببعض فى الأعمال.

ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — وتختلف :

فمنها محاسبة أرباب النقود الجيشية والميكلات والجاميكات^(١) والجراريات ،
وأرباب الوظائف والرواتب والصّلات عما هو مستقر مشاهرة أو مسانحة ؛ وهذه
المحاسبة تنظم من الجريدة المبسوطة على أسمائهم ، المشتملة على كمية استحقاقاتهم ،
المشطوبة بقبوضهم ؛ وصورة عملها أن يقول الكاتب : محاسبة لأرباب النقد والميكل^(٢)
والقرارات والجاميكات والرواتب والصّلات بالمعاملة الفلانية لاستقبال مدة كذا ،
والى آخر كذا ؛ ويعقد جملة صدرها على ما يستحق لهم في تلك المدة المعينة من عين
وغلة وأصناف ، ويضيف الى تلك الجملة ما تأخر لهم الى آخر المدة التي قبلها ،
ويفذلك على ذلك ، ويقبضهم ما صرفه لهم بمقتضى ختم المدة وأعمالها وتواليها ،
ويعتد عليهم بما لعله أنساق فائضا على من قبض منهم زيادة على استحقاقه في المدة^(٣)
التي قبلها ، ثم يطرد ما أنساق لهم الى متأخر ، وما أنساق عليهم الى فائض ، ثم يفصل
ذلك بالأسماء ، فيضع الاسم ويذكره واستحقاقه في الشهر وعن المدة ، ويضيف
اليه ما لعله تأخر له إن كان ، ويفذلك عليه ، ويخصم بقبضه ، ويسوق الى متأخر
إن بقي له ، أو فائض إن زاد قبضه على استحقاقه ؛ ومن كان منهم قد تعجل قبل تلك
المدة زيادة على استحقاقه استحق له ما وجب له في المدة ، وأعتد عليه بما أنساق^(٣)
فائضا ، وما لعله صرفه له في تلك المدة يسوقه الى متأخر أو فائض ، يفعل ذلك^(٤)
في جميع الأسماء .

(١) قد سبق تفسير الجاميكات في الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ ، فانظره .

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات : الاستحقاقات ؛ وقد ورد لفظ «القرار» في كتاب قوانين الدواوين

صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التي ورد فيها ، فانظره . ٢٠

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٤) في الأصل : «ويسوقه» ؛ والواو زيادة من النسخ فإن السياق يأبأها .

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرًا مباشرة عمَلها لسنة، وإن انفصل قبل استكمال السنة أو اقترحها مقترح عليه لزمه عملها، والله أعلم .

ومنها محاسبات أرباب^(١) الأجر والاستعمال^(٢)، ويعتمد الكاتب فيها نظير تلك، إلا أنه لا يستحق لكل نفر^(٣) إلا بمقدار عمله، ويضيف إليه ما لعله تأخر له ويفدك عليه، ويخصمه بالقبض والاعتداد بالمُسلف إن كان؛ وهذه المحاسبة على منوال تلك، إلا أنها تعمل بمفردها .

ومما يلزم الكاتب رفعه ضريبة أصول الأموال ومضافاتها عن كل سنة كاملة، يذكُر فيها كل جهة من جهات الهلال، وأسم مستأجرها أو ضامنها، ومبلغ إيجارها أو تقرير ضمانها مشاهرة ومسانهة، واستقبال العقد، وتاريخ الحجّة المكتتبه به، ويشطب^(٤) قبالتها أسماء^(٥) كفلاء ضامن الجهة، ويذكُر الجوالى ويفصلها بالأسماء والمِلل، ويفصل الخراجى بجهاته وأقلامه، والأحكار بأسماء أربابها، وإن كان بتلك المعاملة شيء من نواحي الخاص^(٦)

(١) فى الأصل : « اثبات » ؛ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه ما سبق فى صفحة ٢٩٣ سطر ٢ من هذا السفر .

(٢) لعل صوابه « والعمالات » بضم العين ، كما يقتضيه عطفه على الأجر ؛ والعمالة : ما يأخذه العامل من الأجر على عمله .

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر فانظره .

(٥) فى الأصل : « لفلا » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، فإنه لا بد لضا من كل جهة من كفيل يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ ، فانظره .

ذَكَرَ كُلَّ نَاحِيَةٍ ، وَأَسَمَ رَئِيسَهَا ، وَحَدُودَهَا وَعَدَّةَ فُؤَدِهَا الرُّومِيَّةَ وَالكَادِيَّةَ وَالْعَاطِلَةَ ،
 وَأَسْمَاءَ مِنْ بَهَا مِنَ الْفَلَاحِينَ الْقَرَارِيَّةِ ^(٤) ، وَمَا يُبَذَّرُهُ كُلُّ فِدَانٍ مِنَ الشَّتْوَى وَالصَّيْفَى ،
 وَرَبْعَهُ فِي الثَّلَاثِ سَنِينَ الْمُقْبِلَةِ ^(٥) وَالْمَتَوَسِّطَةِ وَالْمَجْدِبَةِ ، وَشُرُوطَ الْمَقَاسِمَةِ ، وَمَا عَلَى كُلِّ
 فِدَانٍ مِنَ الْحَقُوقِ وَالرُّسُومِ ، وَمَا بَهَا مِنَ الْمَطْلَقِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ جِهَاتِ الْعَيْنِ
 وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْخِدْمِ وَالضِّيَافَاتِ ^(٦) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهَا بِحَيْثُ لَا يَخْلُ بِشَيْءٍ مِنْ
 جَمِيعِ أَحْوَالِ الْقَرْيَةِ ، بَلْ يَوْضَحُهَا إِضَاحًا شَافِيًا كَافِيًا حَتَّى يَعْلَمَ الْغَائِبُ عَنْهَا جَلِيَّةً
 أَمْرَهَا كَالْحَاضِرِ فِيهَا .

فَإِذَا تَكَامَلَ ذِكْرُ جِهَاتِ الْأَصْلِ ^(٧) فِي هَذِهِ الضَّرِيَّةِ ذَكَرَ جِهَاتِ الْمُضَافِ الرَّابِتَةِ
 كَالْخِدْمِ وَمَا يَنَاسِبُهَا ، وَذَكَرَ فِي آخِرِهَا مَا تُتَعَيَّنُ إِضَافَتُهُ مِنَ الْمَتَوَقَّرِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْغَلَّةِ
 عَلَى اخْتِلَافِ ضَرَائِبِهِ ؛ وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ تَكُونُ فِي ضِيَاعِ الشَّامِ .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) لم نجد للفظ الرومية معنى يناسب سياق الكلام ، ولعل صوابه : « الردمية » بفتح فسكون ،
 أى الأرض التى فيها الردم ، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به النيل عند فيضانه فى كل سنة ، وهو
 مخصب للأرض ومصلح لزروعها ؛ واستعمال هذا اللفظ فى ذلك شائع بين العامة فى مصر ؛ والذى فى كتب
 اللغة أن الردم هو ما يسقط من الجدار المتهدم .

(٣) فى الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ والكادية من الأرض :
 التى يبطئ نباتها .

(٤) القرارية ، أى المقيمون ، نسبة إلى القرار .

(٥) فى الأصل : « المعتلة » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ ويريد بالمقبلة
 السنة التى تقبل بالنبات ، أى تجبى به .

(٦) تقدم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر ، فانظره .

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقص بعض حروفها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ويلزمه رفعُ المؤامرات — وتُسمى ضرائبُ المستقرِّ إطلاقه — وهي تشمل على أسماء من هو مرتَّبٌ على تلك المعاملة : من ربِّ نقدٍ ومَكِيلٍ ومقرِّرٍ وصدقة ، يذكُر اسمَ كلِّ واحدٍ واستحقاقه مشاهرةً ومسانهةً ، ويعقد على ذلك جملةً في صدرِ المؤامرة مشاهرةً ومسانهةً ، فإن كان في حصن ذكر في صدر الأوراق عدَّة أرباب الاستحقاقات ، ثم يفصلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخرجية والأبجية^(١) وغيرهم^(٢) .

ويلزمه رفعُ ضريبة ما يُستأدى من الحقوق ، يذكُر فيها ما يستأديه ضامنُ كلِّ جهة من رسومها وحقوقها ، وما لعله يُستأدى بالدُّروب من الخفر^(٣) ، وغير ذلك من سائر ما يُستأدى من حقوق تلك المعاملة ، وما لعله يُقتطع من أرباب النقود والمكيلات وغيرهم من الوفرة والمقتطع على اختلاف الضرائب ، بحيث لا يخلُ بشيء منها ، لتعلم بذلك أحوال تلك الجهة ، فلا يمكن للضمان أن يستأدوا زيادة على ذلك ، لما فيه من تجديد الحوادث على الرعية .

(١) في الأصل : « ومولد » ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معاني هذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعناه من الكتب التي بين أيدينا ، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركية القديمة فأخبرنا أن المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحماً ونحو ذلك من المأكولات ؛ ويرجع ذلك عطف الأبجية عليه .

(٣) المراد بالأبجية الذين يقبضون استحقاقهم نقوداً ، وهو نسبة إلى الأبجة ، وهو لفظ تركي يراد به نوع من النقود ، كما في معجمات هذه اللغة . والذي في الأصل : « والأبجة » بدون ياء النسبة ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٤) « من الخفر » بيان « لما » يريد من أجرة الخفر ، وهو الحراسة .

ومما يلزمه رفعه في كل سنة تقدير الارتفاع — وهو الارتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلًا ولا باقيا، ولا يفصل فيه الجوالي بالأسماء، بل يعقد الجملة في صدره على ما يستحق بتلك المعاملة من جهات الأصول والمضاف، وينخصم بالمرتب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض^(١)، ليظهر بذلك ميزان تلك الجهة .

هذا ما يلزم المباشر رفعه مشاهرة ومسانة .

ويلزمه في كل ثلاث سنين رفع الكشوف الجيشية، يذكر فيها أسماء النواحي العاصرة والغامرة، والفُدن^(٢) الكادية والعاطلة وما تقدم شرحه في الضريبة: من ذكر البذار والرَّبع والشروط والمطلق وغيره؛ ثم يذكر المتحصل منها في ثلاث سنين لثلاث مغللات، يعقد على ذلك جملة، ويفصله بسنیه وأقلامه، ولا يخل بشيء مما بكل ناحية من الحقوق الديوانية والإقطاعية، ويعقد في صدر الكشف جملة على عادة النواحي وعدة الفُدن، وجملة جهات العين والغلة، مفصلا بالمعاملات^(١)، هذه هي الحسابات اللازمة .

وأما المقترحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما اقترح مما يكون سائغ الاقتراح ممكن العمل لزم الكاتب عمله .

وحيث آتينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ،

وقد تقدم تفسير الكادية في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم
وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدُّ^(١) أو المتولَّى — فالذى يحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ
أصول الأموال والمرتبُّ عليها ليعلم حال المعاملة، وما بها من الخالص، أو عليها من
الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالخاصة والباقي والفائض والمتأخر^(٢)، ليعلم أحوال الناس
ومحاسباتهم، ويعلم ممن يطلب وإلى من يصرف؛

والذى يلزمه عمارة البلاد، وأستجلاب من نزع منها، وإقامة السطوة، وإظهار
المهابة والحرمة، وتسهيل السبل، وإقامة الخفراء عليها، وتشديد منار الشرع
الشريف، والتسوية بين القوى والضعيف؛

ويلزمه أستخراج الأموال من سائر جهاتها ووجوهها المستحقة^(٣) في مباشرته،
والبواقي التي رفعت إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباقي الدرهم الفرد؛ ومتى
أنساق في مباشرته شيء لزمه؛

ويلزمه تقرير الجنايات والتأديبات على أرباب الجرائم لتنجس بذلك موادَّ
المفسدين.

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .

(٢) في الأصل : « والمتأخر » بالجيم؛ وهو تصحيف .

(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمستحقة هنا ، المطلوبة منها الحقوق ، يقال : « استحقه »
إذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .

(٤) في الأصل : « الجبايات » بالباء ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عند مباشرته الى استرفاع ضرائب أصول الأموال ومضافاتها، والمستأدى من الحقوق، وضرائب^(١) بما استقر إطلاقه، وأوراق الحاصل والباقي، وأوراق الفائض والمتأخر، وتقدير الارتفاع، والكشوف الجيشية، ويطالب بنحازيم المياومة لاستقبال مباشرته، والحثم والتوالي عند مضي^(٢) المدة، والأعمال وسائر الحسابات المتقدمة ذكرها في أوقاتها، وما لعله يقترحه مما يسوغ اقتراحه ويمكن عمله؛

والذي يلزمه الاجتهاد في عمارة نواحي الخاص، وتمييز الجهات ونموها، والنظر في أحوال المعاملات، وإزاحة أعذارها، وتقرير قواعدها، واختبار من بها من المباشرين، والكشف عن أحوالهم، وكتب كل واحد منهم بما يلزمه مباشرة وعملها، ويتصفح ما يرد عليه من الحسابات الصادرة عنهم؛ وينظر فيما يتجدد من أحوال المعاملات وما يطرأ من الحوادث على اختلافها مما لا يحصره ضبط، بل هو بحسب ما يقع؛ وإنما جعلنا هذه الإشارات أنموذجاً يستدل بها على ما بعدها؛

ويقيّد بخطه الاستدعاءات والإفراجات والمراسيم والتواقيع وغير ذلك مما جرت به العادة : من الكتابة بالمقابلة والثبوت والتحية والاعتماد وغير ذلك .

(١) ضرائب المستقر إطلاقه : هي التي تسمى عند الكتاب بالمؤامرات، كما سبق ذلك في صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها، فانظره .

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ .

(٣) لعل صوابه : « وتمييزها » كما يقتضيه العطف على « تمييز » .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٥) في الأصل : « وكشف » وهو لا يستقيم مع قوله بعد : « بما يلزمه » . ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ والمعنى أنه يكتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليه التبعة دون غيره فيما قصر فيه .

(٦) في الأصل : « التجهية » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ وما أثبتناه هو المناسب لأصطلاحات الكتاب .

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع ما يسترفعه الناظر من المعالم خاصة،
 وليس [له] أن يسترفع الارتفاعات ولا شواهدا، فإن استرفعها لزمه من دركها^(١)
 ما يلزم المستوفى؛ وهو يكتب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادة على ذلك:
 وهى الترجمة على التذاكر والاستدعاءات، والكتابة على توابع المباشرين بأخذ
 خطوطهم عند استخدامهم، والكتابة على محرراتهم بالتخليد، والكتابة على تذاكر
 المخرج والمردود الصادرة عن مستوفى العمل بأن يجيب المباشرون عنها بما يسوغ
 قبوله، والكتابة بقبول الجواب عند عوده إن كان سائغا، والكتابة على الحساب
 الصادر عن المباشرين بتخليده [فى] ديوان الاستيفاء بعد أن يتصفحه وتظهر له سياقة^(٢)
 أوضاعه؛ وكل عمل لا يكون له صاحب ديوان قام الناظر بهذه الوظيفة إلا الكتابة
 بقبول الحساب .

١٠

وأما مقابل الاستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد فى ديوان الأصل — فله
 أن يسترفع المعالم لنفسه فى كل سنة، ويسترفع نتيجة الحسابات اللازمة التى تصدر
 الى الديوان العالى بالباب الشريف، ويضبط^(٣) دياومة المجلس، ويكتب على
 ما يكتب عليه المستوفى، ويكتب على الحسابات الواصلة من جهة المباشرين
 بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [فى] ديوان الاستيفاء، ويسد^(٤) بقلمه
 تواريخ التذاكر والمراسيم، ويتصفح ما يصدر عن المستوفى من المخرج والمردود

١٥

(١) الدرك : التبعة .

(٢) فى الأصل : « سبغة » ، وهو تصحيف .

(٣) ضبط هذا اللفظ فى اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم ؛ وفى المصباح أنه من باب ضرب .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ هنا وفى ص ٣٠٢ من ١١ من هذا السفر؛ ولم نقف على المعنى الاصطلاحي

٢٠

الذى يريده كتاب الدواوين به .

ويطالب بحمل ما ثبت منه ، ويطلب أرباب الخطوط والبُذول^(١) بما يستحق عليهم
وينيب شاد الدواوين عنه^(٢) ، ويكتب في كل يوم بما يطلب به ؛ وإذا لم يكن
للدِيوان مقابل قام المستوفى بوظيفته .

وأما المستوفى — فله أن يسترفع سائر الحسابات اللازمة ، وما تدعو إليه
حاجته من المقترحات في المدد الماضية والحاضرة مما يمكن عمله ، فإذا صار
الحساب إليه مشمولاً بخط صاحب الديوان بتخليده ومؤرخاً حضوره بخط
المقابل تصفحه وأستوفى تفاصيله على جملة أصلاً وخصماً ، وشطب ما يحتاج إلى
شطبه — كل عمل على شواهد — وخرج ورد ما يتعين تخريجه ورده ،
وكتب بذلك مطالعة تعرض على المقابل ، فإذا وافقه عليها عرضت على صاحب
الديوان وكتب بالإجابة عنها ، ثم يطلب المباشر بالإجابة عما تجب الإجابة
عنه ، وإضافة ما تجب إضافته^(٤) [إلى] حساب المدة التالية لتلك المدة ، وحمل ما يجب
حمله ، وتكون إضافته في الحساب منسوبة إلى قلم مستدركه ؛ فإن أئراً استيفاء
الحسابات وشطبها وتخرج ما يلوح فيها ومضت عليها مدة يمكن فيها العمل ، كان

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبُذول : الذين يكتب لهم من السلطان ببذل شئ ، من
الإقطاعات ونحوها .

(٢) شاد الدواوين هو شخص يكون رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك ؛
والعادة أن يكون أمير عشرة . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ في شرح وظيفة شد الدواوين .

(٣) في الأصل : « عليه » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٥) في الأصل : « وخرج » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد إليه ما ورد في قوانين الدواوين
صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن ، في الكلام على المستوفى إذ قال : « وإن ظهر أنه لم ينبه على وجوب مال
أو استرفاع حساب أو آخر ما يجب تقديمه ، أو أهمل ما تعين تخريجه » الخ .

ما يتعين فيها لازماً له إذا عُنْتُ^(١)، وإلا فتلزمه إعادة ما تناوله من الجامكية^(٢) عن تلك المدة، ويطلب من صدر عنه الحساب بما يلزمه ؛

ويتعين على المستوفي أنه إذا رُفِعَ إليه حسابُ معاملة تأقل^(٣) خطوط المباشرين على عاداتهم^(٤)، [و] نظر فيه بعد ذلك^(٥)، فإن تغيرت عن العادة، فإن كان بزيادة تأكيد فلا بأس، وإن كان بإخلال مثل أن يكتب الشاهد على الحساب بالمقابلة، وعادته أن يكتب : « الأمر على ما شرح » يلزمه الكشف عن موجب ذلك ؛

ويلزم المستوفي ضبط مياومة المجلس، وكتابة الكشف بخطه والتذاكر ونسخ المحررات، وتعيين الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة، وعليه نظم جوامع التقدير بعد عمل موازينها وتحريرها وشطبها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامع الحواصل^(٦) : من العين والغلال والكراع والأصناف المعدودة والموزونة والمذروعة^(٧) والسلاح خاناه والعدد والآلات وغير ذلك، يسد على ما أمكن سده جملة، وما لا يمكن نثره أقلاماً يستشهد فيها بما رُفِعَ إليه من جهة المباشرين، وكذلك يعتمد في جامعة البواقي، يعقد عليها جملة، ويفصلها بمعاملاتها وجهاتها وسننها وأسماء

(١) عنت بالبناء للجهول ، أى شدد عليه وأريد به العنت ، وهو المشقة .

(٢) تقدم شرح الجامكية في الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فانظره .

(٣) « تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم » . أى نظرها مطابقتها على عاداتهم في الكتابة .

(٤) في الأصل ، « نظر » بدون واو ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) « فيه » ، أى في الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب « انظر مفاتيح العلوم للخوازمي » ، وانظر سياقة الكراع في صفحة ٢٨٣

من هذا السفر .

(٧) المذروعة ، أى المقيسة .

مباشرها ، وما يُرجى منها وما لا يُرجى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يعتمد
في جامعة الفائض والمتأخر وغير ذلك من الجوامع ؛

وعليه عمل ما يُطلب من الأبواب من المقترحات والمطاوولات ؛

ويلزمه عمل المقاييسات وفوائد المتأخر، وغير ذلك من لوازم قلم الاستيفاء ؛
ويلزمه محاسبات أرباب النقد والكيل المرتبين على ما تعين بقلم الاستيفاء، فيحاسبهم
على استحقاقاتهم ، ويعتد^(١) عليهم بما ثبت مما عينه لهم بقلمه ؛

ويلزمه التنبيه على خوالص المعاملات وطلبها : حملا^(٢) الى بيت المال ، أو حواله
على ما يعينه بقلمه ؛

ويلزمه تخريج^(٣) تفاوت^(٤) المدد والمحلولات وغير ذلك ؛

ويلزمه التفريع بما يصل اليه من الحوطات الجيشية لوقته على ما جرت به العادة .
ووظيفة الاستيفاء كبيرة ، كثيرة الأعمال ، لا تنحصر لوازمها في كتاب ، وإنما
هى بحسب الوقائع .

فاذا انفصل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقة من حسابه الذى
أسترفعه أو وضعه بقلمه ، ويتلقاه المباشر بعده .

١٥ (١) فى الأصل : « ويعتمد » ، والميم زيادة من النسخ .

(٢) فى الأصل : « جملا » بالميم ، وهو تصحيف .

(٣) « تفاوت المدد » ، أى ما توفر من الأموال عما فات من المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين
ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، فانظره .

(٤) يريد بالمحلولات : الاقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

٢٠ (٥) لعل صوابه : « التعريف » .

٦٥

وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عند مباشرته معالم الجهة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائب وتقادير وحاصلٍ وباقي وفائض ومتأخرٍ وغير ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل ، وله الختم عليها ؛ وهو مطلوب بنظم سائر الحسابات اللازمة والمقترحة إن تسحب العامل أو مات ، ومع وجود العامل إن كان قد ألترَم عند مباشرته العمل ؛ وتلزمه المقابلة مع العامل على الحساب الصادر عنهما ، وسياسة التعليق معه ، والكتابة على الوُصولات والحسابات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يُطلب به العامل من المخرج وغيره .

وأما الشاهد — فيلزمه ضبط تعليق المياومة ، والكتابة على الوُصولات والحسابات ؛ ومتى فُقد العامل والمُشارِف لزمه رفع الحساب اللازم دون المقترحات ؛ ولا بد له من جريدة مبسطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذكر ما يحتاج إليه كل مباشر من ضبط تعليق المياومة وبسط الجريدة وخدمتها في الأصل والخصم أولاً فأولاً ، والتيقُّظ لذلك وأن من أهمله فقد قصر في مباشرته وأخل بوظيفته ؛ والعاملُ آخرى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدمين ، لما هو مطلوب به من نظم الحسابات وموقعه من

(١) يريد بالتقادير ، تقادير الارتفاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الارتفاع في صفحة ٢٩٧ من هذا السفر ، فانظره . والذي في الأصل : « مقادير » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٤) في الأصل : « مياومة التعليق » وفي هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقع من النسخ ؛ والصواب

ما أثبتنا ، كما سبق في سطر ٨ من هذه الصفحة ومواضع أخرى من هذا السفر .

(٥) في الأصل : « ومتوقعه » ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عمل المقترحات والأجوبة عن المحرّج والمردود ، وأنه هو الملتزم^(١) لذلك دون غيره وأنه لا يلزم من سواه شيء من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيص قواعد هذه الكتابة والمباشرين وأوضاعهم ولوازمهم والأوضاع الحسابية وغير ذلك من معالم المباشرات ، مجالا غير مفصل ، وبعضا من كل ، وقليل من كثير ، إذ لو استقصينا ذلك لاطال ولتعدّر لاختلاف المباشرات والوقائع والأوضاع والآراء ، واقصد حصل الاجتماع للجماعة من مشايخ أهل هذه الصناعة ممن آخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طعن في سنه ، وما منهم إلا من يُخبر أنه يستجدّ له^(٢) في كل وقت من أحوال المباشرات ما لم يسمع به قبل ، ولا طرأ له^(٣) فيما سلف من عمره ، فكيف يمكن حصر ما هو بهذه السبيل ؟ ! وفيما نبهنا عليه مَقْنَعُ اطالب هذه الصناعة ، والعمدة فيها على الدربة والمباشرة ، وقد قيل :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها وإلا فنص العلم عندك ضائع^(٤)

كمل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

— رحمه الله تعالى — ويليه الجزء التاسع وأوله :

ذكر كتابة الحكم والشروط

- (١) في الأصل : « بذلك » ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن « التزم » يتعدى بالباء .
- (٢) « يستجدّ » بكسر الجيم ، أى يُجَدِّد ؛ وفي المصباح أن استجد قد يستعمل لازما .
- (٣) لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : « طرأ له » والذي وجدناه أنه يقال : « طرأ عليه » ؛ وأعله ضمن « طرأ » معنى « وقع » فعذاه باللام مكان « على » .
- (٤) في الأصل : « منك » ولا يستقيم الوزن به ؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا .

استدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه فبدت لنا في تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى نرجحها على ما كتبناه أولاً في حواشيه فرأينا أن نستدركها في آخره خدمة للعلم ونتميماً للفائدة .

	ص	س
«بنوء المرزم» وكتبنا على قوله : «المرزم» ما نصه : المرزم : «من أرزم الرعد اذا اشتد صوته» اهـ	٦٠	٩

ومع صحة هذا الضبط واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدم فإننا نرجح أن يضبط : «لِمرزم» بكسر الميم وفتح الزاي ، وهو من نجوم المطر قال في اللسان : «المرزمان . نجمان من نجوم المطر، وقد يفرد» .

«من ضريبة وموافرة» وكتبنا على قوله : «وموافرة» ما نصه : «في الأصل : «وموامرة» بالميم ؛ وهو تحريف» اهـ	١١	١٩٣
---	----	-----

وقد بدا لنا بعد أن للفظ «المؤامرة» معنى مصطلحاً عليه بين كتاب الدواوين ، وتصحح إرادته في هذا الموضع ؛ فقد ورد في مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : «المؤامرة عملٌ تُجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تُعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج إليه من استثمار واستدعاء توقيع» اهـ وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء .

«والبدول» ؛ وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا» اهـ	٥	٢٠٢
--	---	-----

ويظهر لنا أن البدول في هذا الموضع جمع بذل ؛ والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصه وأجناده ؛ وقد نبهنا على هذا المعنى في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١ ، فانظره .

- ص ٢٠٢ س ٨ «مقبلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «في الأصل : «مقبلة» ، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدة عليه الخ » .
- ومع جواز ما اخترناه واستقامة الكلام به فقد بدا لنا أنه يصح أن يراد بقوله : «مقبلة» ، السنة التي تقبل بالنبات ، أى تجيء به . وقد ذكرنا هذا المعنى في الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٩٥ ، فانظره .
- ٢٠٣ ١ «ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرة المعاملات» ولم نفسر لفظ المعاملات في هذا الموضع ، وقد فسرناه في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ ، فانظره .
- ٢٠٤ ١٣ كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ، وكش باللغة الفارسية معناه لابس انظر المعجم الفارسي الإنجليزي تأليف ستاين جاس مادة (كشیدن) .
- هذا ما كتبناه في تفسير هذا اللفظ ، وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزرد كاشية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢
- ونحن نرجح هذا المعنى وتأثره على الأول .
- ٢٢٩ ٣ قوله : «فإن تعذر فالوجه» وكتبنا في تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه ، أى إن تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنيا» اهـ
- وقد بدا لنا بعد ذلك في تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجحه على الأول ، وهو أن الكفالة بالوجه هي أن يضمن الكافل إحضار المكفول بوجهه ، أى بذاته ، إذا طُلب منه أن يحضره ، فمعنى العبارة إذن أنه إن تعذر الكفيل بالمال قبلت الكفالة بأن يحضر الكافل شخص المكفول .

إصلاح خطأ

ص	س	خطأ	صواب
٤٦	١٤	ذِكْرَ	ذَكَا
٦١	٢٢	حاضرة أى سابقة	حاضرَه، أى سابقَه
««	««	التفضّل	الفضل
١٢٣	١	ونرجوا	ونرجو
١٢٨	٥	ونرجوا	ونرجو
١٣٢	١٦	كان كان صحيح	كان صحيح
١٣٣	٥	نرجوا	نرجو
١٤٤	١٨	أنّ	إنّ
١٦٥	١٣	أثارك	آثارك
١٨٧	٢	الرّضى	الرّضا
٢٠٤	١٣	والزّرد كشيّة	والزّرد كاشيّة
٢٠٨	٢	وأقدر	وأقدر

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩/٨١٣/٢٥٠٠)

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ